

جامعة إفريقيا العالمية

مركز البحوث والدراسات الإفريقية

بابكر كرار

سيرته وفكره

إعداد : نادية يس عبدالرحيم


زورنا في
الفيس بوك
المرتضى
لكتب السودانية
www.facebook.com/sh143a



جامعة إفريقيا العالمية
مركز البحوث والدراسات الإفريقية

بابكر كرار
سيرته وفكره

إعداد : نادية يس عبدالرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة أفريقيا العالمية
مركز البحوث والدراسات الأفريقية

بابكر كـــرار
سيرته وفكـره

دراســــة تحليليـــــة لسيرة وفكر شخصية سودانية، عربية، أفريقية

إعداد : نادية يسن عبد الرحيم

٢٠٠٥

تقديم

يكفي الاستاذ بابكر كرار ان كان من الرواد المؤسسين للحركـــة الإسلامية السودانية وكذلك فإن الاستاذ بابكر قدم فـــي الاجتهـــاد والمبـــادرة الفكرية والسياسية وكل هذا رشحه ليكون موضوعاً لهذه الرســـالة الجامعيـــة والشكر موصول للذين أعانوا علي أمر هذه الرسالة حتي انتهت الـــي كتـــاب ومنهم الدكتور صابر محمد الحسن مـــدير بنـــك الســـودان والاســـتاذ أحمـــد عبدالرحمن الامين العام لمجلس الصداقة الشعبية والأستاذ الـــدكتور ناصـــر السيد وكذلك الاستاذ يوسف حسن سعيد وهو كذلك من بناة الحركة الإسلامية.

وشكرا.

أ.د. حسن مكي محمد أحمد

عميد مركز البحوث والدراسات الإفريقية

الاربعاء ٢٠ ربيع الأول ١٤٢٧م

الموافق ١٩ ابريل ٢٠٠٦م

المقدمة:الخطة العامة للبحث

حياة الإنسان تصبح غنية حافلة بالمعانى الكثيرة، اذا ما اتسمت بطابع الانتاج والكفاح والجد والمثابرة، والافراد الذين يعيشون هذا النوع من الحياة العريضة الكاملة لا تنتابهم عوامل القلق والجزع حينما يفكرون فى مستقبلهم كبقية الناس الآخرين، بل يقوى إيمانهم بهذا المستقبل ويشتد حماسهم له. لأن الاخلاق والقيم السامية التى اكتسبوها فى صراعهم الطويل فى ميادين الحياة المتعددة والتجارب والاختبارات واتصالهم الوثيق بشؤون المجتمع وإدراكهم الواسع لمطالبه واحتياجاته، كل هذه الاشياء مجتمعة هى ذخيرة قوية لا تنفد لمواجهة ما تتمخض عنه السنين.

ومن أمثال اولئك الذين ناضلوا وجاهدوا فى سبيل استقلال السودان، والنهوض به ليلحق بركب التقدم والنماء، وقد كان لهؤلاء الدور المعلى فيما نتمتع به من استقلال.

وبالرغم من ذلك فإن سيرتهم ظلت مجهولة لدى هذا الجيل الجديد، وحبيسة لدى ذاكرة جيلهم.

ولذلك فإن هذه الدراسة محاولة لتسليط بعض الضوء على شخصية الاستاذ بابكر كرار وسيرته باعتباره مناضلا ومفكرا سودانيا جعل حياته جزءاً من شعبه وأمته، ولم تعد لديه خصوصيات، بل أصبحت سعادته وشقاءه ونجاحه وفشله، مقياسه الشعب السودانى والأمة العربية والأفريقية.

ولم ترتبط بحاكم ولم يرتهن لنظام لأنه خاض مع الجماهير معارك التحرير، فهو نموذج للمفكر خادم الجماهير، التى تملك حق التغيير. وبالرغم من إيمانه بالثورة فقد كان يرى أن الحوار والرأى هو الطريق السلمى بعد مرحلة الاستعمار.

وقال عنه معاصروه "إنه ذو نظرة مستقبلية ثاقبة فهو يرى رأى العين الغد القادم، ويبدو ذلك من خلال كشفه بوضوح لا غموض فيه للاتجاهات التى تحكم نظرة الولايات المتحدة والدوائر الغربية لمستقبل السودان وهذا ما يجرى اليوم.

لكل ذلك فإن سيرته كتاب وصفحات نستذكرها لا لشئ إلا لتنقيح معالمها، وليعلم الجيل الجديد إن هناك أمثال هذا الرجل صنعوا كل ذلك العمل فى وقت قصير من العمر، وليقتدوا بمثل هذه الشخصية.

وبالطبع فإن هناك الكثير من الصعوبات التى واجهت البحث نذكر منها تبعثر المصادر وتشتتها، اضافة الى أن هناك الكثيرين الذين تعذر الوصول إليهم بسبب وجودهم خارج السودان أو عدم معرفة عناوينهم، بجانب الذين رفضوا التعاون والادلاء بما لديهم من معلومات .

أهداف البحث:

التوثيق لسيرة مناضل ومفكر سودانى.

أهمية البحث:-

بحث حقبة تاريخية من تاريخ السودان من خلال شخصية سياسية وثقافية ساهمت فى حركة النضال الوطنى والعربى والافريقى والعالمى مع ربط تلك الحقبة بالظروف المحلية والعالمية.

ويتم ذلك بالاستناد على مصادر أساسية لم تنشر من قبل من خلال المقابلات التى تمت مع شخصيات ذات تأثير فى العمل الوطنى وحركة المجتمع والاستناد كذلك على وثائق مخطوطة ومطبوعة.

مجال البحث:

منذ مولده فى عام ١٩٣٠م والى وفاته فى ١٩٨١م عبرة حياة قضاها فى حالة عطاء مستمر بلا انقطاع.

منهجية البحث:

اتبعت الباحثة المنهج الوصفى والمنهج التاريخى، لأن طبيعة البحث اقتضت ذلك.

وقد تم استخدام المنهج الوصفى من خلال جمع المعلومات من المصادر الاولية "المقابلات والملاحظات" والمصادر الثانوية "الكتب والمذكرات والجرائد والاشرطة".

وتم استخدام المنهج التاريخى من خلال اثبات الحقائق كما جرت، ووصف الافكار والاعمال كما وقعت ووثقت ووضع الامور فى تسلسها التاريخى.

الهيكل التنظيمى لمحتويات البحث

البحث بصورة عامة يتكون من ستة فصول .

الفصل الاول: السودان والحياة السياسية فى عصر بابكر كرار.

ويتكون من مبحثين:

المبحث الاول:

نبذة تاريخية عن السودان لمعرفة ما هو السودان؟ ويكون ذلك من خلال التعرف على موقعه الجغرافى والتكوين التاريخى والحضارى للسودان.

المبحث الثانى: الحياة السياسية فى عصر بابكر كرار.

فالسودان ليس منفصلا عن العالم المحيط به، إن التيارات العنيفة التى تضطرب بها الدول الكبرى. والحرب الباردة القائمة بين الجبهتين الضخمتين بقيادة الولايات المتحدة وروسيا، والتطورات التكنولوجية والاقتصادية والاجتماعية التى تتدفق من المجتمعات المتقدمة فى مبادين العلم والتطبيق كل ذلك كان له انعكاسه على السودان. فالحياة السياسية لها تأثيرها المباشر على الحياة الاجتماعية والثقافية.

الفصل الثانى: المكونات الشخصية لبابكر كرار

يتكون من مبحثين:

المبحث الاول: مدينة ود مدنى.

تناول المبحث تاريخ المدينة والحياة الاجتماعية والثقافية والسياسية بها، وذلك لأن العلاقات التى تربط الفرد بما حوله لها تأثيرها فى تكوين معتقداته وأساليب فكره وعمله، وكما يقال إن الإنسان حيوان ناطق فهو كذلك حيوان "إجتماعى" فلا تتحقق انسانية الفرد إلا بالإجتماع.

المبحث الثانى: بابكر كرار المولد والنشأة:

وتناول هذا المبحث حياة بابكر كرار الباكرة وتاريخ أسرته وثقافته وصفاته.

الفصل الثالث:

الدور السياسى والفكرى لبابكر كرار فى مرحلة ما قبل وبعد الاستقلال.

يتكون الفصل من مبحثين:

المبحث الاول: نشأة الحركة الاسلامية الحديثة ومراحل تطورها .

تتبع هذا المبحث بداية تأسيس حركة التحرير الاسلامى والانقسامات الداخلية التى أدت الى تكوين الجماعة الاسلامية ثم الحزب الاشتراكى الاسلامى.

المبحث الثانى: مساهمته فى الحركة الوطنية السودانية قبل الاستقلال وبالتحديد فى عامى ١٩٥٤ – ١٩٥٥م. وذلك من خلال مشاركته مع الجبهة الاستقلالية لمقاومة الاحتلال والتصدى للدعوة الاتحادية.

الفصل الرابع: بابكر كرار ومشاركته فى الحكومات العسكرية:

ويشير هذا الفصل الى دور الجيوش العربية فى الثورة العربية، وأسباب مشاركة بابكر كرار فى الحكومات العسكرية والصراع معها بعد ذلك ، ثم ذهابه الى مصر ومنها الى ليبيا، كذلك تضمن الفصل الأسباب التى قادت الى تحول

المعارضة السودانية فى عهد المشير جعفر محمد نميرى من الأراضى السعودية والأثيوبية الى ليبيا، والخلافات التى حدثت بعد ذلك داخل الجبهة الوطنية السودانية المعارضة ثم المصالحة الوطنية والعودة الى السودان.

الفصل الخامس: بابكر كرار وقضايا الثورات الثلاث السودانية، العربية، الافريقية.

يتكون الفصل من ثلاثة مباحث:

المبحث الاول: قضايا الثورة السودانية:

يتضمن هذا المبحث النضال الفكرى لبابكر كرار من أجل تنوير الجماهير السودانية، ونظام الحكم فى السودان ومن أجل حسم عروبة السودان، مع التنبيه الى المحاولات الاستعمارية الرامية الى تجزئة السودان وأفرقته من خلال اتفاقية أديس أبابا.

المبحث الثانى: قضايا الثورة الغربية.

هذا المبحث يبرز نضاله الفكرى واهتمامه بقضايا العالم العربى كالوحدة العربية والقومية العربية، والازمات التى تواجه العالم العربى، كما يبرز اهتمامة بمصر النابع من إيمانه بدورها التاريخى والحضارى فى تاريخ الأمة العربية، وإيمانه كذلك بثورة يوليو وقائدها جمال عبد الناصر، إضافة الى تحليلاته للقضية الفلسطينية فى مواجهة العدو الاسرائيلى.

المبحث الثالث: قضايا الثورة الافريقية والاسلامية

يوضح هذا المبحث التلاحم بين الثورة العربية والثورة الأفريقية، والتدخلات الاستعمارية لعزل الثورتين ومحو الثقافة الاسلامية والعربية داخل القارة الأفريقية.

ألفصل السادس: الاجتهادات الدينية لبابكر كرار:

إن التفكير الانسانى فى كل المجتمعات وشتى الحضارات يعالج مشكلات أساسية واحدة، تنشأ عن الانسان وصلته بالله ومنشأه وتطوره ومصيره.. هل هذا

كله من فعل قوة علوية أو هو قدر مجهول؟ وهل للانسان نصيب فيه؟. هل هذا المصير الى تقدم مستمر أم الى زوال محتم؟ كل هذه الاسئلة وغيرها يتصدى لها التفكير الانسانى مجتهداً.

وفى هذا الفصل نتعرف على اجتهادات بابكر كرار للاجابة على بعض من هذه التساؤلات مستدلاً فى ذلك بالقرآن الكريم والسنة المطهرة.

وخاتمة البحث تضمنت المقترحات ثم المصادر والمراجع وأخيرا الملاحق.

الفصل الاول

السـودان والحياة السياسية فى عصر بابكر كرار

المبحث الاول:

نبذة تاريخية عن السودان

التاريخ هو السعى لادراك الماضى البشرى واحيانه، والماضى نستمد منـه عناصر القوة والفخر والاعزاز.

العود الى التاريخ يشتد عندما تهب الشعوب لتنشد الوحدة والقوة، ومن هنا تجد الشعوب إن من اهم مقومات وحدتها، تقاليدها الماضية وأمجادها وبطولاتها السالفة، الا أن البعض يذهب الى انه فى حالة بناء مجتمع جديد ناهض، فالمرء احوج ما يكون الى نفض ما ورثه من الماضى مما يعرقل السير ويحد من الانطلاق. لذا يجب عدم الالتفات الى الوراء.

ولكن ولتكون الثورة صحيحة ومثمرة لابد أن نكون مدركين لما نثور عليه حق الادراك، والا قضت الثورة على الصالح والطالح دون تمييز.

واننا نعود الى الماضى لانه من سبب ادراك الذات وعلينا ان نحرص على تقييم ذاتنا أو ذواتنا وأوضاعنا على حقيقتها. ونحن انما نعود الى الماضـى ونطلـع على مجرى احداثنا لكى يساعدنا هذا الاطلاع على معرفة انفسنا.(١)

ومن هذا المنطلق كان تعرضنا لتاريخ السودان والالتفات الى الكشف عـن جوهر الماضى واحياء العنصر الذى يكونه، ألا وهـو الانسـان فـردا ومجموعـا الانسان شاعرا ومفكرا، غالبا ومغلوبا. متأثرا بما حوله ومؤثرا فيه. فالنفاذ الى هذا الجوهر هو أول شرط من شروط التفكير التاريخى الصحيح.

وفى هذا الاطار نستعرض الموروث التاريخى لانسان السودان. فالسودان فى اللغة يعنى السود من البشر. يطلق على بلاد السود والسواد نقيض البياض واسود جمعه سُود وسودان.

وقديما اطلق على ما يعرف اليوم بالسودان اسم اثيوبيا. وامتدت مملكة اثيوبيا فى تاريخ السودان القديم من الشلال الأول عند اسوان الى اقاصى الحبشة شمالا وجنوبا، ومن سواكن ومصوع على البحر الاحمر الى صحراء ليبيا شرقا وغربا وانها كانت تشمل ما كان يعرف ببلاد الحبشة ومعظم السودان الحديث. وقد عرفت اثيوبيا فى الاثار المصرية كما عرفت فى التوارة باسم " كوش" اما اثيوبيا فهو الاسم الذى اطلقه اليونان على جميع بلاد السود أو شديدى السمرة. ومعناها الوجه الاسود أو المحروق فهو على اطلاقه يشمل بلاد السودان والحبشة. (٢)

وكذلك اطلق العرب بعد الاسلام اسم السودان على الممالك الافريقية الاسلامية الواقعة فى المنطقة المتوسطة التى تقع الى جنوب الصحراء الكبرى وصحراء نوبيا بين الحبشة وسنغمبيا. تشمل ممالك سنار ودار فور ووداى وكانم وبرنو وسوكوتو وملى من الشرق الى الغرب. (٣)

اما الحدود السودانية الحالية فتحد من الشمال بمصر وليبيا ومن الشرق بالبحر الاحمر واثيوبيا. ومن الجنوب بكينيا وأوغندا والكنغو ومن الغرب بجمهورية افريقيا الوسطى وتشاد.

وانضم السودان كعضو فى جامعة الدول العربية منذ فجر الاستقلال عام ١٩٥٦. والسودان هو الدولة العربية الوحيدة التى تمتد جذورها عميقة داخل القارة الافريقية كما ان ثلث سكانه تقريبا من الزنوج الافريقية اما الاغلبية فهي من اصل عربى. (٤)

وقد شهد الجزء الشمالى من السودان منذ ازمان سحيقة نشأة حضارات وممالك فى كل من كرمة ونبتة ومروى والمقرة وعلوة. هذه الممالك اسهمت

بطريقة أو بأخرى فى تطور نظام الحكم على ضفاف حوض وادى النيل الأوسط، وفى إثراء الثقافة الوطنية وفى وضع اللبنات الأولى لخلق تراث مكتوب بالرغم من ان هذا التراث ظل ضئيلا وضعيفا. (٥)

وحين دكت ارجل الغزاة امبراطوريات بعانخي وترهاقا، وحين طمرت رمال الصحراء حضارات نبتة ومروى، فقدت الارض السودانية لواء المبادرة الحضارية الذى ظلت ترفعه طوال اجيال متلاحقة.

ولان تاريخ السودان كان يتأثر فى كل العصور بالحضارات التى ازدهرت فى مصر، فإن مصر كانت من بين الاقاليم التى وصلت اليها المسيحية منذ السنوات الأولى لظهورها.

وبعد ظهور المسيحية ودخولها الى مصر فى القرن الأول الميلادى تعرض لها الرومان بالاضطهاد والمطاردة الامر الذى وقع بعنف كبير على رجال الدين المسيحيين ودفع بالرهبان والتجار وغيرهم الى النزوج من مصر جنوب الشلال الأول والثانى، ثم انتقلت مع هؤلاء الديانة المسيحية الى السودان. إلا أنه وبسبب التراكيب المحلية للمجتمع لم يكن من المستطاع اجتذاب اعداد كبيرة من السكان للدين الجديد لان السكان كانوا فى المقام الأول يدينون بالعبودية للحاكم الذى كانت له قدسيته والسلطة اللانهائية على شعبه. (٦)

وبعد تحول سياسة الرومان تجاه المسيحية فى عهد قسطنطين الأول فى الأعوام ٣١٣-٣٣٧م. صارت الكنيسة النصرانية فى رعاية الدولة واستطاع المسيحيون فى ظل تلك الرعاية، ممارسة عباداتهم فى حرية. واشتد نشاط التبشير بالدين الجديد وقامت مؤسسات دينية يرأسها رجال الكنيسة، غير أن خلاف المسيحيين حول طبيعة السيد المسيح عليه السلام ادى الى انقسام الكنيسة الى قسمين يعقوبى وملكانى. ومن ثم جاءت بعثتان أحداهما يعقوبية والاخرى ملكانية الى

حوض وادى النيل جنوب الشلال الأول والثانى فى النصف الثانى من القرن السادس.

وبذا صارت المقرة "دنقلة" ملكانية المذهب بينما كانت المنطقة جنوب الشلال الأول بعقوبية المذهب(٧). وبذلك تعتبر تلك المرحلة هى دخول المسيحية فى صورتها الرسمية الى السودان. اذاً لم يكن غريبا ان يستمد السودان الديانة المسيحية الوافدة اليه من مصر وأن تنهض على اساسها ثلاث دويلات سودانية هى علوة والمقرة وسوبا وأن تظل تلك الدويلات ضعيفة ومتنازعة حتى يكتسحها امامه التمدد العربى الاسلامى المتدفق اساسا من مصر. (٨)

ومنذ القرن السابع الميلادي اخذت مجموعات كبيرة من القبائل العربية تهاجر من الجزيرة العربية الى السودان، واختلط المهاجرون العرب بالسكان الاصليين وتزاوجوا، وبذلك امتزجت الدماء بالنسب والمصاهرة. (٩)

وبعد ان استولى المسلمون على مصر ببرهة قصيرة غزا المسلمون النوبة فرجعوا بالجراحات وذهاب الحدق وذلك لجودة النوبة فى رمى السهام فسماهم المسلمون رماة الحدق(١٠). ثم دخلت فرقة اسلامية بقيادة عقبة بن نافع سنة ٦٤١م ووقع صدام بينه وبين لنوبة"الشمالية ولكن لم يتوغل المسلمون كثيرا، ويبدو ان الطرفان اتفقا على هدنة. وما أن غادر عمرو بن العاص مصر وخلفه عبد الله بن السرح حتى نقض النوبيون العهد. فما كان من عبد الله بن أبى السرح الا أن بعث جيشا توغل فى مملكة المقرة حتى عاصمتها دنقلا " دنقلا العجوز" فى سنة ٦٥٢م. ٣١هـ. واحكم حصارها ورماها بالمنجنيق حتى طلب الملك فليدوروت الصلح فأملى المسلمون شروطهم على الملك وعرف هذا الصلح باتفاقية البقط وهى كلمة ذات اصل يونانى لاتيني PACTUS . واكتفى المسلمون بهذا العهد الذى أمن حدودهم الجنوبية وتجارتهم كما ضمن لهم اقامة شعائرهم وحريتهم الدينية فى قلب عاصمة النوبة. وقد استمرت هذه الاتفاقية نحو ستة قرون(١١) ثم كانت هنالك

هجرات متتالية من المسلمين العرب الى شمال السودان ومن بين هـذه الهجـرات الكبيرة، الهجرة التى حدثت بعد أن اعتلى الموالى حكم مصر وفى غيـاب الحكـم العربى على مصر حبذ العرب المسلمون الهجرة الى السودان وتوغلوا فيـه وكـان ذلك خلال العام ٨٥٦م. اما الهجرة الكبرى للعرب المسلمين للسودان فكانـت فـى أوائل القرن الرابع عشر الميلادى حيث سقطت دنقلا العجـوز فـى يـد السـلطة المصرية وادى ذلك لتدفق المسلمين العرب على السودان. وبـذلك امـتلأ شـمال السودان ووسط السودان بالمسلمين العرب وامتزجوا بالسكان الاصليين بالمصـاهرة والتداخل البشرى والاجتماعى. ونتج عن هذا التلاقح ظهور السـودان المعـروف اليوم " الحديث" الذى لا يشكل دماً عربياً خالصا، أو دماً زنجياً خالصا ولكنه يجمـع بين ذينك النوعين من الدماء. ويحمل فى فكره وبين جوانحه الثقافة الاقوى والاكمل وهى الثقافة العربية(١٢) ومن ثم تم نشر الحضارة الاسلامية والثقافة الاسلامية التى غيرت نهج الحياة السودانية ومهدت لتغيير واسع فى الحياة الثقافية والسياسية، ممـا ادى فى نهاية المطاف الى عهود من الحكم الاسلامى، حيث تكونت دولة السـلطنة الزرقاء ١٥٠٥م وذلك بعد تحالف القبائل العربية بقيادة عبد الله جماع مـع الفـونج بقيادة عمارة دنقس. وقد استطاع هذا التحالف العربى الوطنى من القضاء على دولة علوة بسقوط عاصمتها سوبا وتخريبها ثم امتدت هذه الدولة الجديـدة آخـر معاقـل المسيحية فى السودان شمالا حتى دنقلا. (١٣)

وبالرغم من ان دولة الفونج كانت اسـلامية ولغتهـا العربيـة فقـد ورث الوافدون تقاليدا وطقوسا كان معمولا بها فى السودان من قبل، من بينهـا جلـوس الملك بعد تنصيبه على الككر وهو "كرسى صغير من الخشب" وتقبيل رجل الملـك. وهذه كلها عرفت فى الحضارات القديمة قبل دخول العرب للسودان. وكثير من هذه العادات والتقاليد تتعارض مع عادات العرب وتقاليدهم وترتكز فى مجموعها علـى وجود طبقة ارستقراطية حاكمة وطبقة عبيد واتباع. وقد امتـدت طقـوس التبعيـة

وتعظيم الرئيس بعد ذلك الى الزعامات الدينية حتى اصبح شيخ الطريقة أو الولى المعتقد فيه، يدخل عليه تابعه حاسر الرأس حافى القدمين متمنطقا بثوبه مقبلا يديه ورجليه(١٤). اما العرب فقد ادخلوا معهم النظام القبلى الذى لم يكن معروفا من قبل حيث اصبح كل سودانى ينتمى لقبيلة لها دارها وموطنها. وانضم السكان الاصليون لهذا النظام القبلى ونسوا اصولهم مما ادى الى اقامة حكومة مركزية قوية. اما من الناحية الدينية فقد تغلب الطابع الصوفى على طابع التفقه فى علوم الشريعة وامتزج التصوف والسنة فى إهاب واحد متقاربين أو متعايشين معاً. وبهذا تكونت ركائز المجتمع السودانى الحالى فى عهد الفونج(١٥).

وقد بدأ انهيار السلطنة الزرقاء مع بدء العزو التركى عام ١٨٢١م وقد تداعت امامه بسرعة فائقة لانها كانت قد شاخت واستنفذت طاقتها فى منازعات غير مجدية،.

وبالرغم من انتصار الغزو التركى، الا انه تعرض لمقاومة باسلة من القبائل السودانية التى واجهت بالسيف والرمح سلاحا ناريا لم تعرفه من قبل أو حتى تسمع به. وقاومت باعدادها القبلية الصغيرة جيشا منظما وحديثا بمقاييس عصره. وقد استمرّ الحكم التركى ستين عاما لم يفلح فى اقناع الشعب بأنه مهزوم وأن اسيادا وافدين يتسلطون على اقداره ومصائره، (١٦)

وقد مهد الحكم التركى لقيام الثورة المهدية التى وجدت مناخا وجوا سودانيا صالحاً لتقبل دعوة الثورة المهدية. ذلك لان فكرة المهدى المنتظر كان لها وجود فى السودان وان كثيرين كانوا ينتظرون ظهوره ويرجع ذلك لكثرة ما سمعوه من التراث الاسلامى الشيعى والسنى والصوفي ولاسيما الوافد من شمال افريقيا وغربها. فالمهدى هو ذلك الرجل الذى يملأ الدنيا عدلا بعد أن ملئت جورا وظلما(١٧).

ومن هنا فإن المهدى عندما أعلن مهديته كان يخاطب القوم بأمر يعرفونه يضاف إلى ذلك أن الوضع الاجتماعى والسياسى كان مهيئا لتقبل تلك الثورة. فسياسيا رزح السودان تحت نير الاستعمار العثماني التركي مدى سبعة عقود ونيف ذاق فيها الوان العسف والجور والاستبداد، وانتهكت حرية الشعب وكرامته بالحكم والقهر. وشعبيا فقد ارهقت الضرائب والاتاوات كاهل الامة. وخارجيا قد فقدت قوات الاحتلال الدعم والسند من الحكومة فى مصر التى كانت مشغولة باخماد ثورة عرابى عام ١٨٨٢م. واسلاميا ضمر صفاء الاسلام فى السودان وخضع الناس فى الحضر والبدو لظلام الخرافة والبدع مما اضعف الوازع الديني وأوهن العزائم واصبحت الضرورة ملحة وعاجلة للرجوع لاصول الدين الأولى بعد ان وهنت الخلافة العثمانية والخديوية امام الضغوط الاوربية وقدمت كثيرا من التنازلات.

لكل ذلك قامت الثورة المهدية على ايدى الثوار المهديين ومنذ الانتصار الأول للثورة المهدية فى جزيرة ابا تعاقبت الاحداث وسارت الثورة من انتصار الى آخر حتى تم لها النصر بسقوط الخرطوم فى عام ١٨٨٥م.

وهنا وجد المهدى البلاد منقسمة على نفسها منذ فجر تاريخها السياسى تحكمها حكومات اقليمية مستقلة عن بعضها البعض. حكومات تحكم شمال السودان واخرى وسطه واخرى فى غربه وشرقه وقبل ذلك كان لكل قبيلة حكومتها ومشيخاتها. (١٨)

فاستطاع المهدى ان يستصرخ القبائل والعشائر والطرق والطرائق كلها لثورة شاملة فاقتلعت النعرات القبلية والعشائرية والطائفية. وقد كان لرؤساء القبائل والشخصيات ذات النفوذ القبلى دور حاسم فى انجاح الثورة.

واذا نظرنا الى النظام القبلى فى تلك الفترة نجد انه كان قائما على اسس مادية قوية تحمى افراده ويحقق لهم مستوى من الأمن فى نطاقه ويضمن لهم محيطا

من الاراضى للزراعة والرعى. وكان رؤساء القبائل يمثلون بيوتا ذات ثراء ومنعة وكلمة نافذة. ورغم ان قيام حكومة مركزية عام ١٨٨٥ كان من شأنه اضعاف النظام القبلى الا ان هذا النظام استمر في حكم المناطق النائية فى بلد واسع مترامى الاطراف مثل السودان.

وبدخول الاستعمار البريطانى فعلا والثنائي اسما الى السودان وقضائه على الاستقلال وعلى الثورة المهدية عام ١٨٩٨م دخل السودان مرحلة جديدة من مراحل تاريخه وترتب على نجاح الاحتلال الاستعمارى ان زاد النظام القبلى ضعفا على ضعف واهتزت الاسس الاقتصادية التى كان يقوم عيها وانشئت المدن فى البلاد ونزح اليها الكثير من افراد القبائل للعمل بها.

وبتزايد عدد سكان المدن وتفتح وسائل جديدة للمعيشة لم تعد القبيلة وحدها المؤسسة التى تمد الناس بوسائل العيش، وادى نمط الحياة الجديدة فى المدن الى تجمع الثروة بأيدى بعض الناس واضعف بالتدريج المركز الاقتصادى للقبيلة. وعمد الاستعمار اثناء الفتح وبعده الى انشاء السكك الحديدية والنيلية لتساهم فى تدفق السلع الزراعية التى كان يؤول جزء كبير منها الى القبائل، يضاف الى ذلك ان الاستعمار البريطانى عمد الى التفرقة بين القبائل لتحقيق برامجه فتنافرت وتدابرت.

وبالرغم من إهتزاز النظام القبلى بدخول الاستعمار الا ان الرغبة لدى جماهير الشعب فى التخلص من الاستعمار واستعادة الاستقلال قد خلقت منذ اللحظة الأولى حيث اندلعت ثورة الحلاوين بزعامة عبد القادر ود حبوبة عام ١٩٠٨م ثم كانت هناك ثورات قبلية متعددة اخرى فى الجنوب وجبال النوبة وعلى راسها النمة بزعامة السلطان عجبنا عام ١٩١٧م. غير ان تلك الثورات فشلت لان المؤسسات التى أعتمدت عليها وهى القبيلة لم تعد لها الدعائم المادية والروحية التى كانت تسندها إبان الثورة المهديه(١٩). ولقد كانت هذه اخر محاولات المقاومة لما تبقى من جذوة الثورة المهديه بعد الاحتلال.

استمر الوضع كذالك الى ان تم انشاء كلية غردون فى عام ١٩٠٢م حيث كان خريجو هذه الكلية هم النخبة المثقفه الجديدة بين السودانيين. هذه النخبة كانت متأثرة بالشعارات الوطنيه التى كانت اصداؤها تتردد فى البلدان العربية وقتئذ ومتأثرين بما يقرأون من الثقافات الغربية التى تتحدث عن الديمقراطيه والحرية والاستقلال.

ومن هنا بدأت نخبة المثقفين تبنى تنظيماتها السرية. فالوضع السياسى يومئذ كان اشبه بالاختناق، كان هنالك حكم اجنبى أحكم قبضته على البلاد ويجيا بذاكرة مفتوحة على هبة السودانيين كما حدث بقيادة المهدى وعمل الاستعماريون على عزل السودان عن مصر وعن كفاحها السياسى. فى العقدين الأولين من القرن العشرين حتى يكون المثقفون السودانيون بمنأى عن الحركات الوطنية المصرية. لذلك كانت السلطة الحاكمة تنظر لجميع المتعلمين بحذر شديد.

وفى هذا الجو من التربص كان الجيل الجديد يكتب فى المسائل السياسية والاجتماعية بحذر شديد مستعملا فى ذلك اسماء مستعارة وتنكرية كثيرة فكان هناك "ابن السودان" و"ابن رجاء" و "ابن جلاء" و "طوبجى" وغيرها من الاسماء، أما مناقشاتهم فقد كانت تتم فى الخفاء وبحذر شديد ايضا(٢٠).

وبتزايد عدد المتعلمين بدأ الخريجون ينظمون صفوفهم ويرفعون صوتهم قليلا قليلا. وقد كانت هناك جماعة من المدرسين بمدرسة ام درمان الابتدائية قد عزموا عام ١٩١٤م على تاسيس ناد يضم بداخله زمرة المتخرجين من المدارس السودانية. غير ان هذا المشروع اجل لانشغال رجال الحكومة فى ذلك الوقت بأحداث الحرب العالمية الأولى. وما ان وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى بعثت الفكرة وسارت فى طريق التنفيذ حثيثاً.

وتأسس فى صيف عام ١٩١٨م بام درمان ناد للخريجين قال عنه رئيسه الفخرى الأول المستر سيمبسون مدير كلية غردون فى خطبة الافتتاح " أن هذا النادى سيلعب دورا هاما فى التاريخ"(٢١) وقد كان.

وبدأت حركة الطلاب والمثقفين السودانيين تبرز اكثر فى العشرينات واخذت حركة الصراع بين الحركة الطلابية والوجود الاستعمارى تتصاعد وتأخذ صورة العلانية.

وفى هذه الفترة طرحت قضية العلاقة بين مصر والسودان، وابتدأت الحركة الطلابية تنحاز الى جانب مصر واقامة علاقة وطيدة بين الشعبين ونضالهم المشترك ضد الاستعمار البريطانى. وكان هناك نشاط سياسى خفى تمثل فى المسرحيات التى تقدم بالمكتبة القبطية بأم درمان، وذلك فى اشارات خفية للتنديد بالاستعمار والتعاطف مع حركة سعد زغلول، يقدمها الممثلون " توفيق" و "عبد الرحمن طه" وغيرهم. وقد كان عبد الرحمن طه يهتف بحياة سعد زغلول ويردد الجمهور من خلفه يحيا سعد " وسعد هنا يطلق على احد الممثلين فى المسرحية"(٢٢). هذا النشاط كان قبل قيام جمعية الاتحاد السودانى وفى أوائل عام ١٩٢٠. انشئت جمعية الاتحاد السودانى بامدرمان وهى تنظيم سياسى حديث. وتكونت الجمعية من خمسة اعضاء مؤسسين من ابناء الجيل الصاعد. وفى البداية كان التنظيم غامضا حيث كان قائما على نظام الخلايا وخاضعا لسلطة هرمية متدرجة(٢٣). وجميع اعضاء هذه الجمعية من خريجى مدرسة العرفاء(٢٤). وقد انصرف جهد الاتحاد الاكبر لتنظيم المسرحيات والندوات الادبية. غير ان العمل السياسى الرئيسى قد تبلور فى شكل هجوم على الادارة البريطانية والمتعاونين معها من السودانيين، وانصب الهجوم كذلك على الزعماء الدينيين التقليديين وتم ذلك عن طريق الرسائل التى كانت تبعث بالبوستة. كما نشر الاتحاد مقالات وقصائد معادية لبريطانيا بالصحف المصرية عبرت عن بعض الارتباط مع الوطنيين المصريين(٢٥). وقد

ظهر بعد ذلك تياران فى قيادة الجمعية، التيار الأول وعلى رأسه عبيد حاج الامين وهو مؤسس الجمعية، هذا التيار نادى بالعناية بالقضايا السياسية فى المقام الأول بينما التيار الاخر نادى بالالتفات للنشاطات الثقافية فى الدرجة الأولى مما احدث انقساما علنيا فى منتصف عام ١٩٢٣م لتباين وجهات النظر مما حدا بعبيد حاج الامين وانصاره لتأسيس جمعية جديدة هدفها الاساسى مواجهة الاستعمار، وهى جمعية اللواء الابيض(٢٦). وكانت خطة اللواء الابيض تقتضى تعبئة قطاعات اكبر من الجماهير بدلا عن اقتصارها على الخريجين. وقد سلمت قيادة اللواء الابيض لعلى عبد اللطيف وصار عبيد حاج الامين نائبا له. وقد حدد دستور الجمعية هدفها بأنه خدمة الاهداف الوطنية للسودان ورفض الانفصال عن مصر. وكان شعار الجمعية يتألف من خريطة لوادى النيل اضافة للعلم المصرى.

وكان للجمعية فروع فى المدن الكبرى حيث ساهمت هذه الفروع فى دعم الجمعية خاصة وان اكثر اعضاء لجنتها الادارية من موظفى البريد والبرق والهاتف حيث كان لهؤلاء اسهام كبير فى نشر اخبار الجمعية وأوامرها. وضربوا سياجا محكم الحلقات من الرقابة على الحكومة وما يمكن ان تتخذه من اجراءات(٢٧).

وبالرغم من المقاومة العنيفة التى تلقتها الجمعية من الادارة البريطانية بالسودان وضربها بقوة، فقد كانت هناك مقاومة اخرى للجمعية من قبل المشايخ والقيادات القبلية والطائفية الذين كانوا يعارضون الجمعية. وقد كانوا يرون ان ثورة كهذه قد يكون الغالب فيها هى المصلحة المصرية اكثر من المصلحة السودانية لان مصر لا تستطيع ان تنفى علاقتها الاستعمارية أو حكمها للسودان. فمصر فى نظرهم غزت السودان كما غزاه البريطانيون وبدلا من استبدال حاكم بحاكم فلماذا لا يحكم السودانيون انفسهم خاصة وانهم يرون المآمير المصريين امام اعينهم ينفذون فى قسوة تعاليم وتعليمات رؤسائهم من البريطانيين(٢٨). كذلك فإن شعار

وحدة وادى النيل لم يكن كافيا لتعبئة الجماهير كلها فى حركة وطنية موحدة ضد الاستعمار. كذلك كان بالتنظيم بعض العناصر الخائنة التى اسهمت بنسفه والتآمر على اعضائه المتحمسين، ومن المآخذ كذلك التى حسبت على ثورة ٢٤ إنه كان هنالك بعض المصريين قد قبلوا بالجمعية كأعضاء سريين بالرغم من ان دستور الجمعية ينص على ان تكون العضوية قاصرة على السودانيين ولكن الجمعية لم تكن واجهة لمصر، ولم تقم بوحى من المصريين وان كان من الصعوبة بمكان ان يصل المرء الى قناعة تامة حول ولاء "اللواء الابيض" لمصر. هل كان ولاءً حقيقيا ام عملا سياسيا مرحليا؟ وسبب هذا الاضطراب ان مواقف "اللواء الابيض" المعلنة كانت الولاء لمصر على حين ان واقع تصرفات الاعضاء واتجاهاتهم كان يوحى بالتوجه نحو الاستقلال ولعل الحديث عن الاستقلال عن مصر هو قراءة متاخرة لجيل تال عن الحركة ولعل اللواء الابيض اتخذت من مصر درعا قويا لحمايتة نفسها فى مواجهة البريطانيين ومن تعاون معهم(٢٩). وكذلك مما يؤخذ على حركة المثقين فى عام ١٩٢٤ انها لم تستطع ان تتسع لترتبط بمشاعر واحاسيس القوى التقليدية والقبلية بالسودان، ولو تفاعل الجناحان لكان مردود الثورة اكثر ايجابية خاصة وانها كانت سياسية وعسكرية.

وبذلك اكدت ثورة ٢٤ عدم نضوج الحركة الوطنية السودانية فى تلك المرحلة، حيث توزع الوعى السياسى الوطنى بين الولاء لمصر من ناحية والولاء لبريطانيا من ناحية اخرى(٣٠). وكان لكل من الفريقين حججه ومبرراته المنطقية المرتبطة بما يمثل من وعى أو من مصالح.

ومع كل ذلك فإن ثورة ٢٤ تختلف عن كل الحركات الثورية فى تاريخ السودان الحديث عقب سقوط المهدية. ويعزى هذا الاختلاف الى تكوينها الفكرى فهى ذات سمت مدنى قلباً وقالباً(٣١). كما أن بطل هذه الثورة على عبد اللطيف كان قد تعلم فى المدرسة الحربية فى الخرطوم. والتى كانت هى احدى مدارس كلية

غردون، التذكارية، ولانه كان ينتسب الى قبيلة الدينكا الجنوبية، فقد دلت هذه الظاهرة على ولادة حركة وطنية واسعة. ومن جهة اخرى فإن هذه الثورة دلت على ان الحركة الوطنية السودانية بمثقفيها وطلابها متشابكة ومترابطة مع الحركة الوطنية مع مصر. ذلك لان الوثيقة التى نشرها على عبد اللطيف بعنوان " مطالب الامة السودانية " هى ذاتها التى تقدم بها سعد زغلول فى ثورة ١٩١٩م فى مصر، وفى هذه الفترة طرحت قضية العلاقة بين مصر والسودان وابتدأت الحركة الطلابية تنحاز الى جانب مصر، واقامة علاقة وطيدة بين الشعبين ونضالهم المشترك ضد الاستعمار البريطانى.

وقد كشفت ثورة ٢٤ عن تضليل وزيف الادارة البريطانية فى خلق وصنع زعماء القبائل والعشائر وافتعال الادارة الاهلية كما ان ثورة ٢٤ استنهضت قدرا كافيا من الجماهير، التى خلت من كل أثر قبلى وعشائرى وطائفى(٣٢).

ومهما يكن الامر فقد استفادت الحركة الوطنية السودانية من تجربة الحركة الوطنية المصرية فى اساليب العمل السياسى ونماذجه الفكرية والعملية.

المبحث الثانى:

الحياة الساسية فى عصر بابكر كرار

ولد بابكر كرار وتوفى فى القرن العشرين. وقد شهد شباب السودان فى ذلك القرن الاحداث الضخمة التى وقعت من حوله، فهناك ثورات وطنية اندلعت فى كثير من انحاء العالم وانتفاضات فى مواجهة الاستعمار الذى هيمن على الاراضى العربية والافريقية والاسلامية سواء كان هذا الاستعمار فى شكل احتلال عسكرى أو احتلال استيطانى كما حدث فى الجزائر وتونس والمغرب وفلسطين أو استعمار قواعد عسكرية أو استعمار اقتصادى.

ومن تلك الثورات الثورة المصرية التى اشعلها الوفد المصرى بقيادة سعد زغلول عقب نهاية الحرب العظمى فى عام ١٩١٩م لتحرير مصر من الحماية والاحتلال الإنجليزى. ومنها حركة المؤتمر الهندى بزعامة المهاتما غاندى والعصيان المدنى الذي اشهره سلاحا فى وجه المستعمرين، كما شهد شباب ذلك القرن قيام النازية في المانيا بقيادة ادولف هتلر. وقد تغنى شباب السودان فى تلك الفترة بانتصارات المانيا نكاية فى الاستعمار الإنجليزى ومن امثلة تلك الاغانى:

عينيك يا بخيتة زى مدافع المانيا

الدكت حصون امريكا وانجلترا

فى اقل من ثانية(٣٣)

رومانيا انتهت وفرنسا اضحت فانية

كذلك شهد شباب ذلك القرن الفاشية في ايطاليا بقيادة موسليني كما شهد ثورة تركيا الفتاة بقيادة مصطفى كمال اتاتورك.

وكما كان موسليني يحلم باقامة امبراطورية ايطالية فى افريقيا وحوض البحر الابيض المتوسط، ويغزو الحبشة على مرأى ومسمع من عصبة الامم ويستخدم فى اعتدائه عليها اسلحة الدمار المحظورة كالغازات السامة، كان هتلر يتهيأ لجولة اخرى مع الدول الأوربية يصفى فيها حساباته ويثأر لالمانيا التى الحقت بها تلك الدول هزيمة نكراء في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨م وكبلتها بقيود قاسية.

هذا الخطر الذى بات منبعثا من دولتى المحور وهما ايطاليا والمانيا دفع ببريطانيا لمراجعة موقفها، واتخاذ الخطوات التى تعصمها وتمكنها من مواجهة التطورات التى قد ينكشف عنها هذا الموقف. فأبدت استعدادها لتسوية قضيتها مع مصر والوصول معها الى اتفاقية ترضى طموح قادتها وتسمح فى نفس الوقت لبريطانيا باستخدام ارض مصر وامكاناتها الاستراتيجية اذا دعت الضرورة لذلك، فاسفرت تلك المفاوضات بين الحكومة البريطانية والحكومة المصرية عن معاهدة ١٩٣٦م(٣٤).

ثم كانت الحرب العالمية الثانية التى احدثت اثراً سياسيا فى العالم كله وانهارت اسطورة الرجل الابيض الذى لا يقهر بالنسبة للافريقى. خاصة وان المستعمرات الافريقية كانت تنظر اليها باعتبارها القوة المسيطرة على العالم. فاتاحت الحرب العالمية الثانية فرصة للجندى الافريقى للمشاركة فى القتال الى جانب جيش المستعمر، فرأى الافريقى البيض يقتل بعضهم بعضا مما ادى الى تغيير فى نفسية الافريقى حيث زالت رهبة وهيبة الرجل الابيض واستعاد الافارقة ثقتهم بأنفسهم الى حد كبير. ورب ضارة نافعة، فقد كانت الهتلرية نقمة على أوربا ولكنها صارت نعمة على العقلية الافريقية التى تحررت من فهمها الخاطئ للرجل

الابيض، فصارت تبحث عن هويتها وعن استعادة اراضيها، مما ادى لظهور قـوى افريقية ترفض الاستعمار وتطالب بحق تقرير مصيرها.

كذلك من نتائج الحرب العالمية الثانية، ظهور القوى العظمى وهى امريكـا وروسيا وتأثيرهما على مجريات الامور فى العالم. حيث كانتا ضد استعمار أوربـا لدول العالم الثالث ومع ذلك دخلتا الحرب العالمية الثانية مرغمتين ومتأخرتين.

ولتنامى قوة هاتين الدولتين وسيطرتهما على العالم ظهر ما عـرف باسـم الحرب الباردة. وقسم العالم الى معسكرين، المعسـكر الشـيوعى بقيـادة الاتحـاد السوفيتى والمعسكر الرأسمالى بقيادة الولايات المتحدة الامريكية

وقامت الحرب الباردة بين المعسكرين وهى محاولة كل طرف الضغط على الطرف الاخر ومحاولة تحطيمه دون الاعتراف بسواهم فى العالم حيث قسم الاتحاد السوفيتى العالم الى معسكرين معسكر حرب ومعسكر سلام، اما المعسكر الرأسمالى فقد قسم العالم الى عالم حر وعالم مغلق، ولم يكن هناك توسط أو اعتـراف بـدول عدم الانحياز.

كذلك جاء مبدأ عدم الانحياز نتاجا لنضال شعوب العالم الثالث وقد نهضـت مصر بدور اساسى فيه.

ومن اهم ما يميز فترة الحرب الباردة قيام دولة اسـرائيل التـى اصـبحت حقيقة معترف بها عالميا. وذلـك مـن خـلال اعتـراف المعسـكرين الشـيوعى والرأسمالى بهذه الدولة واضفاء الشرعية عليها بل يمكن القول بأن المعسكرين قـد خلقا دولة اسرائيل. وبذا اصبح الخطر الصهيونى ماثلا امام اعين العرب.

ومن الواضح ان الحرب الباردة قد وضعت كل ثقلها فى الوطن العربى مما يكشف لنا عن خصوصية الامة العربية واستهدافها من قبل الدول الكبرى(٣٥).

اما مصر التى كان يعول عليها السـودانيين كثيـرا فـى نضـالهم ضـد المستعمر، فقد كانت هى نفسها واقعة تحت الاحتلال البيريطانى .

ونجد ان النظام الحزبى والزعامات الشعبية والوطنية فى مصر فــى ذلــك الوقت لم تكن السلطة بيدها بل كانت فى يد الاحتلال البيرطانى وسرايا الملك وفــى يد الاقطاع ورأس المال.

تلك كانت الظروف الخارجية المحيطة بالسودان لذلك كان نضال السودانيين لنيل استقلالهم طويلا وشاقا.

وقد خلقت السياسة الاستعمارية فى السودان نوعا من الوعى القومى بطريق غير مباشر. وكان ذلك نتيجة للشعور بالغبن والظلم الواقع على المــوظفين وكثــرة العاطلين عن العمل.

وقد تجلى ذلك من خلال ثلاثة مواقــف كانــت النــواة لتــرابط المثقفــين وتماسكهم فى وجه المستعمر.

- أولا:

ثورة ٢٤ التى تعرض بعدها المتعلمون لكثير من وسائل الكبت والقهر، من حيث الرقابة الصارمة والنقل والتشتت. كما تعرضت الثورة لعمليات مــن التشــوية والهجوم الشرس فبدأت جريدة " الحضارة" بنشر مقالات تتساءل فيها عن مــن هــو على عبد اللطيف؟ وبما ان السودان مقسم الى قبائل وعشائر لها قيادات وزعماء فقد تساءلت هذه الحملة الاعلامية التى انتشرت، من اين ظهر هؤلاء؟ وكيف؟.

لقد كان هذا الهجوم تأكيدا على ان حركة الطلاب والمثقفين قوية مناهضــة ورافضة لهذه القيادات والمؤسسات الطائفية والعشائرية، تلك الحركات التى اخــذت تستقى افكارها وقيمها ومقاصدها من منابع اخرى، فأصبحت الحركة هــى حركــة الفكر والقناعات.

وبتعدد منابع المعرفة والثقافة اصبح الطلاب والمثقفون السودانيون ليســوا هم نتاج الخلوة والطرق الصوفية، بل نتاج تيارات فكرية وثقافية سائدة فــى مصــر والعالم العربى والاسلامى. ففرضت عليهم هذه المعرفة واقعــا جديــدا بتطــورات

جديدة، فتعرف السودانيون على جهاد الشيخ جمال الدين الافغانى والشيخ محمد عبده، وثورة ١٩١٩م ومصطفى كامل ومحمد فريد ونضالات الشعوب العربية والاسلامية وقادتها.

كل ذلك ادى الى خلق وعى جديد بالعمل الوطنى ضد الاحتلال البريطانى. وادى هذا التنوع فى مصادر المعرفة والثقافة الى شكل جديد لمقاومة الاحتلال البريطانى. ومن هنا كان الاختلاف فى شكل حركة مقاومة الثورة المهدية عن مقاومة ثورة ١٩٢٤م وذلك لاختلاف البيئة بين الفترتين.

ان ثورة ٢٤ اشبه ما تكون بثورة ١٩١٩م فى مصر فالعناصر التى قادت العمل الوطنى المناهض للاحتلال البريطانى، كان هناك تشابه قائم بينهما. لقد كانت ثورة ٢٤ من المثقفين الذين دخلوا المدارس وتلقوا تعليمهم العصرى. ومتأثرين بثقافتهم الوطنية وبيئتهم الاسلامية هذه القيادات نجدها فى ثورة ١٩١٩م والتى كانت تسمى بـ "الافندية".

ان ثورة ٢٤ هى نتاج البيئة الفكرية والنضالية التى كانت سائدة فى المنطقة والسودان وانها نتاج تطور طبيعى ثقافى وفكرى وحضارى ونضالى من المهدية الى قيامها. انها تعبير حقيقى عن ولادة حركة وطنية واسعة كشفت وعرت السياسة التعليمية والادارة البريطانية وزيفها. (٣٦)

- **ثانيا:**

الازمة الاقتصادية العالمية الخانقة فى عام ١٩٢٩م. حيث عمدت الادارة البريطانية الى اسلوب آخر فى محاربة المثقفين. وذلك بتخفيض المرتبات الاساسية التى يتقاضاها الموظفون السودانيون عند تعيينهم فى كلية غردون بنسبة تجاوزت ٣٠% " من ٨ الى ٥,٥ جنيها" وبرغم اجراء بعض التخفيضات على مرتبات الموظفين البريطانيين، الا أن هذا التخفيض لم يكن كبيرا بهذا القدر، كما انه لم يكن مفروضا على المرتبات التى يبدأون بها عند التعيين.

وكان يقصد بهذا الأجراء التقليل من المكانة الاجتماعية والعائلية التى يكتسبها الموظفون. وذلك بسبب الاسهام المالى الذى كانوا يقدمونه لعائلاتهم. وايضا تخوفا من هذه الفئة التى اخذت تتشرب المبادئ السياسية. هذه هى نظرة الادارة البريطانية للمثقفين، اذ كان الهدف من هذا الاجراء اضعاف المثقفين وتقليل الفرص وقفل الطريق امامهم.

وعند اعلان هذا الاجراء قام طلبة الكلية الحربية بالاضراب الشهير احتجاجاً، وحتى يلغي هذا القرار. وانتخب الخريجون " طلاب الكلية سابقا" لجنة للتوسط مع الحكومة التي رفضت فى البداية ان تغير قرارها، وفي وقت لاحق قرر الطلاب ان يعودوا للدراسة وبعد مضى ١٢ يوما من عودتهم اعلن الحاكم العام لوفد من الوجهاء والموظفين انه قرر رفع الحد الادنى للمرتب عند التعيين لخريجى كلية غردون من ٥,٥ الى ٦,٥ جنيها. وكان من نتائج هذه المظاهرة الطلابية أن أدت الي:-

١. اغلاق الكلية الحربية .
٢. نقل بعض المدارس وعلى رأسها المدرسة الصناعية الى عطبرة ومدرسة العرفاء الى بخت الرضا.

إن عمليات النقل والابعاد، تعتبر فى حد ذاتها دليلا على وعى الادارة البريطانية بالدور المتزايد الذى بدأت تلعبه حركة الطلاب والمثقفين. كان اغلاق الكلية الحربية وهى احدى مدارس كلية غردون تعبيرا عن هذا الوعى بخطورة جعل الكلية الحربية كاحدى اقسام كلية عردون، حيث الحوار الطلابى والفكرى والوطنى والثقافى واثره على الطلاب العسكريين وخطورته. وكانت مظاهرة الكلية الحربية عام ١٩٢٤ دليلا على ذلك. كان الهدف الجوهرى هو ابعاد الكلية الحربية عن اية حركة فكرية وثقافية ووطنية وجعل اساس تعليمها منهج اكاديمى عسكرى، يجعلها خادما للسياسات التى يقررها النظام الحاكم. اما نقل المدرسة الصناعية الى

عطبرة فلقد كان ذلك خوفا من قيام حركة نقابية قوية مرتبطة بمركز حركة المثقفين فى السودان داخل الكلية.

إن البريطانيين انفسهم لم يأتوا من فراغ، لقد قدموا من مجتمع بدأت فيه الحركة النقابية البريطانية تقوى، ففى عــام ١٩٢٣م اســتطاعت هــذه الحركــة ان تحكــم بريطانيا. ولذا فقد كان هناك تخوف من قيــام حركــة نقابيــة. وكــان الاســتعمار البريطانى فى كل مرحلة من من مراحل استعماره، اذا شعر بخطورة قطاع معــين يؤثر على التطور السياسى أو يعرقل الخط المرسوم لهذا التطور فأنه يبــدأ علــى الفور بتقليص أو ابعاد وعزل أو احتواء هذا القطاع. وهذا هو الذى حدث للخــلاوى والطرق الصوفية ومناهج الدين الاسلامى وهو الذى حدث للكلية الحربية ومدرســة الصنايع ومدرسة العرفاء التى نقلت الى بخت الرضا(٣٧).

- **ثالــثا:**

من العوامل التى زادت من ترابط المثقفين فــى وجــه المســتعمر اتفاقيــة ١٩٣٦م بين انجلترا ومصر حيث نصت الاتفاقية على أن الهدف الرئيسى لــلادارة البريطانية المصرية فى السودان هو "رفاهية السودانيين" وعلــى عــودة وحــدات الجيش المصرى للسودان بعد ان كانت قد ابعدت عقب ثورة ١٩١٩ وابــان ثــورة ١٩٢٤، والسماح للمصريين بالهجرة الى السودان بدون قيد أو شرط الا ما تستدعيه دواعى النظام. وعلى ترشيح اشخاص بريطانيين أو مصريين مناســبين للمناصــب الرسمية حتى لا يكون هنــاك مــن الســودانيين مــن هــو مؤهــل لشــغل تلــك الوظائف(٣٨).

اثارت هذه المعاهدة تزمر الطلاب والمثقفين السودانيين وذلك لغيبتهم الكاملــة. كما كانت هناك معارضة شعبية للاتفاقية فى مصر وعدم اعتراف شعبى بنتائجها.

وفى هذا الوقت كانت هناك جماعات من الطلاب السودانيين، قد بدأوا يتوجهون الى مصر سعيا وراء التعليم العالى. وكانت هجرة الطــلاب الــى مصــر ظــاهرة

ملحوظة فى هذه الفترة. وكان قلائل منهم يرسلون بمنح مالية مصرية لمتابعة الدراسة فى جامعات بريطانيا وفرنسا.

واتخذت الادارة البريطانية سياسة انشاء صحف وتشجيع بعض الكتابات فيها. وخلق ما يسمى بالثقافة السودانية، كشئ منفصل قائم بذاته ومنعزل عما يحدث من مؤثرات ثقافية وفكرية فى مصر بالذات والبلاد العربية عامة وفى هذه الفترة بدأت سياسة ما يسمى بالادارة الاهلية وتقريب بل وصناعة بعض القيادات القبلية والطائفية كترياق لحركة المثقفين السودانيين.

وكان الهدف من هذه السياسة هو مواجهة المؤثرات الخارجية القادمة من مصر، وبمراجعة صحف هذه الفترة نجد إن كتابات محمد احمد محجوب فى "الفجر" وحسين شريف فى " النهضة" تعبيرا عن هذا الاتجاه الثقافى الذى كانت تهدف اليه الادارة البريطانية ومحاولة تثبيته.

لقد كانت الادارة البريطانية امام امرين هما:-

١. مواجهة ظاهرة الاهتمامات الثقافية، وتزايد الهجرة الى مصر، اما ان تقفل هذه الحركة وتحاول صنع حركة سودانية منفصلة عن حركة ثقافية اكبر عمقا واصالة موجودة فى مصر، وفى هذه الحالة يتم احتواء واستيعاب هذه الحركة.
٢. اذا اقفلت الطريق، فتكون البلاد معرضة لنمو وتطور ثقافى اكثر تحررا وانعتاقا، وبالتالى لا يمكن السيطرة عليه والتحكم فيه.

هذه هى الظروف التى عاشها السودان مع توقيع اتفاقية ١٩٣٦م. وفى هذه الفترة بدأ الطلاب فى مصر يعلنون رفضهم ومقاومتهم لاتفاقية ١٩٣٦م. ويشكلون اللجان لمقاومتها من العمال والطلاب. واشترك جمال عبد الناصر فى احدى هذه اللجان ودخل الكلية الحربية نتيجة لهذه الاتفاقية ايضا.

وكجزء من اهداف ومرامى الادارة البيرطانية كانّ هناك انفراج للمثقفين السودانيين. هذا الانفراج ادى الى تطور كبير واعطى قدرة على الافصاح والتعبير عن مشاكل الشعب السودانى وقضاياه(٣٩).

وبدات الجمعيات الادبية تزدهر ونشأت داخل الاندية والمنازل كحلقات للقراءة والمناقشات. ومن اشهر هذه الحلقات حلقة ابى روف وحلقة الهاشماب. وانتشر هذا اللون من النشاط حتى انه لم يخل منه ناد من الاندية. وامتد هذا اللون من النشاط كذلك الى الإقاليم. ومن هذه الجميعات التى نشأت فى الاقاليم، على اكتاف موظفين عاصميين "جمعية ود مدنى الادبية" التى تعتبر من اكثر الجمعيات نشاطا واكثرها تأثيرا فى تطور النهضة الحديثة. ونشأت هذه الجمعية فى صيف عام ١٩٣٦م وكان ذلك فى رحاب نادى وادمدنى. وكانت اندية الموظفين حينئذ قد صارت من سمات المدن السودانية، ففى عام ١٩٣٠م اقيمت ستة اندية فى الخرطوم وام درمان وثلاثة فى كل من الدويم، عطبرة والقضارف وقيل عنها انها انشئت مراكز للترفيه عن موظفى الحكومة.

ولما كان هدف الاندية هو الترفيه، فقد توفرت فيها العاب التسلية وسمح فيها بتناول المشروبات الروحية المختلفة، مما دفع معظمهم لتجنبها من بينهم احمد خير، وانشأ اسماعيل العتبانى وحسن عثمان نور جمعية ودمدنى واتصلا باحمد خير فانضم لها(٤٠).

وقد حرص القائمون على الجمعية ان يكون الانتساب الى الجمعية مستندا على رغبة العضو، وأن تكون العبرة بالمواظبة على الجلسات الاسبوعية والمساهمة فى الانتاج الادبى، حيث ان هدف الجمعية الاسمى كان تثقيف الاعضاء لانفسهم والمران على الاداء كتابة وارتجالا حتى تسنى للجمعية الازدهار وصارت معلما بارزا لمدينة ودمدنى ومقصدا لزوار المدينة. لكل ذلك فطن رجال الادارة الى ما يكمن وراء نشاط الجمعية فاتخذوها مقياسا لمعرفة الاتجاهات العامة وحرصوا عن

طريق ضابط تعليم المديرية ان يوثقوا معها الصلات فأسهم فى نشاطها الموظفون الإنجليز، وزودوها بالكتب والمراجع الادبية والإنجليزية. وكثيرا ما كان ضابط التعليم يثير للمناقشة بعض الشئون المحلية وبعض النظريات الشيوعية والفاشية والديمقراطية. ولعل الذى اثار اهتمام الادارة الإنجليزية ان الدعوة الى "مؤتمر الخريجين " كانت من بنات افكار احد اعضاء الجمعية، كما اتصل اعضاء الجمعية بحزب مصر الفتاة فى القاهرة وترتب على هذا الاتصال زيارة رئيس الحزب الاستاذ احمد حسين للسودان والقائه محاضرة فى قلب الجزيرة(٤١).

وبينما الجمعية تزاول نشاطها المألوف فوجئ السودانيون بإبرام معاهدة ١٩٣٦م بين انجلترا ومصر، مما دفع باعضائها لبحث هذا الدوقف الجديد. وصار موضوع البحث الذى يتناقشون فيه هو " واجبنا بعد المعاهدة" وفى هذه الفترة زار الجزيرة الاستاذ احمد يوسف هاشم الذى كان يحرر جريدة النيل اليومية ويحرر بجانبها مجلة " الفجر" بعد وفاة عرفات محمد عبد الله. ودعت الجمعية لحضور اجتماعها الذى كان مقررا أن تلقى فيه كلمة فى ذلك الموضوع الذى يشغلها. وكانت كلمة احمد خير عن "واجبنا السياسى بعد المعاهدة" وقام الاستاذ احمد يوسف هاشم بنشر كلمة احمد خير فى مجلة الفجر وعقب عليها مؤيدا وملحا على قيام المؤتمر.

وكان احمد خير قد حذر من ان يقع الفكر المستنير تحت براثن "التقليدية المخجلة" كما اسماها ونادى بأن يحرر الخريجون انفسهم من الشلل الشخصية . وقال إن الصيغة الانسب لتنظيم الخريجين هى صيغة المؤتمر الهندى. ولقد كان الايحاء صريحا. لان المؤتمر الهندى نفسه كان قد تطور من اتحاد لموظفى الحكومة الى حركة وطنية(٤٢).

غير أنه لا يمكن القول بأن كلمة احمد خير وحدها كانت سببا لقيام المؤتمر، وذلك لوجود شعور عام مهيأ لتلقف تلك الفكرة. حيث ان الحاجة الى التكتل كان موجودا فى النفوس ولكن على اشكال مختلفة والذى لا شك فيه هو ان

الرغبة فى توحيد الكلمة وربط المجموعات فى مكان واحـد وعمـل واحـد كـان متوفراً(٤٣).

وبينما تصورت حكومة الحكم الثنائى البريطانية وأغلب أبكار الخريجين أن المؤتمر لا يعدو ان يكون جهازا للتعبير عن مصالح المثقفين وافكارهم كان صـغار الموظفين يرون فيه القاعدة لانطلاق الحركة الوطنية(٤٤).

وحين إنتقال فكرة المؤتمر الى ام درمان. توسعت وصارت تعقد اجتماعات اسبوعية يتكلم فيها الخريجون وقد كان لمحمد احمد محجوب دور بارز فـى هـذه الاحاديث الاسبوعية. وكانت الاحاديث تدور حول موضـوعيات سياسـية وتفـاكر حول مستقبل السودان وتقبل الإنجليز فكرة المؤتمر بالرضا لما تحتوية من اغراض اجتماعية ولكن كان الرضا مشوبا بنوع من الحذر والمراقبة.

ويبدو أن أهداف المؤتمر لم تكن واضحة فى البداية بالنسبة للاعضاء، حيث كانت الآراء متباينة، فلجأوا إلى كتابة أوراق صغيرة ليجيب عليها كل عضـو فـى المؤتمر على حده تحوى سؤالا. المؤتمر كيف تريـده أن يكـون ؟ وأتضـح مـن الإجابات بأن هنالك إختلافا كبيراً بين الاعضاء فى تصورهم لمـؤتمر الخـريجين والعمل الذى يمكن ان يقوم به. فالبعض كان يرى أن يبحث المـؤتمر فـى شـئون الموظفين ومشاكلهم فى حين يرى البعض الاخر الاهتمام أولا بالنواحى السياسـية وتحديد طموح الناس مستقبلا. وبين هذين الرأيين ظهرت آراء اخرى مختلفة(٤٥).

ونسبة لذلك التباين فى الآراء فإن مؤتمر الخريجين لم يبدأ ببرنامج سياسـى مفصل واضح، أو بهدف سياسى محدد بل اكتفى فى البداية بهدف عام هو "تطـوير الخير العام للبلاد وخريجيها" وهى عبارة تذكر بالعبارة المستعملة فى تحديد هـدف الدولتين المتعاقدتين فى ادارتهما للسودان كما ورد فى معاهدة ١٩٣٦. كان معظـم اعضاء المؤتمر من موظفى الحكومة. وذكريات عام ١٩٢٤، وما اعقبه مـا تـزال

حية فى اذهانهم فكان الاعتدال والحذر هما الطابع الملحوظ. ولم تعترف الحكومة بالمؤتمر الا بمقدار ما يمثل آراءه الخاصة وآراء اعضائه فقط.

واهتمت هذه المنظمة الجديدة، التى تألفت من اعضاء متعلمين اهتماما عظيما بقضية التعليم ولعبت دورا هاما فى هذا المجال(٤٦).

وبعد الحرب العالمية الثانية التى كان من ثمارها ان وعد اقطاب المعسكر الاستعمارى كل البلدان التى تشترك فى الحرب بأنها ستمارس حقها فى تقرير مصيرها بعد الحرب، وهذه الوعود كانت من الاسباب الرئيسة التى دفعت بمؤتمر الخريجين الى ارسال مذكرة للادارة البريطانية عام ١٩٤٢م مطالبا بحق تقرير المصير بعد الحرب. كما ظهر جو ديمقراطى نسبى داخل السودان. فنشأت بعض الصحف واصبحت اكثر جرأة فى نقد المظالم الواقعة على السودانيين ونقد سياسة المفتشين البريطانيين كما الغيت عقوبات الجلد بصورها المتوحشة السابقة، وسمح للطلبة باصدار صحف الحائط وتكوين اتحادات اقليمية خلال العطلات المدرسية. ومن ناحية اخرى فإن الحصار الحربى والجوى على بريطانيا اضطر الادارة البريطانية لانشاء العديد من ورش الصيانة لالات الحرب والمواصلات، وابتدأ العمال السودانيون يتدربون على الآلات الجديدة، مما سمح بتطور فى مستوى التدريب الفنى لديهم. وقد زادت بعد إنشاء هذه الصناعات أعداد الطبقة العاملة وانضم الى صفوفها عدد من المزارعين والنازحين من القرى المجاورة. ومن نتائج الحرب فى السودان من الناحية الاقتصادية اختفاء السلع الضرورية وهيمنة السوق السوداء نتيجة لجشع التجار مما اطلق حالة من التذمر والسخط على الادارة البريطانية بين معظم الطبقات الاجتماعية وبدأت هذه العوامل تنذر بانفجار وقد ظهر ذلك فى أول عصيان قام به جنود قوة دفاع السودان عام ١٩٤٥ عند تسريحهم دون مكافأة.

وهنا واجه الاستعماريين فى السودان فى ايام الحرب الاخيرة ازمة سياسية حادة(٤٧).

وكرد فعل لتحرك الخريجين ومطالبتهم بحق تقرير المصير، بدأ الاستعمار يخطط لمستقبل السودان. وبدأ بالفعل يطبق جميع الاساليب التى طبقها فى البلاد الاخرى حتى يضمن لنفسه وجودا شرعيا ولو كان مزيفا.

لذلك فكر الإنجليز فى انشاء هيئة يشترك فيها السودانيون وتقوم بتصريف شئون البلاد السياسية لكن بصفة استشارية، ومن هنا جاء المجلس الاستشارى لشمال السودان سنة ١٩٤٣م والذى وقف ضده مؤتمر الخريجين واصدر المؤتمر قرارا اعلن فيه مقاطعة المجلس الاستشارى، واعتبار كل من يتقدم لعضوية المجلس خارجا على المؤتمر ومفصولا عنه.

واتخد هذا الموقف لان السودانيين المتعلمين كانوا بصورة عامة يرون فى تشكيل المجلس الاستشارى لشمال السودان استمرارا لسياسة الادارة الاهلية، كما تجاهل المجلس كذلك تمثيل السودانيين المتعلمين سوى عدد قليل جدا منهم. ومما يذكر ان المجلس كان مؤلفا بالدرجة الأولى من رؤساء دينيين وقبليين وتقليديين لا يتمتعون بأية صلاحية حقيقية. كذلك لم يكن الجنوب ممثلا فيه لان الحكومة لم تكن قد قررت بعد ان الجنوب ينبغى ان ينضم الى الشمال(٤٨).

ويبدو ان سياسة الإنجليز فى الظاهر حيال المجلس هى تدريب السودانيين على النظم الدستورية وتطوير المجلس الى جمعية تشريعية يتدرب فيها السودانيون على الأعمال الدستورية. ويناقشون بعض شئون بلادهم مع الاحتفاظ للحاكم العام البريطانى بكل الحقوق. ومن اهم الاعمال التى قام بها المجلس الاستشارى هى مناقشة مؤتمر إدارة السودان وإقراره والذى شكل فى ابريل عام ١٩٤٦م. ليدرس الخطوات المؤدية لاشراك السودانيين فى قضايا بلادهم اشراكا أوسع مما هو معمول به بالنسبة للمجلس الاستشارى. وقد كان من ضمن توصيات مؤتمر الإدارة

قيام جمعية تشريعية يمثل فيها كل السودان شماله وجنوبه وبهذا يختلف عن المجلس الإستشارى الذى كان قاصراً على الشمال فقط.

غير ان هذه التوصية لم تجد قبولا عند حكام السودان الإنجليز وذلك لتعارضها مع سياساتهم البريطانية الرامية لفصل الجنوب عن الشمال علما بأن ضغطا امريكيا قد تم على بريطانيا للحفاظ على السودان موحدا. لذلك فقد تم عقد مؤتمر فى جوبا فى يونيو ١٩٤٧م لمناقشة توصيات مؤتمر الادارة فيما يتعلق بتمثيل الجنوب فى الجمعية التشريعية. وكان المؤتمر برئاسة السكرتير الادارى لحكومة السودان وعضوية مديرى المديريات الجنوبية الثلاثة. ومدير شئون الخدمة ومساعد السكرتير الادارى وجميعهم من البريطانيين كما ضم المؤتمر ثمانية عشر عضوا يمثلون المديريات الجنوبية وخمسة اعضاء يمثلون شمال السودان.

ومما يذكر ان هذا المؤتمر قد سبقه اجتماع ممثلى الجنوب ومديرى المديريات الجنوبية الثلاث الذين أوعزوا للجنوبيين بأن لا يقبلوا بالذهاب الى الجمعية التشريعية فى الشمال والمطالبة بانشاء مجلس استشارى لجنوب السودان. وبعد مشاورات طويلة وحادة تمكن الاعضاء الشماليون من إقناع اخوتهم الجنوبيين بالاشتراك فى الجمعية وقال السيد كلمنت امبورو ان خير وسيلة لحماية الجنوبيين هى ان يذهبوا الى الخرطوم ويشاركوا فى الجمعية التشريعية مع اخوانهم الشماليين. وقد أيده السيدان جيمس تمبرا وحسن فرتاك وغيرهما من الاعضاء الجنوبيين وقال الاخير لقد اتفقنا على ان السودان قطر واحد ولقد كان هذا هو اهم قرار اتخذ فى هذا المؤتمر(٤٩).

وقامت الجمعية التشريعية فى ديسمبر ١٩٤٨م دون موافقة الحكومة المصرية وبمقاطعة من غالبية الشعب السودانى.

وكانت مصر قد دخلت فى مناقشات حادة وطويلة مع وزارة الخارجية البريطانية. ملحة الا يخطو السودان هذه الخطوة الان. وانها قد توافق على الجمعية

اذا كانت فى اطار وحدة وادى النيل تحت التاج المصرى، وهذا ما كان مرفوضا لدى الاستقلاليين والبريطانيين.

فى هذا الجو قامت الجمعية التشريعية وتكونت من سبعة وثمانين عضوا سودانيا وخمسة بريطانيين بحكم مناصبهم فى الحكومة. وكان الاعضاء السودانيين يمثلون حزب الامة والاستقلاليين ومن زعماء العشائر على اختلاف الوانهم ومن الجنوبيين وغيرهم.

وقد ترأس مجلس الجمعية محمد صالح الشنقيطى، وكاتب الجمعية محمد عامر بشير فوراوى وزعيم الجمعية عبد الله خليل.

اما الاحزاب الوحدوية والإتحادية فقد عارضت الجمعية وسيرت التظاهرات فى المدن الثلاث بالعاصمة الخرطوم، بحرى، ام رمان وعطبرة وودمدنى والابيض وسواها. واعلن السيد اسماعيل الازهرى زعيم الجبهة الاتحادية الوحدوية رفضه "الجمعية" حتى ولو جاءت مبرأة من كل عيب. وبرز اتجاهان داخل الجمعية التشريعية. الأول الاتجاه السياسى الذى كان يلتزم به حزب الامة والاستقلاليون داخل الجمعية وخارجها وهو أن تتجه الجمعية نحو الحكم الذاتى ثم الاستقلال اما الاتجاه الاخر فقد تزعمه البريطانيون اعضاء الجمعية ومعهم نفر من الموظفين وزعماء العشائر. وهو الا تتعجل الجمعية نحو خطوات تؤدى الى الاستقلال. أما الأعضاء الجنوبيون فكانوا يعملون على ان يحصل السودان على الحكم الذاتى فى اقرب وقت ممكن ثم بعد ذلك يحصل على إستقلاله.

وقد كان مع الجمعية مجلس تنفيذى وهو عبارة عن مجلس وزراء مسئول امام الجمعية يعرض مشروعاته وقراراته الهامة وقوانينه عليها لتناقشها وتقررها أو ترفضها. ويتكون المجلس التنفيذى من اثنى عشر عضوا، خمسة بريطانيين بحكم مناصبهم وسبعة سودانيين، منهم عبد الله خليل وإبراهيم احمد وعلى بدرى وعبد الرحمن عابدون وعبد الرحمن على طه(٥٠).

واستمرت الجمعية التشريعية والمجلس التنفيذى فى حكم البلاد لمدة اربع سنوات تميزت بأنها كانت سنوات اضطرابات وكبت. ومقاطعة شعبية واسعة للجمعية التشريعية وذلك بعد قيام مظاهرات عنيفة فى المدن نظمتها الحركة السياسية المعارضة ونقابات العمال والطلاب.

ونتيجة لهذه المعارضة وتلك الاضرابات انقسم الرأى داخل الجمعية التشريعية، فأراد بعضهم تطوير الجمعية التشريعية بتعديل قانونها بحيث يشترك بها جميع المواطنين أو على الاقل اغلبيتهم فى حين كانت رغبة البعض الاخر العمل داخل الجمعية بوضعها الراهن.

ومن هنا جاءت محاولة تعديل قانون الجمعية وتوسيع قاعدتها بناء على رغبة الفريف الأول.

استمرت لجنة تعديل الدستور فى اعمالها ووضعت مقترحاتها الخاصة بدستور الحكم الذاتى فى نوفمبر ١٩٥١م ولم يبق لها إلا وضع قواعد الإنتخابات ولكن عملها توقف باستقالة خمسة من أعضائها بعد الغاء مصر لمعاهدة ١٩٣٦م واتفاقيتى ١٩ يناير و١٠ يوليو١٨٩٩م. ونسبة لاستقالة هؤلاء امر الحاكم العام بحلها فى ٢٦ نوفمبر ١٩٥١ كما طلب من رئيسها تقديم تقرير عن اعمالها حتى تاريخ حلها. وهذا التقرير هو الذى بنى على اساسه قانون الحكم الذاتى فيما بعد.

بعد ذلك عهدت حكومة السودان إلى لجنة خاصة صياغة مشروع قانون الحكم الذاتى وفقا لتلك التوصيات. وقدم مشروع القانون للجمعية التشريعية لدراسته والموافقة عليه.

وقد ناقشت الجمعية المشروع فى عدة جلسات ووافقت عليه فى جلسة الاربعاء ٢٣ ابريل ١٩٥٢م مع رجائها من الحاكم ادخال بعض التعديلات الطفيفة عليه . على ان مشروع القانون لم يحدد فترة الانتقال التى يمارس فيها الشعب السودانى الحكم الذاتى و التى يعقبها تقرير المصير(٥١).

ورفع الحاكم العام فى مايو ١٩٥٢ مشروع قانون الحكم الذاتى لدولتى الحكم الثنائى. فكانت الموافقة البريطانية فى ٢٣ اكتوبر ١٩٥٢ بينما كانت موافقة مصر فى ذلك الوقت شبه مستحيلة لولا قيام الثورة المصرية فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢.

وبوصول الضباط الاحرار الى السلطة المصرية وتحمل مسئولية الحكم، حتى فرضت القضية الوطنية نفسها والتى كانت تشمل قضية السودان بجانب قضية تحرير مصر. وبعد ان تقدم رجال الثورة بمذكرتهم لبريطانيا بشأن قانون الحكم الذاتى عملوا على جمع كلمة السودانيين.

ويقول فؤاد سراج الدين. ان محمد صلاح الدين وزير الخارجية المصرية فاجأهم قبل سفره الى باريس فى يناير ١٩٥٢ لحضور اجتماعات عصبة الامم بأنه يريد القاء قنبلة يتحدى بها البريطانيين على أساس قبول الإستفتاء إذا خرج الموظفون البريطانيين من السودان. ولكن الحكومة المصرية لم توافق لمخالفة ذلك لسياسة الوفد، وخشيتهم من التدحرج لقبول الاستفتاء، وما قد يصحب ذلك من تعثر الضمانات المطلوبة لاستفتاء حر سليم.

ولكن الحكومة فوجئت بأن صلاح الدين يعلن فى هيئة الامم المتحدة فى دورتها الاخيرة بباريس، بأن مصر توافق على أن يكون هناك استفتاء فى السودان بين السودانيين على الاستقلال أو الاتحاد مع مصر. واجتمع مجلس الوزارء فورا لمناقشة خطاب صلاح الدين. وقد هاجمه بعض الوزراء وفى طليعتهم طه حسين الذى تحدث عن " الخيانة الوطنية العظمى" التى ارتكبها وزير الخارجية. ولكن صلاح الدين وصل فى ٢٧ يناير بعد إقالة الحكومة الوفدية.

ومبدأ الاستفتاء الذى قبله صلاح الدين بضمان خروج الموظفين البريطانيين قبل اجرائه، كان محور اهتمام ضباط ثورة يوليو عقب وصولهم للسلطة(٥٢).

وقد كان جمال عبدالناصر يرى انه لا يمكن اسقاط ارادة الشعب السودانى من حساب اى عمل وحدوى. فهناك شعبان وليس شعب واحد الشعب المصرى

والشعب السودانى وان المسألة ليست مسألة مملتلكات وليست النظرة القديمة التى كانت سائدة.

ووجد عبد الناصر نفسه امام الخيار الصعب. الوحدة مع السودان طبيعية اذا اختارها شعب السودان ولم تفرض عليه فرضا.

اذا لابد من قرار وكان القرار هو اعطاء السودان حق الطريق الذى يريده شعبه. اما الوحدة مع مصر واما الإستقلال(٥٣).

وتوافدت وفود الأحزاب السودانية على مصر للتعرف بقيادة الحركة من ضباط الجيش. وكان محمد نجيب معروفا لأغلبهم. وكان صلاح سالم حلقة الوصل بهم بعد أن كلفه المجلس بالاشراف على شئون السودان.

وكانت نقطة البدء هى توجيه الدعوة لممثلى كافة الاحزاب السودانية لمناقشة الموقف والاتفاق على رأى موحد. وذلك لان المفاوضات كانت ستجرى بين مصر وانجلترا لحل قضية السودان. وقد رأت حكومة الثورة فى مصر الا تبدى رأيا حول مشروع دستور الحكم الذاتى الذى بعثت به اليها حكومة السودان على نحو ما بعثت به الى الحكومة البريطانية، إلا بعد ان توحد آراء السودانيين وتوحد كلمتهم. وفى ذلك الوقت كانت الاحزاب السودانية كلها بغير استثناء تطالب بانهاء الحكم الثنائى المصرى البريطانى والادارة البريطانية التى تحكم السودان.

وقد كانت الأحزاب السودانية تنقسم فى اتجاهها العام إلى قسمين وتتجه فى تيارين متباعدين. فهناك احزاب اتحادية تنادى بالارتباط مع مصر بطريقة أو أخرى، وهناك أحزاب هدفها الإستقلال الكامل للسودان.

لذا لابد من وقفة للتعرف على طبيعة الاحزاب السودانية سواء كانت اتحادية أو استقلالية.

وقد نشأت التعددية السياسية في العهد الاستعمارى، حيث كانت تقوم بدورها الوطنى ضد الاستعمار والامبريالية. وقد بدأت الحركة الوطنية الحديثة كفصيل

واحد فى بوتقة مؤتمر الخريجين عام ١٩٣٨م. إلا أن التعددية السياسية انبثقت منه بعدذلك بأصل ثنائى فى منتصف الاربعينات ... فى هذه السنين حصل انقسام فى اتجاهات الرأى داخل مؤتمر الخريجين فبرز الاصل الثنائى للحركة السياسية فى السودان. كان الاصل منها المعسكر الاتحادى والاصل الثانى معسكر الاستقلال(٥٤).

ومن اهم الأحزاب الاتحادية التى تنادى باتحاد مع مصر والسودان حزب الاشقاء الذى يرأسه إسماعيل الأزهرى يريد اتحادا مع مصر تحت التاج المصرى. انشئ هذا الحزب عام ١٩٤٣ ويوافق على حكم ذاتى محدود، ويترك لمصرالشئون المالية والخارجية والدفاع. وقد انقسم هذا الحزب عام ١٩٥١م وخرج منه جناح اطلق على نفسه جزب الاشقاء ايضا وهو ينادى بوحدة وادى النيل. والخلاف بين جناحى الحزب خلاف شخصى بين رئيسه اسماعيل الازهرى ووكيله محمد نور الدين.

كذلك توجد احزاب اتحادية صغيرة هى حزب الاتحاديين نشأ فى اكتوبر ١٩٤٤ برئاسة حماد توفيق، يرى الاتحاد مع مصر بنظام الدومنيون ويرى كذلك ان حق السودان الانفصال عن مصر فى اى وقت يشاء، ومعظم اعضاء هذا الحزب من الموظفين وعدد قليل من الريفيين. وفى المرحلة الابتدائية يقبل الحزب اشراف مصر على الشئون الخارجية والمالية والدفاع. ثم هناك حزب الأحرار الاتحاديين ويرأسه الطيب محمد خير وقد انفصل عن حزب الاحرار. ويرى ان العلاقة مع مصر تكون على اساس الاتحاد الكونفيدرالى. ولا يوافق على ان يكون السودان تحت التاج المصرى بل يطالب بالاستقلال على ان تمنحه مصر للسودان طواعية واختيارا بلا مشاكل أو صراعات.

حزب الجبهة الوطنية.. وأغلب اعضاء هذا الحزب من الختمية اتباع السيد على الميرغنى ويرى هذا الحزب أن تكون علاقته بمصر على اساس الدومنيون وهو يتمسك بالحكم الذاتى الكامل للسودان حيث يكون له الاشراف على ميزانيته

ودفاعه وشئونه الخارجية ويرفض اعطاء مصر حق حل البرلمـــان الســـودانى أو عزل الوزراء. وهذا هو الحزب الوحيد بين الاحزاب الاتحادية الذى لا توجـــد فيـــه اغلبية للموظفين. ونشأة الحزب واساس سياسته هى المخاوف والغيرة مـــن الســـيد عبد الرحمن المهدى. ومن ابرز شخصيات الحزب الدرديرى محمد عثمـــان الـــذى كان يعتبر مستشارا للسيد على الميرغنى.

حزب وحدة وادى النيل.. انشئ عـــام ١٩٤٦ ويرأســـه الـــدرديرى احمـــد اسماعيل ويرى الاندماج الكامل مع مصر(٥٥).

وقد تم توحيد هذه الأحزاب الاتحادية المبعثرة فى القاهرة بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو عن طريق تفويض لجنة ثلاثية من الدرديرى احمد اسماعيل وخضـــر حمـــد وميرغنى حمزة لوضع ميثاق تأليف الحزب الواحد.

وقد وافق الجميع ووقعوا تحت هذه العبارة "اقبل قيام الحزب الواحـــد بـــأى وضع يرتضيه الثلاثة" ووقع على هذا التفويض كل من محمد نور الـــدين وحمـــاد توفيق والدرديرى أحمد إسماعيل والدرديرى محمد عثمان والطيـــب محمـــد خيـــر واسماعيل الازهرى وخضرحمد ويحى الفضلى كما وقع معهم محمد نجيب وصلاح سالم وحسين ذو الفقار صبرى.

وهكذا انبثق عن هذه اللجنة تكوين "الحزب الوطنى الاتحادى" مـــع اختيـــار اسماعيل الازهرى رئيسا ومحمد نور الدين نائبا له ونص دســـتور الحـــزب علـــى جلاء الإنجليز وقيام اتحاد مع مصر بعد تقرير المصير. ومع ضمان موافقة حـــزب الأمة على نتيجة الاستفتاء اياً كانت نتيجته(٥٦).

وفى الجانب الاخر نجد الاحزاب الاستقلالية. ومن اهمها حزب الامة الذى نشأ فى عام ١٩٤٥م فى بيت عبد الرحمن المهدى. وقد رفع الحزب شعار السودان للسودانيين وقد رأى أن يفصل نشاطه السياسى عن نشـــاطه الـــدينى بإنشـــاء هـــذا الحزب.

وقد انضوى تحت لواء هذا الحزب حزب القوميين والذى برز فى عام ١٩٤٤ وقد كان القوميون من اعضاء مجموعة الفجر بقيادة احمد يوسف هاشم ومحمد احمد محجوب وكان برنامجهم يدعو بريطانيا ومصر الى تحديد فترة انتقالية لتقرير المصير تسلم السلطة خلالها تدريجيا من سلطات الاحتلال للسودانيين. ومن بين الذين اسسوا حزب الامة احمدعثمان القاضى وعبد الله خليل ومحمد على شوقى وابراهيم احمد ومحمد الخليفة شريف. ومحمد عثمان ميرغنى واحمد يوسف هاشم(٥٧).

الحزب الجمهورى الاشتراكي:- وهذا الحزب انشئ فى عام ١٩٥٠ وقد انشأه الإنجليز معتمدين فيه على بعض الختمية والعمد ونظار القبائل. وكان يرمى الإنجليز من انشائه ان يكون بديلا لحزب الاشقاء الذى وقف صلبا ضد الجمعية التشريعية(٥٨).

اما حزب الامة فيرى ان هذا الحزب انشأه الإنجليز علنا فى السودان وعملوا على نشر دعوته بواسطة مديرى المديريات البريطانيبن ومفتشى المراكز البريطانيين وبذلوا جهدهم لاخراج الناس من حزب الامة والانضمام للحزب الجديد الذى قصد منه ان يعرقل السير فى الطريق الى الحكم الذاتى أو فى طريق الاستفتاء أو فى طريق تقرير المصير(٥٩).

ويقول الدرديرى ابراهيم احد الاعضاء البارزين فى الحزب: ان مؤسس الحزب ابراهيم بدرى متحدث قوى ولديه ملكة فى اقناع الاخرين مما سهل عليه التغلب على زعماء العشائر وضمهم للحزب. وكان يرى انه بكسبه زعماء العشائر يمكن استقطاب أغلبية السودانيين للحزب.

ولا يرى الدرديرى إبراهيم حزب الامة مناوئا للحزب الاشتراكى الجمهورى بل هما متفقان فيالهدف وهو استقلال السودان.

ولكن السؤال الذى كان يطرح نفسه هو ما شكل هذا الاستقلال هـل يكـون جمهوريا ام ملكيا؟ وهذا ما أوضحه ابراهيم بدرى. بأن الاستقلال يكون جمهوريـا. مما صادف هوى فى نفوس اعضائه والذين كان ينتمى البعض منهم لحزب الامة.

اما عن اتهام الحزب بانشائه من قبل الإنجليز فيقول الدرديرى ابراهيم: انه لا يستطيع ان ينفى هذه التهمة لان الكثيرين من اعضائه الذين كانوا ينتمون لحزب الامة كانت لهم اتصالات قوية بالإنجليز، كما أن زعماء العشائر كـانوا مـوظفين للانجليز. ولكننا لم نسأل زعماء العشائر هل جاءوا برغبة مـنهم أو بإقنـاع مـن ابراهيم بدرى ام بتوجيه من الإنجليز. ولكننى وقعت نيابة عـن الحـزب الإتفاقيـة الأخيرة فى يناير ١٩٥٣ ولم يتكلم معى احد من الإنجليز أو يسألنى عن ماذا يريـد الحزب أو الغرض من تكوينه. ومما يذكر ان لهذا الحزب ارتباطات قويـة بالكتلـة الجنوبية(٦٠).

وقد استمر الحزب الجمهورى الاشتراكى يعمل حتى الاستقلال وحصل فى الانتخابات البرلمانية العامة سنة ١٩٥٣ على ثلاثة مقاعد فى مجلس النواب. الا انه اختفى بمجرد اعلان الاستقلال(٦١).

وفى تلك المرحلة كان هم الاحزاب السودانية الاساسى هو مستقبل السودان السياسى - الاستقلال أو الاتحاد اكثر مما اهتمت بالتغيير الاجتماعى أو الاقتصادى. وقد أدى عجز الأحزاب السياسية الرئيسية عن وضع تصور لتغيير جذرى خـارج اطار الحقل السياسى الى ظهور حركة رادكالية جديدة تتكون من مجموعات سياسية ملتزمة ببرامج التغيير الاجتماعى والاقتصادى التى اهملتهـا الاحـزاب الأخـرى فظهرت الحركة السودانية للتحرر الوطنى "حستو" والتى اصبحت فيما بعد الحـزب الشيوعى السودانى والذى وجد التجاوب عند بعض الطبقات الوسيطة وفى أوسـاط العمال كما ظهرت حركة التحرير الاسلامى كتعبير عن رفضهم للحركة الشيوعية

وارتباطهم بالقيم الاسلامية ورفضهم للطائفية والاحزاب التقليدية على حد سواء(٦٢).

أما الأحزاب الجنوبية وحتى أواخر عام ١٩٥٣ فلم يكن هناك سوى حزب سياسي واحد هو حزب الاحرار الجنوبى وقد أدت المحادثات بين الاحزاب السودانية الرئيسية بعد اتفاقها على رأى موحد مع الحكومة المصرية الى اتفاق حول اطار لتقرير المصير فى العاشر من يناير ١٩٥٣. تبع ذلك إتفاق بريطانى مصرى توصلوا من خلاله إلى توقيع إتفاقية السودان فى يناير ١٢فبراير ١٩٥٣م. وقع الاتفاقية محمد نجيب عن الحكومة المصرية ورالف ستيفنسون عن الحكومة البريطانية. وقد نصت الاتفاقية على تحديد فترة انتقال مدتها ثلاث سنوات يتم فيها تصفية الادارة الثنائية "الإنجليزية المصرية" ويكون للحاكم العام أثناء فترة لانتقال السلطة الدستورية العليا وفقا لقانون الحكم الذاتى تعاونه لجنة محاسبة مؤلفةمن عضوين سودانيين ومصرى وبريطانى وباكستانى. وتقرر ايضا تأليف جمعية تأسيسية منتخبة لتقرير مصير السودان على هذين المحورين:-

أ. ارتباط السودان بمصر على اية صورة.

ب. أو الاستقلال التام اى الانفصال عن مصر.

وأن تنسحب القوات العسكرية البريطانية والمصرية من السودان فور اصدار قرار البرلمان السودانى ورغبته فى الشروع فى اتخاذ التدابير لتقرير المصير. كما شكلت لجنة لسودنة الوظائف خلال فترة الانتقال.

ومن ثم أجريت أول إنتخابات فى ظل الإتفاقية حيث فاز الوطنى الإتحادى باغلبية ساحقة وتولى اسماعيل الازهرى رئاسة أول وزارة سودانية فى يوم ٩ يناير ١٩٥٤.

وبعد ان اخذت اجراءات السودنة مداها وأوشكت ثلاث سنوات الاتفاق على النهاية، ابلغت حكومة السودان برئاسة الازهرى حكومتى بريطانيا ومصر برغبة

الجمعية التاسيسية فى سحب جيش الاحتلال لاجراء الاستفتاء فى جو حر ومحايـد وبالفعل سحبت مصر وبريطانيا جيوشهما وتم الجلاء فى نوفمبر ١٩٥٥م.

ووجدت حكومة السودان بعد الجلاء ان الامر لا يحتاج الى استفتاء بشـأن شكل الحكم بعد اتفاق كل الاطراف الحاكمة على معارضة الاتحاد.

واعلنت قيام الجمهورية السودانية فى ١٩ ديسمبر ١٩٥٥. وتشكيل مجلـس قيادة لرئاسة الدولة(٦٣). وأعلن إستقلال السودان رسمياً فى أول يناير ١٩٥٦.

مراجع الفصل الاول

١. قسطنطين زريق. نحن والتاريخ . ـ ٢. ـ بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٦٣. ـ ١٢.
٢. نعوم شقير. جغرافية وتاريخ السودان. ـ بيروت : دار الثقافة، ١٩٦٧م. ـ ص ٢٩٧.
٣. ـــــــ. المصدر السابق. ـ ص ٩.
٤. ابراهيم محمد حاج موسى. التجربة الديمقراطية وتطور نظم الحكم فى السودان. ـ القاهرة : دار الأهرام، ١٩٧٠.ـ ص (و)
٥. يوسف فضل حسن. "المصادر السودانية الأولية قبل الثورة المهدية." ـ مجلة الدراسات السودانية. ـ ع أ. ـ الخرطوم : شعبة أبحاث السودان، جامعة الخرطوم، ١٩٧١م . ـ ص ٣٦.
٦. الشاطر بصيلى عبد الجليل. تاريخ وحضارات السودان الشرقى والأوسط، القرن السابع الى القرن التاسع عشر الميلادى. ـ القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م. ـ ص ٩١.
٧. ـــــــ. المصدر السابق. ـ ص ٩٦.
٨. محمد المكى إبراهيم. الفكر السودانى : أصوله وتطوره. ـ ط١. ـ د.م : إدارة النشر الثقافى، ١٩٧٦م. ـ ص ٣.
٩. إبراهيم محمد حاج موسى. مصدر سابق. ص (ط).
١٠. نعوم شقير. مصدر سابق. ـ ص ٣٤٧.
١١. مكى شبيكة. السودان عبر القرون. ـ ط٢. ـ بيروث : دار الثقافة، ١٩٦٥م. ـ ص ٢٥ – ٢٦.
١٢. محمد المكى إبراهيم. مصدر سابق. ـ ص ٣.
١٣. ميرغنى النصرى. مبادئ القانون الدستورى والتجربة الديمقراطية فى السودان. ـ ط١. ـ د.م : دار الطباعة، ١٩٩٨م. ـ ص ٣٣١.
١٤. مكى شبيكة. مصدر سابق. ـ ص ٢٧.
١٥. ـــــــ . مصدر سابق. ـ ص ٨٣.
١٦. محمد المكى إبراهيم. مصدر سابق. ـ ١١.
١٧. محمد إبراهيم أبو سليم. الحركة الفكرية فى المهدية. ـ الخرطوم : قسم التأليف للنشر بجامعة الخرطوم، ١٩٧٠م. ـ ص ١١.
١٨. ميرغنى النصرى. مصدر سابق. ـ ص ٣٣٧ ـ ٣٣٨.
١٩. عبد الخالق محجوب. لمحات من تاريخ السودان. ـ ط٢ . ـ الخرطوم : دار الوسيلة للطباعة والنشر، ١٩٨٧م. ـ ص ١٣ – ٢٤.
٢٠. محمد المكى إبراهيم، مصدر سابق. ـ ص ٤٦.
٢١. أحمد خير. كفاح جيل. - ط٢. الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٧٠. ـ ص ١٩.

٢٢. الهادى أبو بكر.(مادة مسجلة فى أشرطة كاسيت مع بابكر كرار بالخرطوم). ـ د. ت.
٢٣. جعفر محمد على بخيت. الإدارة الريطانية والحركة الوطنية فى السودان، ١٩١٩ – ١٩٣٩م. ـ ترجمة هنرى رياض . ـ ط١. ـ بيروت : دار الثقافة، ١٩٧٢م. ـ ص ٧٣.
٢٤. احمد خير. (مادة مسجلة مع بابكر كرار) . ـ الخرطوم، ١٩٨٠م.
٢٥. جعفر محمد على بخيت. مصدر سابق. ـ ص ٧٤ – ٧٥.
٢٦. تيم نيبلوك. صراع السلطة والثروة فى السودان. ـ ترجمة الفاتح التجانى، محمد على جادين. ـ ط٢. ـ الخرطوم : دار الخرطوم للطباعة والتوزيع، ١٩٩٤م. ـ ص ١٥٨.
٢٧. أحمد خير. كفاح جيل . ـ مصدر سابق. ـ ص ٢٨.
٢٨. الهادى أبو بكر. (مادة مسجلة مع بابكر كرار فى أشرطة كاسيت). ـ الخرطوم، د.ت.
٢٩. عبد الرحمن خانجي. "الجذور الفكرية لثورة ١٩٢٤م. ـ مجلة الدراسات السودانية. ـ الخرطوم : معهد الدراسات الأفريقية والآسيوية : جامعة الخرطوم، ١٩٢٢م. ـ ص ٩٦-٩٧.
٣٠. جعفر محمد على بخيت . ـ مصدر سابق. ـ ص ١١٦-١١٧.
٣١. عبد الرحمن خانجى. ـ مصدر سابق. ـ ص ٧٦.
٣٢. أحمد عوض موسى، تاريخ الحركة الطلابية السودانية إصدارات الحزب الأشتراكى الاسلامى. ـ ط١. ـ الخرطوم : دار المسيرة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م. ـ ص ٣٧-٣٩.
٣٣. أحمد خير. (تسجيل مع بابكر كرار بمنزل أحمد خير بالخرطوم). ـ ١٩٨٠م.
٣٤. بشير محمد سعيد. الزعيم الأزهرى وعصره. ـ ط١.ـ القاهرة : الحديثة للطباعة، ١٩٩٠م. ـ ص ٤٩-٥٠.
٣٥. بابكر كرار. التيارات السياسية فى مصر : تسجيل فى لقاء مع الطلبة. ـ ليبيا، ١٩٧٧م.
٣٦. أحمد عوض. مصدر سابق. ـ ص ٤٥-٥١.
٣٧. ـــــــ . مصدر سابق. ـ ص ٣٩ – ٤٢.
٣٨. تيم نيبلوك. مصدر سابق. ـ ص ١٧٢.
٣٩. أحمد عوض. مصدر سابق. ـ ص ٥٨-٦٠.
٤٠. عمر عبد الله حميدة أحمد. أحمد خير المحامى : دراسة ونقد وتحليل لمشاركته السياسية وفكره السياسى. ـ الخرطوم : جامعة الخرطوم، ١٩٩٦م. ـ رسالة ماجستير.
٤١. أحمد خير. كفاح جيل. مصدر سابق. ـ ص ٧١-٧٣.
٤٢. بشير محمود بشير. مؤتمر الخريجين. ـ ط١. ـ الخرطوم : مطبعة جامعة الخرطوم، ١٩٨٨. ـ ص ٥٥.
٤٣. خضر حمد. الحركة الوطنية السودانية والأستقلال وما بعده. ـ ط١. ـ الشارقة : مطبعة صوت الخليج، ١٩٨٠م. ـ ص ٨٣.
٤٤. تيم نيبلوك. ـ مصدر سابق.
٤٥. الهادى أبوبكر. مصدر سابق.
٤٦. أحمد عوض. مصدر سابق. ـ ص٦١.
٤٧. عبد الخالق محجوب. لمحات من تاريخ الحزب الشيوعى. ـ ط٣. ـ الخرطوم : دار الوسيلة للطباعة والنشر، ١٩٨٧م. ـ ص ٢٩-٣٤.

٤٨. ناصر السيد، تاريخ السياسة والتعليم فى السودان. ــ ط٢. ــ الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٩٠م. ــ ص ١٩٠.
٤٩. إبراهيم محمد حاج موسى. مصرد سابق. ــ ص٢٥-٣٠.
٥٠. أمين التوم. ذكريات ومواقف فى طريق الحركة الوطنية السودانية، ١٩١٤-١٩٦٩. ــ ط١. ــ الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٨٧م. ــ ص٦٥-٦٦.
٥١. إبراهيم محمد حاج موسى. مصدر سابق. ــ ص ٤٤-٤٩.
٥٢. أحمد حمروش. مجتمع عبد الناصر. ــ القاهرة : دار الموقف العربى، د.ت. ــ ص٥-٦.
٥٣. فؤاد مطر. بصراحة مع عبد الناصر. ــ ط٤. ــ دار القضايا. ــ ص ١٣٣.
٥٤. مرغنى النصرى. مصدر سابق. ص ٥٠٧.
٥٥. محسن محمد. مصر والسودان : الانفصال بالوثائق السرية البريطانية والامريكية. ــ ص٣٤-٣٥.
٥٦. أحمد حمروش. مصدر سابق.
٥٧. تيم نييلوك. مصدر سابق. ــ ص ١٨١.
٥٨. خضر حمد. مصدر سابق. ــ ص ١٦٨.
٥٩. أمين التوم. ــ مصدر سابق. ــ ص ٧٨.
٦٠. الدرديرى إبراهيم. (مادة مسجلة مع بابكر كرار). ــ د. ت.
٦١. إبراهيم محمد حاج موسى. ــ مصدر سابق. ــ ص ٥٦١.
٦٢. تيم نييلوك. ــ مصدر سابق. ــ ص٨٢.
٦٣. أحمد حمروش. ــ مصدر سابق. ــ ص ١٠-١٩.

الفصل الثانى

المكونات الشخصية لبابكر كرار

المبحث الاول

ود مدنى تاريخها ونشأتها

ولد الاستاذ بابكر كرار فى ٧ فبراير ١٩٣٠. وتـوفى فـى يوليـو ١٩٨١ ومولده ومثواه الاخير كان بمدينة ود مدنى.

لذلك سوف نلقى نظرة سريعة على المدينة ونتحدث عن تاريخها ونشـأتها، وذلك لما للبيئة من تأثير قوى على شخصية الفرد وتفكيره. ويكون ذلك من خـلال التعرف على التركيبة السكانية للمدينة واخذها من الثقافات العديدة التى وفدت عليها فى مراحل تاريخية متعاقبة الى ان اكتسبت المدينة صورتها الحديثة.

تاريخيا نشأت ودمدنى قبل السلطنة الزرقاء (١٥٠٥م) وقد كانـت الارض التى تحد شرقاً بجزيرة الفيل وغربا وجنوبا بشريط السـكة حديـد مـن جهـة دار الرياضة وشمالا بشاطئ النهر من ناحية امبارونة وحتى موردة الحطب بالدباغـة. كانت كلها قلب الجزيرة وكانت تغطيها الاشجار والاعشاب الكثيفة. ولم يكن هنالـك اى معلم لحياة الانسان على وجه تلك البقعة الا ما ورد من اقـوال متضـاربة. أن

هناك قرية صغيرة اسمها "النسيم" فى أقصى الجنوب الشرقى وهى عبارة عن رواكيب مبنية بالقش لجماعة صغيرة يقال انها غير مستديمة السكن.

والصورة التاريخية المجملة لتلك الأرض على النحو التالى:-

١. جزيرة الفيل فى أقصى الشرق وهى عبارة عن غابة كثيفة لاشجار يسكنها الفيل، ولهذا سميت بجزيرة الفيل.
٢. اشجار شائكة وشجيرات متشابكة فى كل المنطقة التى تشمل حى دردق، وحى ناصر الحالى. ووزارة الرى والحى السودانى أما الارض التى تسمى بحى الزمالك اليوم فقد كانت زراعية مطرية تنبت فيها خيرات كثيرة، تكفى لقوت الإنسان دون مشقة أو عناء.
٣. المنطقة من جانب شاطئ النيل جهة مباني الاشغال الحالية، كانت قليلة الاشجار تمتد فى مساحة واسعة منبسطة جنوبا ليس بها وجود لحياة انسان. واما آخر حدود قلب الجزيرة غربا فقد كانت خالية تماماً من آثار الحياة. كلها شجيرات واعشاب على مد البصر(١).

اما تأسيس المدينة الحالى فيرجع الى العارف بالله الشيخ محمد مدنى دشين المشهور بمحمد مدني السنى.

وودمدنى قيل انه من قبيلة "البصالوة" والذين يسمون فى السودان بالبصيلية. وتقع بلادهم فى الديار المصرية فيما بين وادى حلفا والشلال. وأنه جاء الى السودان هو وبعض أفراد اسرته فى صحبة جدة القاضى "دشين" الذى جاء الى السودان بناء على رغبة حكومة سنار التى كانت تستعين بالقضاة المصريين فى مناصب القضاء الشرعى.

ولما وصل القاضى دشين أسندت إليه أعمال القضاء فى "اربجى" القريبة من الخصاحيصا.

وقد اشتبك القاضى دشين بمجرد وصوله مع المانجل الذى هو حاكم المنطقة ودخل معه فى صراعات، وعادة ما تنشأ مثل هذه الصراعات بين القضاة الشرعيين والمناجل.

ولما كان الشيخ ودمدنى رجل عبادة ولا شأن له بالصراعات ترك القاضى دشين وانطلق مع من معه سائحاً جنوبا مع مجرى النهر الى ان وصل الى المكان الذى استهواه فنزل فيه وبنى خلوة فى مكان الضريح المعلوم. ولم تكن الارض التى نزلوا فيها تابعة لاربجى، وانما كانت تابعة للاميرة نصرة بنت عدلان التى كان مقرها فى قرية " السوريبة" فلم تواجههم صعوبات لأن القاعدة التى كانت متبعة هى ان الأرض لمن يقطع شجرها ويقتل ثعبانها. وظل اهل القرية يتزاوجون مع أهل القرى المجاورة الى ان جاء اسماعيل بن محمد على باشا على رأس الحملة المصرية لغزو سنار وفازغلى.

واتخذ الباشا القرية قاعدة ارتكاز لقواته المتقدمة نحو سنار. ولما فرغ اسماعيل من اخضاع سنار وفازغلى اتخذ سنار عاصمة له الى ان اصيب بالحمى التى لازمته طويلا فاضطر الى ان ينتقل بعاصمته الى ودمدنى. وكان له منزل يقع على الشاطئ شرق الجامع الكبير وشمال شرق المدرسة الاميرية. ولما لم تتحسن حالته شرع فى السفر الى مصر للعلاج وفى طريقة اليهامات فى شندى نتيجة للحريق الذى دبره المك نمر. ولما جاء خلفه نقل العاصمة الى الخرطوم وعادت مدنى قرية كما كانت(٢).

يتضح من ذلك ان تأسيس مدينة مدنى الحالية يرجع الى الشيخ محمد مدنى السنى وكان صديقا حميماً للشيخ دفع الله المصوبنى المقيم "بأبى حراز" وكانا يتبادلان الزيارات، وذات مرة تأخرت المركب وكانا فى طريقهما لأبى حراز. فقال الشيخ دفع الله المصوبنى للشيخ محمد مدنى ما رأيك فى أن نركب على هذه الفروة للوصول للضفة الاخرى، فرد عليه ود مدنى رافضا قائلاً له ما الداعى لذلك طالما

أن هناك وسيلة للعبور وانني لن افعل شيئا لم يسنه ويفعله الرسول (ص) فقال له الشيخ دفع الله يا السني ومن وقتها عرف بمحمد السني.

وقصد خلوة ودمدني خلق كثير من الراغبين فى حفظ القرآن وتعلمه من شتى انحاء قرى الجزيرة وغيرها من بلاد السودان ممن وصلتهم اخبارهم. وبمرور الزمان صار المكان آهلاً بالسكان، فكانوا يأكلون مما تنتجه مزارع الشيخ محمد مدنى السني من الذرة. وذلك بعد أن ازالوا الحشائش الشائكة من المنطقة واستصلحوها للزراعة.

ومما يروى أن الطالب عندما يسأل الى اين يذهب؟ فيجيب الى ودمدني. وهكذا اشتهرت المدينة باسم مؤسسها الشيخ محمد مدنى السنى(٣).

واخذت المدينة تنمو بالتدريج وتتغير معالمها بعد سقوط التركية فى الفترة ١٥٠٥م - ١٨٢١م. حيث سرح الاتراك الجنود الذين كانوا بالجيش، فقصد معظمهم مدينة مدني حيث الأمان والرخاء. ونزلوا عند الفراغ الواقع غرب جزيرة الفيل حتى حدود حي دردق الحالى. تجمعوا فى شكل قبائل وجماعات أو عوائل وحطوا الرحال بمدنى كموطن لهم، حتى سمى ذلك المكان بالرديف، وتعنى الجنود المتقاعدين، وقد كان غذاؤهم وطعامهم الرئيس هو شراب "المريسة" وهى الخمرة البلدية المصنوعة من الذرة، وكان من عاداتهم الرقص والغناء الذى يمتد من منتصف النهار الى ما بعد منتصف الليل على آلة نغم تعرف " بالتوزة".

وهذه الصورة توضح ان هنالك صراعا بين الفضيلة والرذيلة جماعة همها القرآن وحفظه شمال المدينة عند خلوة ود مدنى وجماعة جنوب المدينة همها اللهو والطرب، وهنا يظهر أثر ود مدنى فى اصلاح شأن البلدة بأسرها حيث بلغ عدد تلاميذه الالاف انتشروا فى جميع انحاء المدينة مبشرين بالقرآن.

كما وفد الى المدينة اعداد هائلة من القبائل والجماعات الهاربة من ويلات الحروب، وقهر السلاطين بعد سقوط التركية.

وكان اشهر تلك القبائل نزوحا قبيلتا الشلك والعنج ثم وفدت اجناس متعددة الهويات قبل المهدية وبعدها كالاقباط، والشوام، والهنود، واليهود والاغاريق واتخذوا القسم الأول سكناً لهم، مشتغلين بالتجارة فى الدبلان والدمورية والسكر والشاى والخزف وغيرها من السلع المستوردة من الخارج. اما تجارة الاهالى فقد كانت فى المحاصيل المختلفة من سمسم وذرة ودخن ... الخ. والتى كانت تنقل من الدندر، القضارف، وقلع النحل، بالدواب. كما ان بعضها كان ينقل عن طريق النهر(٤).

ثم جاء الحكم الإنجليزى المصرى والذى ترك بصماته كذلك على المدينة حيث اتخذ الإنجليز مدينة ودمدنى عاصمة ثانية للسودان بعد ان كانت مرشحة فى البداية لتكون العاصمة الام. فاستقبلهم اهل البلدة بقيادة العمدة احمد السنى على شاطئ النهر حيث رست الوابورات التى كانت تقلهم دون مقاومة تذكر. فشيدوا الحى البريطانى وارسوا دعائم الحكم والادارة وعرضوا على نفر كريم من اعيان البلد ان يشاركوهم فى الحكم منهم الشيخ على البوشى "ابو زمام" والشيخ مدثر الحجاز. والضابط عبد الله كور. وقد رفض الشيخ على البوشى المشاركة فى الحكم لانشغاله بالتدريس بمسجده جوار السوق الكبير.

ومما يذكر ان أول عمدة لمدينة مدنى هو الشيخ عبد الرحيم الجمل ثم العمدة أحمد السنى وإبنه إبراهيم من بعده واخيرا العمدة محمد سعيد محمد الامين.

وكان الحكم برئاسة مدير المديرية ونائبه، ثم مفتش المركز وثلاثتهم من الإنجليز. اما المأمور ونائبه فكانا من المصريين يعاونهم العمد والمشايخ المشهود لهم بالحكمة من السودانيين المثقفين، ولم تكن هناك اى فرصة للسودانيين المثقفين لتقلد تلك المناصب الا آخر آيام الحكم الثنائى فى وظيفة نائب للمأمور.

وازدادت المدينة بالنزلاء والوافدين على مر السنين وكثر الهرج والمرج وأماكن الخمور التى تسمى "بالانادى" حيث ترفع الاعلام الحمراء نهاراً جهاراً

لترشد القاصدين الى مكان السكر فيها. ولم يكن الإنجليز يمنعون اى مواطنة من ممارسة الرذيلة وصنع الخمرة البلدية. فكان المفتش الإنجليزى " مستر بيز" يمر عليهم وهم سكارى فيغنون له:

يوم مستر بيز جانا

بين العشش والسجانا

سكت ما سألنا وخلانا

فيضحك مستر بيز تشجيعا لهم ولفعالهم الخبيثة(٥)، وفى ذلك تعريض لا يخفى بالمهدية التى كانت تحرم مثل هذه الممارسات المنافية للدين الاسلامى.

وبالرغم من تقاضى المفتش الإنجليزى عن هذه الفعال بل سماحه لهم بذلك الا انه كان لا يتساهل فى محاكمتهم بالسجن اذاً مثل احدهم امام المحكمة(٦).

وبذلك انتشرت بيوت الدعارة وبيوت الخمور والميسر فى كل ناحية من نواحى المدينة. وظهرت البارات بتصديق رسمى من السلطات والتى يعمل بها باعة مسلمون. وقد روج الإنجليز لتلك البارات ومارس تجارتها الاجانب علنا فى الاسواق منها بار "ينى ريلس" الذى احتكره الإنجليز الذين كانوا يعملون بالشركة الزراعية "مشروع الجزيرة لاحقا" حيث كانوا يحضرون باعداد كبيرة للرفاهية كل يوم احد والمواطنون يشاهدونهم فى حالة سكر وحقارة كما يقولون حتى ايام السودنة عام ١٩٥٤.

فكان لازما أن يتأثر الناس بتلك الممارسات فترنح السكارى فى الطرقات بل إتخذ بعضهم بار " ابو شمس" مكان للترفيه وشرب الخمر اسوة بالإنجليز. وكنتيجة حتمية لكل ذلك انحطت الاخلاق. ومن المفارقات أن الإنجليز كانوا يشددون على السكارى ألا يجوبوا الشوارع والطرقات بعد الغروب. ومن وجد فى حالة سكر يحبس الليلة كلها، ثم يقدم الى محكمة العمد تتم محاكمته بالغرامة والجلد. غير أنهم يتساهلون فى الترخيص لبيع الخمور التى كانت السبب الأول فى تدهور المجتمع.

وقد كان الحكام الإنجليز يسهرون فى انديتهم الخاصة بهـم كنـادى الجزيـرة والاستراحة وغيرها(٧).

ولكن ومع ما ذكرنا آنفاً فقد شاءت إرادة الله أن يكون من نصيب ود مـدنى أن توقد فيها نار القرآن. وقد كان ذلك فى البدء كما رأينا على يـد العلامـة ودمـدنى السنى والذى تعلم على يديه الكثير من الصالحين الذين بقيت ضرائحهم شواهد على ذلك مثال الشيخ سعدابى والشيخ شرف الدين والشيخ محمد ودكنان والمنشد والشيخ عبد السيد والغرقان وأب شبكة وأب دواية وغيرهم.

وتعتبر مدنى من المدن القلائل التى كان بها عدد كبير من المساجد الكبيرة. كما كان هناك عدد من الزوايا. اهمها زاوية الختمية والتيجانية وزاوية عـوض عبـده "السادة الخزرجية"(٨).

اما حلقات الذكر والدروس فتقام فى الليالى فـى زوايـا ودور قـادة الطـرق الصوفية. وصارت البيوتات الصوفية متعددة ومتفرقة على امتداد المدينـة وتعـدد الزوايا. وربطت بين اهل الطرق الصوفية مناشـط مختلفـة كالمناسـبات القوميـة والاجتماعية والاحتفالات بالمولد النبوى الشريف وغيرها. لذا كـان للزوايـا أثـر معلوم فى تهذيب المجتمع روحياً. وعند الغروب كانت ترتفع اصوات اهل الطـرق الصوفية مصحوبة بنغمات النوبة والطبول تردد "صلينا مشتاقين لسـيد الكـونين"، ونغمات النوبات مازالت اصداؤها تتردد حتى اليوم.

ونسبة للتداخل والانصهار الممتد فى المدينة عبر حقب زمنية متواصلة، افرزت المدينة اجيالا خالية من التعصب القبلى والطائفى، والذى قد يكون على اشـده فـى مناطق اخرى من السودان. وظهر حب عميق متبادل بين اهل مدنى قد يصل الـى حد التعصب احيانا ويعتبر اهل مدنى أن المدينة قادرةعلى امتصاص كل وافد اليهـا ليصبح واحدا من اهلها.

إن هذا الجو الروحى لم يكن قاصرا على المسلمين وحدهم بل كان جواً روحياً لكل الناس وعلى مختلف عقائدهم وعباداتهم.

لقد جاءت الاجناس غير المسلمة الى ودمدنى عام ١٩٠١م منذ دخول الإنجليز ومارست نشاطها الدينى بحرية تامة. ومن تلك الاجناس الإنجليز، الاقباط، الشوام، الامريكان، اليهود، الاغريق، الهنود، المجوس. فاختاروا أجود الاراضى بالمدينة واقاموا عليها كنائسهم التى تقف شاهدا على التعايش السلمى بين المواطنين فى هذه البلدة.

ونجد أن أول كنيسة شيدت هى الكنيسة القبطية الارثوذكسية فى عام ١٩١٢م على شاطئ النيل. ثم الكنيسة اليونانية جوار كنيسة الشوام، والتى شيدت عام ١٩١٣م وبها جرس كبير يقرع عند صلاة موت احدهم أو عند المناسبات الكبيرة. وفى ١٩٣٠/٣/١٢ شيدت الكنيسة الإنجليزية ذات الساعة الشهيرة قرب مصلحة الاشغال، وهذه الكنيسة يؤمها المسيحيون من ابناء الجنوب.

كذلك توجد الكنيسة الإنجيلية والتى شيدت فى عام ١٩٣٥م وهى تابعة للارسالية الامريكية. واخيرا الكنيسة الرومانية الكاثوليكية شيدت فى ١٩٤٥/٥/١٦ وهذه الكنيسة تابعة للجالية السورية. ثم استلمها الكاثوليك السودانيون وهى مشهورة بكنيسة الشوام. بالاضافة الى ثلاث كنائس إندثرت وزالت معالمها.

وبذا وصل عدد الكنائس الى ثمان كنائس مع ملاحظة أن عدد الجوامع كان اربعة فقط فى تلك الفترة ١٩٠٠-١٩٥٠م .

لقد نشط التبشير المسيحى فى ود مدنى، وعمل المبشرون لبث افكارهم بقوة ودهاء، مع الدعم والمساعدة من قبل المستعمر. وجاءت المبشرات المسيحيات يعملن وسط النساء المسلمات فى كل منزل بحجة انهن يردن محو الامية. ويضعن برنامجا فى التبشير المسيحى وتعليم القراءة والكتابة فى كل حى دون تدخل أو

مضايقة من رب الاسرة. ثم انتقل التبشير المسيحى مـن البيـوت الـى المـدارس الارسالية .

وفى بداية الامر قصد تلك المدارس ابناء وبنات المسلمين بغرض تعلـم اللغـة الإنجليزية. ولقد انكشف فيعام ١٩٥٠م ان المدرسة الارسالية كانت تعلم التلاميـذ المسيحية بجانب اللغة الإنجليزية فاعترضت المعلمة خواء محمد جمعة من اهـالى عطبرة وقادت مظاهرة صاخبة. استجاب على اثرها المسئولون، وتقرر بعد ذلك أن يكون للطلبة المسلمين حصتهم الخاصة فـى التربيـة الاسـلامية، مـع الاحتفـاظ للمسيحين بحصتهم الخاصة في المسيحية ضمن البرنامج المقرر فى المدرسة. ثـم تطور التبشير المسيحى ولبس ثوباً جديداً فى شكل تعليم اللغة الإنجليزيـة بالكنيسـة الإنجليزية والتى دخلها بعض التلاميذ طلبا للتقوية فى هذه المادة المفروضة علـيهم بالمدارس. ولكن سرعان ما فطن المعلمون السودانيون لذلك واسسوا فصولا خاصة لتعليم اللغة الإنجليزية مع الدروس الاخرى. واختصر التعليم فـى الكنيسـة علـى المسيحين. وبذا قل التبشير المسيحى فى هذا المجال .

ولقد كان ومازال المسيحيون محل تقدير واحترام الاهالى، يتعاملون معهم فـى البيع والشراء ويشاركونهم فى مناسباتهم الاجتماعية.

اما اذا حاولنا التكلم عن الحياة الثقافية والاجتماعية(٩) بمدينة ودمدنى فإن ابـرز مظاهرالحياة الثقافية والاجتماعية بمدنى هو التعليم بشقية الدينى والمدنى "الحديث"

وقد كان التعليم الدينى امتداد لما كان سائداً منذ عهد الفونج حيث كانت الخلاوى هى المدارس المعروفة فى السودان وكانت تهتم فى المقـام الأول بحفـظ القـرآن الكريم. اضافة الى قيام حلقات التدريس الدينى وتشمل علوم الدين بصفة خاصة من فقه وتفسير وحديث وقراءات، كما تشمل العلوم العربيـة كـالنحو. وكانـت هـذه الخلوات منتشرة فى شتى انحاء البلاد وكانت الحكومة تخشى مما اعتبرتـه روحـا

متعصبة تشكل تهديدا خطيرا للأمن والنظام(١٠). ومن اهـم مناهـل العلـم ودوره ومدارسه المساجد والتى تقام فيها حلقات شبه نظامية .

ودمدنى تزخر بالخلاوى... اشهرها خلوتان، خلوة الفكى قدورة ومقرها جامع البوشى، وخلوة الجامع ومقرها جامع الحكومة وشيخها اسمه الفكى " أمحمد" هكـذا كان ينطق مما يدل على الاصول المغربية(١١).

وحول خلاوى ودمدنى توجد خلاوى العركيين والسادة القادرية والسمانية.

والحكومة الإنجليزية لا يعجبها هذا التعليم الدينى، المبنى على دعامتى العروبة والاسلام. وقد كان همها محاربة هذا الكيان. لذا كانت تصرف الاموال بسخاء على التبشير المسيحى، ومما يدلنا على ذلك ان عدد الكنائس بمدنى كان اكبر مـن عـدد المساجد كما رأينا وهو امر لا يتناسب اطلاقا مع نسبة وعـدد السـكان المسـلمين والمسيحيين .

وتتضح سياسة الحكومة تجاه التعليم فى انها لا تريد تأسيس قلعـة يـدافع بهـا المواطنون عن ارضهم، وربما اتعظت فى ذلك من الازهر الـذى كانـت تخـرج مظاهرات١٩١٩ منه ويتم التخطيط لها فى فنائه.

وهكذا اعتبرت الحكومة أن التعليم الأولى العام هو افضـل سـلاح لمكافحـة "الروح المتعصبة" والتى أدت بتأثير من الفقرا "معلمى الخلوات" الى نشوء المهديـة. كما انها رأت ان هذا النمط من التعليم الحديث يساعد ايضا على اختيـار مـوظفين محليين للإدارة الحكومية.

ومع الاخذ بهذه الاهداف فى الاعتبار، كان رأى الحكومة مطابقـا رأى كـرى الذى يضع الاهمية الأولى للمدارس الأولية والاهمية الثانية للتعليم التقنى والمهنـى الذى تقوم به المدرسة العليا فى كلية غردون(١٢).

وتتضح السياسة الاستعمارية عندما تجدها بخيلة حتى بالتعليم الأولى الذى يرفع الجهل فأسسوا فى البداية المدارس فى المدن الكبيرة فقط. وقد كان نصيب مدنى من

تلك المدارس الأولية "كتابان" كتاب البندر.. وكتاب النهر ومدرسة متوسطة واحدة هى مدرسة وادمنى الاميرية. وكان السودان كله يتساوى فيه عدد المدارس المتوسطة بعدد مديرياته التسع. مدرسة لكل مديرية ومدرسة ثانوية واحدة هى كلية غردون التذكارية.

وقد كان التافس بين مدرستى البندر والنهر شديدا وحادا، لان الاستعداد الطبيعى للتلاميذ كان متقاربا. ولم يكن التلميذ يدخل الكتاب لان عمره سبع سنوات كما يحدث اليوم لكنه يدخل منافسا فى امتحان يعقد لجميع القادمين من الخلاوى، وما اكثرهم ليتم قبول عشرة ومائة تلميذا للمدرستين اما الامتحان واعلان النتيجة فقد كان يتم خلال اسبوع واحد وتتركز مادة الامتحان على اللغة العربية والحساب والدين الاسلامى. تكتب الاسئلة على السبورة ويجيب الممتحنون على الواح الاردواز(١٣) .

أما المدارس الوسطى والتى كانت مخصصة بالدرجة الأولى لتعليم أبناء موظفى الحكومة وابناء الطبقات ذات الأوضاع المالية الحسنة، فكانت موجودة فى الخرطوم، ام درمان، وعطبرة والابيض وسواكن ووادى حلفا وودمدنى. وكانت المواد التى تدرس هى اللغة العربية والإنجليزية والجغرافية والهندسة والرسم ومبادئ مسح الاراضى، والدين الاسلامى والتمارين الرياضية والعاب الجمباز، اضافة الى ذلك كان التعليم اليدوى يدرس فى المدرستين الوسطيين فى الكلية وفى ودمدنى(١٤) . اما كلية غردون فقد جمعت لها التبرعات من انجلترا وغيرها من البلاد الأوربية لتخليد ذكراه. ووضع حجر اساسها ١٩٠٠ باسم الملكة فكتوريا، وكانت تضم فى بدايتها مدرسة ابتدائية ومدرسة للمعلمين والقضاة الشرعيين ومدرسة صناعية ومعملا للتحاليل الكيماوية والبكتريولوجية ثم تطورت الى كلية جامعية بعد افتتاح القسم الثانوى بها. اما الكلية الطبية فكان اسمها كلية كتشنر واسست سنة ١٩٢٤م(١٥) وقد تم افتتاح الكلية فى نوفمبر ١٩٠٢.

اما الذين لم يحالفهم الحظ فى دخول المدارس الابتدائية، لفقر اسرهم. استطاعوا ان يواصلوا تعليمهم من خلال الصحف. فالصحافة بالنسبة لهم كانت المتنفس وهى التى اعطت الفرصة لبواكير قادة الاستقلال للظهور بين اعمدتها. فالازهرى مثلا كان من كتاب جريدة المؤتمر كذلك الجمعيات الأدبية قامت بدورها وكانت تهدف الى تثقيف من فاتهم ركب العلم. إضافة إلى التعليم فى الأندية وعلى رأسها نادى الخريجين.

وقد شهد عام ١٩٠٣ اصدار أول صحيفة سودانية باسم "السودان" على أساس انها جريدة سياسية تجارية ادبية اخبارية زراعية. وقد دعمت تلك الصحيفة دورها الثقافى والتجارى بإنشاء مكتبة السودان المعروفة حاليا بـ (السودان بوكشب" لاستيراد الصحف الاجنبية والعربية، توقفت فى عام ١٩٢٥ واشرف على اصدارها "خليل افندى ثابت" وهو سورى الاصل.

وفى ١٩١٣/١/١٤م ولدت جريدة " رائد السودان" كملحق عربى لصحيفة انجليزية هى السودان هيرالد الإنجليزية - الاغريقية التى سبقت بالصدور فى عام ١٩١١م. كان رئيس تحريرها السيد عبد الرحيم مصطفى قليلات. وهو اديب وشاعر سورى كان يعمل فى مصلحة السكة حديد السودانية. توقفت عن الصدور فى عام ١٩١٨م. استقطبت اقلام الجيل الواعد واقلام العديد من ادباء العربية وفنها. وكانت حلقة الوصال بين الوعى السودانى وجذوره العربية الاسلامية.

ثم ظهرت جريدة " حضارة السودان" فى ١٩١٩/٢/٢٨م وهى أول صحيفة سودانية يملكها سودانيون مدافعة عن الخط البريطانى(١٦) ثم صدرت بعد ذلك العديد من الصحف السودانية.

اما المجلات فقد كانت هناك مجلة النهضة السودانية لصاحبها ومحررها أبو الريش، انشئت عام ١٩٣١م. وماتت بموته فى عام ١٩٣٩.

ومرآة السودان لصاحبها ومحررها سليمان كشة توقفت فى عام ١٩٣٤. وهناك مجلة الفجر وهى مجلة أدبية انشئت فى عام ١٩٣٤ وصاحب امتيازهـــا ورئيســـها عرفات محمد عبد الله وهى نصف شهرية.

ولقلة امكانيات الصحافة السودانية والظروف التى يعيشها محرروها، لم تستطع جذب القارئ والمحافظة على اعطائه ما يحتاج اليه من مادة يستمتع بقراءتهـــا لـــذا بحث القارئ عن نوع آخر من الصحافة دسم فى مادته غنى فى معلوماتـــه. ذلـــك النوع وجده فى الصحف والمجلات والكتب العربية والاجنبية.

وقد كان أدباء مصر – شعراء وكتاباً – قادة لذلك الجيل ينهلون من معين ادبهم وثقافتهم ويشيعون لهم فهناك انصار لشوقى وانصـــار لحـــافظ ومطـــران. وهنـــاك متشيعون للعقاد وآخرون لطه حسين.

كما عرف أدباء السودان السياسة الاسبوعية، والـــبلاغ الاســـبوعى والرســـالة والهلال.

ويقول الاستاذ محمد احمد محجوب "إن الجيل الجديد من ادبـــاء الســـودان قـــد تأثروا بكتابات لطفى السيد وزكى مبارك وهيكل والمازنى . وغير هؤلاء من كتاب النهضة الادبية فى مصر. كما قرأوا الادب الإنجليزى وترجموا عنه. وهنـــاك مـــن يرى أن الادب السودانى يسير وراء الادب المصرى ويتبعه خطوة خطـــوة نظـــرا للجوار والتشابه فى الاخلاق والعادات.

لذا تعتبر الجرائد والمجلات المصرية اكبر باعث على النهضـــة الادبيـــة فـــى السودان بما تنشره من بحوث قيمة وآراء طريفـــة ناضـــجة فـــى الادب والتـــاريخ والاجتماع والفلسفة، وهى الآلة الفعالة فى تكوين عقول مستنيرة وقرائح مستقيمة.

ولكن محمد احمد محجوب يذهب احيانا اخرى الى إن الادب المصرى الحديث عربى التوب اما الروح فإنها أوربية، ويرى أن المرء عندما يقرأ لطـــه حســـين أو

هيكل فكأنما يقرأ لشاتوبريان أو اناتول فرانس، وجورج صند. اما عندما تقرأ للعقاد فكأنك قرأت لكاتب المانى أو لمارك توين.

وبهذا الجوهر الغربى للادب المصرى تأثر ادباء السودان ولكن هناك عامل آخر أثر فى أدباء السودان وهو أن المدارس قد غلبت عليها الثقافة الإنجليزية وخاصة القسم الثانوى والاقسام العليا. ولم يكن من محيد من انتشار آداب اللغة الإنجليزية بين أوساط المتعلمين. وقد ساعد على ذلك نشاط المطبعة الإنجليزية وكثرة انتاجها فى شتى العلوم والفنون وفى كثير من اغراض الحياة. فقد قرأ شباب ذلك الجيل الموسوعات التاريخية ودرسوا الاقتصاد والموسوعات الادبية وتأثروا بالافكار والتخيلات الغربية. وقد ظهر صدى ذلك فى قصائدهم وكتاباتهم (١٧).

ومن هنا كان دور المكتبات الكبير والهام فى توصيل الصحف والمجلات والكتب لايدى القراء للاطلالة منهاعلى العالمين الداخلى والخارجى.

وقد كان عدد المكتبات بود مدنى لا يتجاوز الخمسة مكتبات اهمها واكبرها، سودان بوكشب التى تملكها المكتبة الإنجليزية ويؤمها البريطانيون فى المدينة ، كما يرتادها ايضا نفر قليل من السودانيين المثقفين وعدد من متعلمى الجاليات الاجنبية وهى المكتبة الاكثر ازدحاما بما تحتويه ارففها من الكتب باللغة الإنجليزية فى مختلف فنون الثقافات والتخصصات الاجنبية. وما يحتاجه التلاميذ فى كل المدارس من الادوات المدرسية من اقلام وكراسات واساتيك بجانب اتجارها فيما تحتاجه الشركات والبيوتات التجاية والبنوك من دفاتر ودبابيس وملفات وورق الكتابة وغير ذلك وكان يديرها سودانى وهو اسماعيل زيدان.

اما المكتبات الاخرى فإن بعضها كان جزء من تجارة اخرى من بينها الكتب مثل مكتبة سيد مضوى الحاج الذى كان يعرض الزيت جنبا الى جنب مع الكتاب. ومحمد على حسون الساعاتى الذى يعمل فى نشر الثقافة من متجره الذى اقامه لبيع وتصليح الساعات والصحف والمجلات. ونجد ان اهم المكتبات جميعا كانت المكتبة

الوطنية لصاحبها عيسى عبد الله، ذلك لانها احتكرت الصحف السودانية والعربية اليومية، اضافة الى تجارتها فى الكتاب الصادر من المطبعة العربية وخاصة ما يجئ من مصر(١٨).

اما عن الحياة الاجتماعية بودمدنى فنجد ان الرياضة قد استأثرت بحيز كبير من حياة المواطنين. وقد انحصرت الرياضة فى البدء فى لعبة كرة القدم والتى اهتم بها فى بداية الامر بعض الرياضيين فى محيط ضيق، فكان أول فريق بودمدنى هو فريق المدينة بحى العشير، وواضح من الاسم إن المقصود به ان يكون فريقا للمدينة كلها، وقد بدأ اللاعبون بكرة الشراب تحت اشراف صديق الحاج فرح والكابتن يوسف امين. ويقال كذلك إن هذا الفريق اسمه تيم العمدة لان عمدة البلد ابراهيم السنى قد اهتم به.

ثم تلاه تيم السكة حديد الذى كان من ضمن رواده الأوائل الجاك رزق ويوسف شطة. تم تحول تيم السكة حديد الى تيم الاهلى. ومن أوائل المؤسسين واللاعبين به " عثمان محجوب سعد" وقد تم بناء النادى بسواعد اعضائه ومشجعيه. وبعدها اسس الشيخ بله على شدو تيم النيل الذى كانت له الجولة والصولة فى ميادين المدينة، ومن لاعبيه فى حراسة المرمى محمد كرار النور الذى وجه الدعوة لنادى الهلال العاصمى ليلعب مع النيل. فكتب الشاعر سيد عبد العزيز قصيدة يمجد فيها الهلال وكان يريد ان يلقى القصيدة على مسامع الجمهور عند الفوز المضمون على النيل ومطلعها:

هل الهلال والايام صفنو

وازعج الاتيام كلها بفنو

فكان أن فاز النيل باصابة واحدة، اجتهد ليعادلها الهلال فلم يوفق، وفاز النيل.

وهنا قال الشيخ بلة على شدو للمساح: يا المساح جاء دورك، فذهب الشاعر المساح الى شاطئ النيل وعاد بقصيدة ملطعها:

بقدرة الحى ذو الجلال

طمح النبل وغط الهلال

فقال له الشاعر سيد عبد العزيز كيف يغطى النيل الهلال؟ فرد المساح قائلا ألم يغط طوفان نوح القمر.

وفيما بعد انشق نادى الاتحاد من تيم النيل بقيادة محمد كرارا، وتأسس نادى الاتحاد الذى لم يقتصر نشاطه على الكرة، بل كانت له انشطه متعددة ثقافية واجتماعية.

ومن اللاعبين الذين نالت مهاراتهم اعجاب الجمهور مفيد وشريف وعمر بادى وكُندا من النادى الاهلى ومن النيل موسى ومحيريقة وميرغنى مندلى وعبد المنعم ابو جرفل. اما فريق الاتحاد فظهر منه ابراهيم كرار "ابوحمامة" والاستاذ هاشم ضيف الله وسانتو الكبير وطيارة ومحجوب الدابى.

اما المناشط الرياضية الاخرى بمدنى فقد اشتملت على رياضة الاتقال. تحت اشراف عيسى حسين وعبد الكريم السيد. وتيم الملاكمة الذى يمثل الجزيرة وقد كان رئيس اتحاد الملاكمة عبد الكريم السيد.

اما الدكتور النور شمس الدين فهو أول سودانى يمارس لعبة "الجولف" مع الإنجليز. الكشافة كذلك كان لها دورها الهام تحت قيادة أول كشافى يوسف امين يعاونه الكشافى موسى محمد عبد الحميد المشهور " باللورد" واخيرا الرحالة خالد عشرية وبدوى احمد حسين.

وهؤلاء كانوا يقومون بتدريب طلبة المدارس بكل اخلاص وكان جل وقتهم للعمل المتواصل خاصة عند حدوث الكوارث والفيضانات. لعبة التنس ايضا وجدت حظها وكانت تقام فى الميدان الواقع شرق نادى الجزيرة ولكنها مقصورة على الإنجليز وجماعة قليلة من السودانيين على رأسهم الاستاذ صالح بحيرى.

وقد وجدت الرياضة بودمدنى مناخا صالحا للتقدم والرقى حيث كانت محل تقدير الموطنين. ومن المشجعين البارزين بودمدنى عمر ايوب مشجعا للإهلى ومهدى الفكى حسن مشجعا لنادى الاتحاد ومحمد محمود هريدى مشجعا لنادى النيل.

ومن الطرائف التى تروى، إن منتخب مدني ومنتخب الخرطوم كانا فى مباراة ساخنة باستاد ام درمان. فسجل منتخب العاصمة أول اصابة، ودوت الاصوات فقام احد مشجعى العاصمة وقال " يا بتاعين القطن" فقام عمر ايوب الذى كان يشجع الاتحاد واخرج من جيبه العملة الورقية فئة الجنيه ورفعها مفتخرا قائلاً "ان الذى وقع اسمه علَيها " مامون بحيرى" من ابناء ودمدنى عاصمة الجزيرة حيث القطن(١٩).

وهذه الصورة توضح لنا مدى التنافس الذى كان قائما بين ودمدنى والخرطوم، وفى سبيل تطوير كرة القدم والتقدم بها، درج نادى الاتحاد على اسناد الوظائف الادارية فيه لغير مواطنى المدينة، وذلك مما كان يؤخذ على النادى فالمدينة متعصبة لابنائها. فجاء الاتحاد مرة ببوليس جالينوس رئيسا للنادى، ثم جاء بابراهيم شل ومحمد ناصر وغيرهم ولكن سرعان ما إنتهج نادى النيل نفس الاسلوب حيث فتح ابوابه لسيد عمر عوض والدرديرى الفيل(٢٠).

والتنافس بين مدنى والخرطوم لم يكن قاصرا على الرياضة فقط بل تعداه الى مجال الفن، فودمدنى بلد الفن، حيث كانت المدينة تزخر بالادباء والشعراء والمطربين والمادحين والمنشدين للشعر.

ومن المنشدين للشعر ظهر محمد يوسف العجوة الذى كان يشارك فى كل ليالى المديح والمولد، كما كان لابنه كمال نفس الموهبة. و عند ذكر المدائح وقراءة المولد بصوت جميل كانت المناسبات لا تخلو من احمد ود المكى، ومكى السنى ود المكى، ودشين ودمكى، والطيب شايب(٢١).

وفى الشعر كان مدثر البوشى وميرغنى عشرية والاستاذ الهادى احمد يوسـف. ومن مشاهير الشعراء بودمدنى الشاعر على احمدان المشهور المساح.

وقد كان المساح يجوب الشوارع والازقة معظم وقته يتغزل بالجميل. وقد تغزل حتى بالاجنبيات، منهن زهرة روما التى كانت اجمل نساء تلك الفترة ١٩٣٤، وكان يهجو كل من عاتبه أو نازعه أو انتقده بهجاء اليم فاحش لذا كان يهابه كل انسـان. ويعمل المساح ترزى ساعات قليلة، ثم يبدأ مروره فى احياء المدينـة حتـى سـمى بالمساح اسوة بموظف المساحة. وقد تميز المساح بتأليف الشعر الغنائى الذى تغنـى به كبار المغنين ومن هنا اكتسب شهرته الواسعة وكانت له الصولة والجولـة فـى هذا المجال.

وكان المساح يحفظ كثيرا من الشعرالعربى لذا لم يكن غريبا ان تـأتى كلماتـه صورا من البلاغة مما حير معاصريه فى ملكاته وامكاناته، بالرغم من انه لم يقـرأ كتابا واحدا نسبة لاميته، وانما كان مخزونه اللغوى مخزون سماعى، مما يؤكـد ان البيئة التى عاش بها بيئة ثرية لغويا وفكريا(٢٢).

اما عن المطربين بمدنى فقد كانوا عددا لا يستهان به وفى تلك الفترة ظهر مـا يعرف بمجتمع الافندية. وهم الذين يمثلون طبقة المثقفين لذلك العصر. وقـد كـان هناك تحيز من تلك الطبقة للفنانين حسن عطية واحمد المصطفى. ومع هذا التحيـز استطاع الفنان ابراهيم الكاشف ان ينافس فى هذا المجال وان يكون مجددا. فهو أول من ادخل الأوركسترا بصورتها الحديثة للاغانى السودانية فى الاذاعة. وهو الـذى اطرب الشعب السودانى زمنا طويلا ومازال. ولم يعبأ الكاشف بذلك التحيز لمجتمع الافندية بل استمر فى عطائه وتجديداته وقد حرم هذا التحيز جيل الخمسـينات مـن الاستمتاع باغانى فى غاية الروعة سبق بها لزمن كأغنية " العيـون" ليتغنـى بهـا الفنانون بعد ذلك بعشرين سنة وليستمتع بها جيـل السـبعينات والثمانينـات ولازال صوت الكاشف يطرب اجيال اليوم.

كذلك من الظواهر الفنية في ودمدني الخير عثمان والذى بدأ مبكــرا واشــتهر وملأ اسمه المدينة وهو لم يتجاوز السادسة عشر. غنى الخير عثمان للاذاعة ولكــن اغاني محدودة، ورغم قلة الاغاني المسجلة تبقى اغنية " حنتوب الجميلـــة" اغنيـــة رائعة لها تاريخ وخصوصية لاهل مدني. وبعد سنوات قليلة مــن ظهــور الخيــر عثمان ظهر الفنان عمر احمد الذى غنى كل السودان وراءه "كــان بــدرى عليــك تودعني وانا مشتاق ليك" وكأنه كان يعبر عن حاله، فقد افتقده الفن وهو في ريعــان شبابه .

وهذه نماذج من فناني ودمدني وهم كثركان لهم شأن في ساحات الغناء.

اما المطربات، فقد كان هناك عدد من البنات المطربــات اللائــي يغنــين فــي الافراح ويلازمن العرائس وبعضهن يقمن بذلك مقابل اجر من العروس أو العريس. وعادة تكون حفلات البنات مقفولة، وليست مفتوحة للرجال الا في حــالات نــادرة عندما تكون الحفلة خاصة بالعائلة والاقارب أو تكون المطربة محترفة وغير متقيدة بالتقاليد، ويمكن أن تقوم الفنانة مقام الفنان وتحى حفلة الرقص بالدلوكة.

وفى اغاني البنات كثير من المحلية مقارنة بأغاني الرجال لانهن اقــل تحركــا واتصالا بالخارج.

فقد غنين لمدني ولابناء مدني في ذلك الزمان، ومن تلك الاغنيات اغنية قيلــت في احمد خير وهو في المعتقل:

انا غنيت لي ابعروض الليلة ويالشرفت البلود

انا غنيت للزعيم الكفت الست طرد الحكيم

تسلم لي يا ابو سعد الدين الليلة يالشرفت البلد

انا غنيت للبلال الجاموس بخر الغزال

اسد الخشى القلبه حار

انا قولي بحققو

والسلاح ما برجعو

والبمبان ما بهددو

انا قولى بحققو

دا الشايقى من امه وابوه(٢٣)

ولا يمكن الحديث عن الحياة الاجتماعية بودمـدنى دون التعـرض لـدور السينماء فى حياة المواطنين وتأثرهم الكبير بها. فقد بدأت السينماء فى السودان فـى الثلاثنيات وقد وجدت معارضة وتأييدا مثلها فىذلك مثل تعليم الفتاة وكـان النصـر حليف التطور حسب سنة الحياة. فالسينماء بالنسبة لذلك الجيل تعتبر النافذة السحرية التى يطل فيها الشباب على العالم. وقد تأثر بها شـباب وطـلاب المـدارس فـى الاربعينات والخمسينات فى كثير من تصرفاتهم وطريقة كلامهم وفكاهاتهم المتـأثرة بطريقة اسماعيل يسن. كما سميت الثياب النسائية باسماء الافلام، فهناك ثوب فاطمة رشدى، وثوب لهاليبو "فيلم نعيمة عاكف" والمظاهر "فيلم بطولة رجاء عبده ويحـى شاهين" كما ظهرت اسماء كثيرة للمواليد لم تكن معروفة من قبل فى السودان امثال انور ورجاء، فاتن وشادية .. الخ.

وكانت السينماء درجات، اللوج، والدرجة الأولى، الدرجة الثانية والشعب. امـا الالواج فكانت مقصورة على الجاليات الاجنبية والأولى لعلية القوم وتذكرتها بثمايـة قروش. وهذا مبلغ كبير فى ذلك الزمان. اما الثانية فكانت سـتة قـروش والشـعب ثلاثة قروش للفيلم العربى وقرشين ونصف للفيلم الاجنبى. هنـا يلاحـظ التفـاوت والترتيب الطبقى حتى داخل السينماء.

اما الدعاية للافلام فقد كانت بواسطة عربة يجرها حمار، وعليها صور دعائيـة للفيلم يقودها رجل يقرع جرسا وينادى معلنا عن روعة الفيلم وممثليه. ومن الـذين عملوا فى سينماء ودمدنى السنوسى حسين، ومحجوب عبد الله النذير وعثمان محمد سعيد(٢٤).

ولابد لنا من القاء نظرة كذلك فى تلك الفترة الى الحياة التى كانت تعيشها المرأة بودمدنى.

فأهل مدنى كانوا من اكثر اهل السودان محافظة واحتراما للتقاليد، لذا تـأخروا كثيرا فى تعليم البنات عن باقى مدن السودان الاخرى، لقد كان اهـل رفاعـة وود جميل فى الشبارقة، وكليهما تابع لودمدنى اكثر تفهما لاهمية تعليم البنت. ويكفى انه وحتى الخمسينات وصل لمرحلة التعليم الثانوى عدد محدود جدا من البنات لايزيـد عن المذكور ادناه.

- دولت احمد ابراهيم "ود عديلة"
- فوزية دفع الله "القاضـى"
- فريال ابو عفان
- دولت عبد السلام البوشى

تصدت لهذه العقلية شخصيات فى المدينة وساعدت فى كسر الجمـود وارسـال بناتها للمدارس رغم النقد والمعارضة كالسيد عبد الرحمن ابـو عاقلـة " مكـنش" والطيب بخيت أوشى. كما ساهمت بعض الشخصيات فى تأسيس المـدارس ومـن الرائدات ست فاطمة حاج احمد وقد كانت مدرستها عبارة عـن " بيـت الخياطـة" وكانت تركز على التدبير المنزلى والتطريز ومبادئ القراءة والكتابة وعلوم الـدين. ويمكن اعتبار مدرستها مرحلة انتقالية لتقبل المجتمع لتعليم البنت.

ثم كان للسيد عباس الحضرى واخوه احمد الحضـرى دورهمـا فـى تأسـيس مدرسة الحضرى التى ظلت تعمل وتنافس المدارس الحكومية فى ادائها بقيادة سـت متلية.

وفى بداية الاربعينات اسست مدرسة " الكورة" والتى عملت بها ست فاطمة عبد الفضيل وفى الخمسينات ست زكية احمد.

بالقرب من مدرسة الكورة كان هناك مبنى تشغله الست ميركا نتايل الراهبة العجوز والتى تعمل فى التبشير وتعليم الكبار. كما كان هناك المدرسة الإنجيلية التى كانت تضم عددا من البنات المسلمات. ومما يذكر ان بعض المعلمات كن يزرن البيوت ويلقين الدروس كست برتا.

ولكن محدودية التعليم لم تمنع النساء من العمل، خصوصا فى البيع والشراء فبعضهن يعملن دلاليات لبيع الأوانى المنزلية فى الاحياء. اما الطاعنات فى السن فيعملن فى الزنك "الجملون" فى سوق النسوان حيث يعرضن بضائع مختلفة منها الفتايل والزجاج مرورا بالسمن والويكاب والبروش وغيرها.

ومن مزارعات مشروع الجزيرة من تملكن حواشات ويؤدين واجباتهن كغيرهن من المزارعين، كالحاجة هاجر حسنين وخضرة محمود المؤذن.

اما الحركة النسائية فقد بدأت فى أوائل الخمسينات بوصول بعض رائدات الحركة النسائية من العاصمة. اللائى تزوجن من ابناء ودمدنى. كالتومة احمد ابراهيم زوجة المرحوم محمود محمد على ونفيسة احمد الامين زوجة المرحوم كمال عثمان بلال اضافة الى جهود بعض الناشطات من بنات ود مدنى(٢٥).

المبحث الثانى

بابكر كرار المولد والنشأة والمؤثرات

لا يمكن النظر للانسان مجرداً بل النظر اليه كائناً فعالاً ومنفعلاً متأثراً ومؤثراً، فلئن كان شعور الانسان وتفكيره واختياراته وليدة طبيعته التى يتميز بها عن سائر الكائنات، فهى ايضا وليدة صلاته الاجتماعية والتفاعل القائم ضمن مجتمعه وسائر المجتمعات.

ومن هنا كان لا بد من دراسة شخصية بابكر كرار بوضعها فى حيزها الاجتماعى والنظر الى العلاقات التى تربطه بما حوله وأثر هذه العلاقات فى تكوين معتقداته واساليب فكره وعمله.

بابكر كرار والاسرة:

المولد:- ولد فى مدينة ودمدنى بالقسم الأول ونشأ وترعرع فى هذا الحى حتى شب عن الطوق.

وهذا الحى كان يضم فى احشائه التجار والعاملين فى السوق خاصة تجار الجاليات الاجنبية كالاغاريق والشوام والهنود. وسكانه خليط من المغاربة والدناقلة والمواليد من الاسوانلية والبصيلية.

وكلما اقتربنا شرقا من السوق يزيد عدد سكن الاجانب ويقل كلما اتجهنا غربا حيث سكن الاهالى. وما يميز شوارع هذا الحى انها منظمة وعريضة وتوجد امام المنازل حدائق من النجيل بها احواض من الزهور نسقى من حنفيات كبيرة خصصت لهذا الغرض.

ولأن هذا الحى كانت تقطنه الجاليات الاجنبية نجد فيه مدارسها وكنائسها كما ضم الحى أهم المساجد الكبيرة .

فهناك جامع البوشى بالقرب من السوق الكبير وجامع عثمان زيـــاد ســـابقا، وجامع الحكومة وزاوية السمانية.

وبالحى كذلك جميع النوادى الاجنبية والمحلية كالكلوب الاغريقـــى والـــذى اصبح فيما بعد فندق كونتنتال،. اضافة الى الكلوب الإنجليزى "نادى الجزيرة".

أما الاندية المحلية كنادى الخريجين، ونادى الاهلى ونادى الاتحـــاد ونـــادى النيل، فكلها تتمركز فى هذا الحى .

وفى منتصف الاربعينات ومع تطور الحركة الوطنية ضم الحى دار حـــزب الاشقاء، ودار حزب الامة الخاص بحركة الانصـــار. ولوجـــود نـــوادى الحـــزبين الكبيرين فى الحى فقد كان ذلك مدعاة لكثير من الصراعات الحزبيـــة التـــى كـــان منشأها أن الدناقلة ينتمون لحزب الامة فى حين ان الاسوانلية والبصيلية والمغاربـــة كان ينتمون للحزب الاتحادى(٢٦).

الاسرة:-

ترجع جذور الاسرة من ناحية الوالد كرار محمد النور الى قبيلة الدناقلـــة. منطقة أوربى بمحافظة دنقلا.

ويسكن الدناقلة على ضفتيى النيل بين الشلال الثالث والرابع " اى بين مدينة أرقو شمالاً والدبة جنوباً".

وأنساب هذه القبيلة ترجع الى اصول عربية كما انه قد تم الاختلاط بيـــنهم وبين قبائل مختلفة عن طريق المصاهرة .

وتعتمد حياتهم على حرث الارض والزراعة. ويجيدون الفلاحة وينتجـــون محاصيل وفيرة من الفاكهة بأنواعها المختلفة، بجانب انتاجهم البلح والقمح والفـــول والحمص(٢٧).

ولقد ولد كرار محمد النور بمدينة ودمدنى حيث جاء جده النور الى مـــدنى مع افراد أسرته سعيا وراء كسب العيش. ولقد كانت الوظيفة الاساسية لتلك الاســـرة

الكبيرة هى صناعة المراكب وتجارة المحاصيل من الحبوب، وقد ساروا مع النيـــل جنوبا حتى استقر بهم المقام فى مدنى التى تمتاز بالخصوبة وكثرة الغابات فى تلــك الفترة حيث يمكن الاستفادة من اخشابها فى صناعة المراكب(٢٨).

وفى رواية اخرى انه عند قيام الثورة المهدية هاجر عـــدد كبيـــرمن قبيلـــة الدناقلة الأورباوية لمناصرة الامام المهدى وشهدوا معه جميع فتوحاته حتى ســقوط الخرطوم. فاستقر البعض منهم فى ام درمان وسكن آخرون بالكــاملين واســتقرت اسرة كرار محمد النور الممتدة بودمدنى.

لذا يلاحظ انقطاع جذور هذه الاسرة بمدينة أوربى منذ وقت مبكر وجهلهـــا تماما باللغة المحلية لتلك القبيلة أو "الرطانة". ويعتبر الدناقلة بمدنى شبه اسرة واحدة تربط بينهم أواصر الدم والقربى. ولمساندتهم ومناصرتهم للامام محمد احمد المهدى فى ثورته فأغلبهم لا يزالون متمسكين بأنصاريتهم حتى اليوم(٢٩).

عمل الوالد:-

عمل فى عدد من الاعمال التجارية اضافة الى الاعمال الزراعيـــة. حيـــث عمل موردا لكثير من اصناف الذرة للجيش الإنجليزى المصرى فى ذلك الوقت. ثم مارس التجارة العمومية للحبوب بجانب تجارته فى الزيوت. وفـــى أواخـــر ايامــه تحول الى تجارة الصناعات الخشبية كالعناقريـــب والمقاعـــد الخشـــبية الصـــغيرة وغيرها.

أما من ناحية الاعمال الزراعية فقد كان يمتلك قطعة زراعية كبيـــرة يقـــوم بزراعتها وبيع منتجاتها، وهى الارض التى اقيمت عليها جامعة الجزيرة حاليا.

ومما يذكر أن بابكر كرار قد رفض بعد وفاة والده أخذ تعويض عـــن هـــذه القطعة واصر على تركها للجامعة وذلك رغم عدم موافقة اخوته فى البداية.

ويعتبر كرار محمد النور مـــن رجـــال الأنصـــار الاساســـيين المعتـــزين بأنصاريتهم بجانب آل نقد الله وآل عبد اللطيف، وكان السيد عبد الـــرحمن المهـــدى

يرجع اليه فى كثير من الامور التى تتصل بشـــئون الانصـــار بالمدينـــة. غيـــر أن اهتماماته بشئون الانصار لم تكن عائقا امام علاقاته مع الآخرين فقـــد كـــان صديقا حميما لنور الدائم الكرنكى وابراهيم السنى وعبد الرحيم الـــدراوى ومحمـــد الليثى اضافة الى العالم شيخ آدم وغيرهم من اعيان المدينة.

ويتصف كرار محمد النور فى تربية أولاده بالشدة والصرامة، وبالرغم من أن اولاده جميعا قد مارسوا الرياضة منذ صغرهم، الا ان الوالد كان لا يسمح لهـــم بممارسة الرياضة الا فى العطلات المدرسية. كما كان رافضا لمبدأ التشبه بالافرنج من حيث الملبس، ونتيجة لذلك فقد كان يختلف مع زوجته فى تقليد ابنائهم لخـــالهم يوسف منيسى الذى كان يرتدى ملابس الافرنج.

ولحب الوالد وحرصه على تعلم ابنائه فقد باع اكثر الاراضى التـــى كـــان يمتلكها من اجل تعليم ابنائه على عكس السمة الغالبة على ابناء جيله ومـــيلهم الـــى امتلاك اكبر قدر ممكن من الاراضى. وعندما كان يُسأل فى ذلك كان يجيب بقولـــه إنه " يبنى رجالاً".

ومع إن الوالد كان انصارياً ملتزماً، فقد كان يرفض الكثير من الممارســـات الانصارية فى ذلك الوقت ومن ابرزها تقبيل الايدى وفرض ذلك على ابنائه ايضـــا، وذلك ناتج من ثقته فى نفسه ورأيه فى أن الناس جميعا سواسية وأنه ليس هناك سيد يفرض سيادته على الناس بل يُحترم ويقدر بحسب ما يقدمه. وقد يكون ذلـــك مـــن الاسباب التى دفعت ابناؤه للتباعد عن كيان الانصار الى حد ما فيما بعد.

الوالدة:-

هى عائشة محمد حلمى المنيسى والدها مصرى الجنسية من الاســـكندرية " باكوس" وامها من قبيلة الكواهلة. وقد كانت الوالدة تمتص الكثير من صرامة الوالد وحدته بعطفها الشديد ومداراتها على ابنائها. وقد كان للوالدة تاثيرها علـــى ابنائهـــا

ويظهر ذلك فى حبها العميق لاخيها الوحيد يوسف محمد حلمى المنيسى حيث انتقل هذا الحب لابنائها.

ولهذا الخال الفضل الأول فى تعرف بابكر كرار على الاغانى المصرية والاستمتاع بالموسيقى المصرية منذ صغره فقد كان يجلس ويستمع كثيرا لاغانى محمد عبد الوهاب وام كلثوم من خلال الاسطوانات التى كان يمتلكها الخال. ومن هنا نما وكبر حبه للاغانى المصرية ومتابعته لكل ما يقدم لام كلثوم وعبد الحليم حافظ حتى وفاته. كذلك كان للزيارات المتبادلة بين الاسرتين فى السودان ومصر اثرهما الكبير فى تعرف بابكر كرار على المجتمع المصرى مبكراً(٣٠).

الاخوة الاخوات:-

لبابكر خمسة إخوة هم محمد كرار، مصطفى كرار، احمد كرار، ابراهيم كرار، عمر كرار، ومن الاخوات بتول كرار، عواطف كرار وبنت المنى كرار وهذه قد توفيت مبكرا بعد أن تركت بنتاً.

زواجه:

تزوج مبكرا وهو ما زال طالبا بالجامعة من إبنة جيرانهم سيدة يوسف محمود. وله ثلاثة ابناء غزالى ومحمد اقبال وناصر. اما البنات فهن لبنى وسوسن وسمية.

ثقافة بابكر كرار ومكونات شخصيته:

تتفق معظم التعريفات الانتربولوجية للثقافة مع تعريف تايلور E.B. Taylor "ذلك الكل المركب الذى يشتمل على المعرفة والعقيدة والفن والاخلاق والقانون والعرف وغيرها من القدرات والعادات التى يكتسبها الانسان بوصفه عضوا فى المجتمع(٣١).

ومن هذا المنطلق الواسع لمعنى الثقافة نبدأ بالتعرف على مكونات شخصية بابكر كرار.

مراحل تعليمه:

بدأ الخلوة مبكرا حيث تلقى علوم القرآن على يد شيخ آدم بجامع البوشـــى. وبعد ذلك تطورت العلاقة بينه وبين مشايخ مدنى وعلى رأسهم شـــيخ آدم والطيـــب أبو قناية.

وقد بدأ نشاطه السياسى منذ تلك الفترة المبكرة وهو ما يزال طالبا صغيرا، حيث خاطب المصلين بالجامع الكبير وخرج بهم فى تظاهرة ضد الاستعمار قادتـــه للمحاكمة بمحكمة مدنى والحكم عليه بحسن السير والسلوك.

أما تعليمه الأولى فقد كان بمدرسة النهر بمدنى وذلك فى عام ١٩٣٧م وقـــد كان التنافس بين مدرستى النهر ومدرسة البندر كبيرا نسبة لان مستويات التلاميـــذ متقاربة من حيث الاستعداد الطبيعى للتلقى(٣٢).

وقد كان الامتحان يعقد لجميع القادمين من الخلاوى وما اكثرهم ليتم قبـــول مائة وعشرة تلميذا للمدرستين – ثم قرأ المرحلة الابتدائية بمدرسة الاميريـــة عـــام ١٩٤١. وكان التلميذ عند دخوله المرحلة المتوسطة قد ضمن مستقبله، فالمجتمع من حوله يعامله باحترام شديد خاصة اذا كان فى الفصول المتقدمة الثالثة والرابعة. ذلك لان مديرى المصالح يلجأون لهذه المدارس للاستعانة بالطلاب فى سد النقص فـــى الوظائف الحكومية التى لا تحتاج لاكثر من حصيلتهم التعليمية تلك(٣٣).

وفى عام ١٩٤٥ ذهب بابكر كرار لاكمال دراسته الثانوية بأم درمان وقـــد كانت المدرسة الوحيدة لكل ابناء السودان. وفى السنة الثانية من دخوله ام درمـــان الثانوية قسم الطلاب الى مدرستين هما وادى سيدنا وحنتوب. وقد كان بـــابكر مـــن طلبة حنتوب الثانوية فى عام ١٩٤٦م.

وفى تلك الفترة كان الاساتذة بمدرسة حنتوب من الإنجليـــز والســـودانيين. وكان ناظر المدرسة هو مستر براون. وقد كان تعامل الإنجليز مع الطلبـــة حـــذراً

خاصة وان حنتوب مجاورة لمدينة مدنى حيث يوجد نادى الخريجين الذى يمارس نشاطا ثقافيا ملحوظا وبه شخصيات سياسية مؤثرة كأحمد خير.

ومما كان يثير اهتمام الطلبة فى تلك الفترة قيام الحركة النقابية وخاصة نقابة السكة حديد بقيادة سليمان موسى حيث تفاعل الناس مع هذه النقابة بدون تنظيم، والخروج معها فى مظاهرات مطلبية. كذلك من الاحداث التى هزت الطلبة قيام اتحاد المزارعين لأول مرة بقيادة الشيخ احمد الازيرق ومطالبة الاتحاد بمعرفة الحسابات لعدم وضوحها والمطالبة بحقوقهم والتساؤل عن التكاليف الزراعية لمعرفة حقهم فى الارباح والمطالبة بتمثيلهم فى الوضع الاعلى لمجلس الادارة(٣٤).

لكل ذلك كان لطلبة حنتوب واساتذتها دور فعال فى الحركة الوطنية وكانوا من قادة المظاهرات التى كانت واد مدنى مسرحها فى تلك الفترة.

ولا عجب فقد كانت حنتوب الثانوية مصنعا لرجال المستقبل الذين لعبوا دورا هاما فى سياسة السودان امثال محمد ابراهيم نقد وبابكر كرار وحسن الترابى وجعفر نميرى وغيرهم كثر. ويقول عبد الله محمد احمد عن فترة حنتوب.

" التقيت ببابكر فى حنتوب اتينا من الغرب أشتاتا، لنا وجهة نظر فى كل احد ووصلنا الى حنتوب وعزلنا انفسنا عن الناس فما كنا نلتقى بأحد الا ونحن متشككون. كان بابكر أول من كسر هذا الحاجز بيننا وبين اخوتنا فى حنتوب وبيننا وبين اخوتنا فى انحاء القطر.

وهو أول من التقى بنا وتحدث لنا، وقتها لم يكن حديثا عن الاسلام وانما كان حديثا عن السودان وعن تاريخ السودان ومستقبل السودان(٣٥).

وواصل بابكر كرار نشاطه مع طلاب حنتوب بعد ذهابه لجامعة الخرطوم حيث كان يلتقى بالطلبة ليعلم ويدرس ويطرح القيم(٣٦).

وقد كان بابكر كرار بحنتوب شخصية بارزة ولامعة حيث كان الرئيس الأول لداخلية ود ضيف الله بينما كان الرئيس الثانى حكيم محمد بخيت. وفى هذه

المرحلة الدراسية كانت تربطه بالاستاذ ميرغنى النصرى أواصر صداقة قوية وذلك لما بينهما من تقارب شديد فى النواحى الثقافية والسياسية. وتطورت هذه الصـــداقة حتى وفاة بابكر كرار. وقد تعددت نشاطات بابكر كرار بحنتوب فبالاضافة للجوانب الثقافية المتعددة التى كان يمتلكها، كان كذلك من المبرزين فى المجـــال الرياضـــى خاصة كرة القدم التى ورثها عن اخوته الكبار. ومن الطلبة البارزين كذلك فى كـــرة القدم بحنتوب كان جعفر محمد نميرى(٣٧).

وفى عام ١٩٤٨ جلس بابكر كرار لامتحان شهادة كـــامبردج البريطانيـــة بكلية الخرطوم الجامعية حيث كان يقبل الطلاب الناجحون فى السنة الأولى بكليـــة الاداب ثم انتقل الى دراسة القانون فى العام الثانى. وفى الســـنة النهائيـــة بجامعـــة الخرطوم فصل لاسباب سياسية يقول عنها زميله فتح الرحمن البشير:-

" عندما كان بابكر كرار بالجامعة يدرس القانون. كانت كلية الحقـــوق فـــى الجناح الغربى من الجامعة، وكان يجاور كلية الحقوق فى الدور الأول فصل خاص بالطلبة الذين يدرسون الجغرافيا مع دكتور هارولد. وكان هذا الـــدكتور مـــن بـــين الاساتذة الذين تميزوا بالغطرسة واللؤم الشديد، و كان يُعمل له ألف حســـاب. وفـــى منتصف نهار وعندما كان بابكر وبعض زملائه من طلبة الحقـــوق يقفـــون خـــارج الفصل يتحدثون بل وحتى يهمسون بالحديث، خرج عليهم دكتور هارولـــد مـــنفعلا ورمى عليهم كراسة كانت فى يده ووجه لهم كلمات جارحة، فأمسك بابكر بالكراسة ورماها على وجهه قائلا له. إنك مستعمر لئيم ولست استاذا كريما. وطلـــع دكتـــور هارولد الى مكتب مدير الجامعة واخبره بالامر. وانتشر الخبر فـــى كـــل فصـــول الجامعة وداخلياتها واجتمعت ادارة الجامعة ساعات طويلة وصدر القرار. أن يفصل بابكر من الجامعة لمدة عام وأن يعود طالبا خارجيا مع دفع مصـــروفات الجامعـــة كاملة. وضحك بابكر بعد ان سمع القرار المضحك والمؤلم معا وقال: لقـــد توقعـــت عقابا اكثر من ذلك. إنى ادفع ثمنا بخسا فى سبيل إرســـاء علاقـــات انســـانية بـــين

الطالب السودانى واستاذه البريطانى" ويؤكد زملاء بابكر كرار إنهـا كانـت نقطـة تحول كبرى فى سياسات الكلية الجامعية الخاصة بالعلاقة بين الطالب واستاذه.

وقد واصل بابكر كرار دراسة الحقوق بعد ذلك بجامعة القاهرة بـالخرطوم "الفرع" والتى استقبلته بالترحاب والاهتمام ونال درجة القانون منها.

ويروى فتح الرحمن البشير صورة اخرى حيث يقول:- " كنا فـى السـنة الأولى بكلية الخرطوم الجامعية. وجاء للجامعة فى تلك السنة من بين اساتذة كثيرين استاذان عربيان مسلمان يسخران من كل امر يتصل بالعروبـة والاسـلام وكـان الاستاذ العقاد فى رأيهما قد انتحر يوم بدأ كتابة العبقريات أما اتحـاد العـرب فـى الجامعة العربية فيريان أنه يزيد من قهر العرب لأن العرب كلهم ضعفاء وإن اتحاد الضعيف مع الضعيف ضعف مضاعف وقالا كثيراً عن الاسلام والعروبة - وكونـا من بين الطلبة جمعية سميت " جمعية الاصدقاء" تلتقى مرة فى الاسبوع فـى حفـل شاى بمنزل احد الاستاذين. وعلم بابكر كرار بالامر وضاق به وخشى على بعـض الطلبة أن يطعنوا فى وطنيتهم وعقيدتهم من غير وعى. فعقـد اجتماعـا لجمعيـة الاصدقاء وتحدث حديثا قليلا وكبيرا، كشف فيه عن حقيقـة الجمعيـة ورسـالتها. وذعر الاستاذان العربيان المسلمان والتقيا به اكثر مـن مـرة لتأكيـد عروبتهمـا واسلامهما وحسن نواياهما وكان ذلك آخر اجتماع للجمعية والجماعة(٣٨).

وفى ذات السياق يقول يوسف حسن سعيد وهو زميل بابكر بالجامعة " لقـد كان بابكر مهموما بالشأن الاسلامى ومدافعا عنه فى كل المواقف التـى تسـتدعى التدخل ليواجه كل مستهزئ بالقيم الاسلامية، فقد قاد مظاهرة مـن داخـل الحـرم الجامعى ضد الاستاذ عبد العزيز اسحاق بكلية الاداب لادعائه بأن الرسول صـلى الله عليه وسلم كان يشرب النبيذ وهى المظاهرة الوحيدة التى خرجـت مـن داخـل الحرم الجامعى(٣٩) ثم استمر بابكر كرار على رأس كل المسيرات والاعتصـامات والاضرابات الطلابية طوال الاعوام ١٩٤٢ - ١٩٥٤م. (٤٠)

قراءاته:-

قرأ فى زمان مبكر من حياته تفسير الطبرى كله البالغ نحو خمسة عشر مجلدا كبيرا وقرأ صحيح البخارى كما قرأ ابن هشام وكل ما كتب فى السيرة النبوية كما قرآ كل ما كتبه ابو حامد الغزالى. هذا الى جانب ما يقرأه عامة المسلمين من الكتب الحديثة والمقالات.

وقرأ فى زمان مبكر من حياته كذلك كتب كارل ماركس وأعمال لينين كلها فى اربعين مجلداً. ولم يكتف بماكتبه الشيوعيون بل قرأ ما كتبه الغربيون عن الشيوعية والاشتراكية.

كان معروفا لدى اصحاب المكتبات السودانية وغير السودانية والمكتبات التى تعير الكتب ولكنه لم يكن يقرأ من اجل القراءة كما يفعل كثير من الناس بل كان يقرأ ويفكر ويعانى من التفكير ما لا يعانى الناس من اعمالهم اليدوية. لذلك كان يفهم الفكرة ويعبر عنها تعبيرا قويا .

فإذا عرف بعد تفكير واعادة نظر إن ما قاله لم يكن صوابا نجده يغير رأيه ويقول الرأى الجديد بنفس القوة، واذا ما اخذ عيه بعض الناس ذلك قال، لانهم لا يفكرون اما الانسان الذى يفكر فهو بشر كلما قرأ واطلع اكتشف خطأه واقترب من الصواب(٤١).

فقال عنه خلف الله الرشيد:- قرأ ما شاء الله له أن يقرأ، قرأ فى كتب الفقه والسيرة والتفاسير المختلفة وكلما يتصل بتاريخ الاسلام وتاريخ الرجال المفكرين قرأ قراءة نهم لا تزيده القراءة الا نهما وبحثا عن الحقيقة(٤٢).

ولقد وهب الله بابكر ذهنا متوقدا موفور الذكاء. وكان متفردا فى جيله فى حدة ذكائه وفكره، الى جانب حبه الاسطورى للقراءة والاطلاع مما جعله فى كثير من الاحيان يقضى اشهرا بأكملها لا يغادر مكتبة منزله التى تعتبر من اكبر المكتبات الخاصة بالسودان، وكان دائرة معارف متحركة لما وهبه الله من عشق

للمعرفة بكل جوانبها. وربما قوى هذه الملكة الفريدة تأثره بقراءة المفكرين والفلاسفة الذين اثروا على توجهه الفكرى والثقافى والسلوكى وفي مقدتمهم حجة الاسلام ابو حامد الغزالى الذى سمى عليه ابنه البكر غزالى. والفيلسوف المعاصر محمد اقبال والذى منحه اسم ابنه الثانى محمد اقبال والفيلسوف والعالم البريطانى الروكسى هكسلي. وتقليدا لسنة هؤلاء الفلاسفة والمفكرين وغيرهم كان منزل بابكر مقرا دائما لرواد الفكر والمفكرين والمثقفين والمناضلين فى السودان ومصر وليبيا.

وتمتاز ثقافة بابكر بأنها ثقافة متكاملة يتعريف الفلاسفة العرب والمسلمين كما كانت شخصيته متكاملة فكانت تجمع بين العلوم الانسانية والتراث والثقافة المعاصرة.

وقد ساعده فى ذلك تمكنه من اللغة العربية واللغة الإنجليزية بشكل كامل وفريد وتمكنه من المزج بين الثقافتين بصورة نادرة ومتمازجة ومتكاملة.

وربما يفسر هنا اعجاب بابكر بثقافة الاديب والفيلسوف العربى عباس محمود العقاد ومنهجه الفكرى على اختلاف افكارهما. وكان الاستاذ العقاد يبادل بابكر اعجابا باعجاب. ولعل هذا الجمع الفريد بين التراث والفكر المعاصر هو الذى مكن بابكر كرار من اقتحاماته الفكرية فى نظريته حول العلاقة الجدلية بين الثورة العربية المعاصرة والثورة العالمية المعاصرة، ونظرية البؤس الروحى للفكر الاشتراكى العالمى المعاصر، ونظرية الخصائص الاممية للقومية العربية.

ويفسر هذا التلاقح الخلاق بين التراث والفكر العالمى المعاصر ان بابكر يعتبر من أوائل المفكرين العرب الذين اكتشفوا ان نهايات الفكر الاشتراكى الغربى هى بدايات الفلسفةالعربية الاسلامية أو كما عبر عنها بابكر بقوله:- " ان الغايات النهائية للاشتراكية العلمية هى فضائل فى الدين الاسلامى".(٤٣)

وعن مصادر ثقافته كذلك يقول الاستاذ ميرغنى النصرى: - " ان مصادر ثقافته ناتجه من اقباله وتدبره للقرآن الكريم والسيرة والفلسفة الاسلامية لا سيما

اعجابه بافكار الغزالى وابن رشد وقراءاته الكثيرة فى التصوف الاسلامى خاصة ابن عربى واهتمامه بالفتوحات المكية لابن عربى.

ومن فرط اهتمامه بالتصوف كانت له علاقات قوية مع الكثير من مشايخ الصوفية على رأسهم الشيخ محمد عبده البرهانى الذى سجل معه الكثير من الحوارات كما كانت تربطه علاقة وطيدة مع الشيخ عبد الباقى العجيمى " الطريقة العجيمية" وكانت تدور بينهما حوارات عميقة عن عالم التصوف. ومحاولة سبر اغوار هذا البحر الزاخر من العلم.

وبالاضافة إلى اطلاعه على الفكر والفلسفات الاسلامية فقد اطلع كذلك على الفكر الماركسى وقام باستيعابه ونقده خاصة المادية الجدلية والفكر الاشتراكى الماركسى كما اطلع على الفكر الليبرالى فى كتابات هكسلى وهارولد لاسكى وبروفسور كول فى الفكر الاشتراكى. وتوينبى فى التاريخ والاطلاع الواسع والناقد لادبيات الحركة الاسلامية من آثار الاخوان المسلمين والكتاب الباكستانيين وخاصة ترجمانهم للقرآن الكريم.

ولقد مكنه كل ذلك من الإنفراد بمذهب فكرى اسلامى فريد وباجتهادات عقلانية نادرة(٤٤).

مؤلفاته:

ومن مؤلفاته على سبيل المثال لا الحصر الجماعة الاسلامية دعوة ومنهاج، الفلسفة السياسية الاقتصادية، الجبهة الاستقلالية، ميثاقنا والنهوض الثورى ببلادنا، حسم عروبة السودان، الاختلافات الاساسية بين الاشتراكية الديمقراطية وبين الشيوعية، نظرات فى التنظيم العمالى الجديد. الحلول الاشتراكية لمشكلاتنا الاساسية، ارضية الثورة العربية ، السودان وانفصام الشخصية، الاسلام والفكر الاشتراكى العلمى، الفراغ السياسى والمؤسسة السياسية الجديدة. طرابلس .. ثلاث ثورات فى مرحلة التحول . الاسس الفكرية للثورة الشعبية السودانية، الطلاب

وحركة شعبان، من التحالف إلى وحدة قوى الشعب العاملة، اناشيد الطلاب في السجون(٤٥).

المكتبة:-

ولاهتماماته المتعمقة في الفكر الاسلامي فقد كان له الفضل الأول في تأسيس مكتبة الفكر الاسلامي بوادمدني، وهي أول نواة لايجاد مكتبة تروج لادبيات الكتب الثقافية والاسلامية.

أما مكتبته الخاصة بالمنزل فقد كانت تشغل حيزا كبيرا حيث تحتل جناحا كاملا من المنزل. والمكتبة هي مقره الدائم داخل المنزل فكان يقضي اليوم بأكمله داخلها لا يخرج منها الا لاحتساء كوب من القهوة التي كان يحتسيها كثيرا أو لاستقبال احد ضيوفه المتوافدين عليه طوال اليوم. والمكتبة عنده هي الحياة التي يتنفسها لذلك نجده حريصا على كل كتاب وورقة داخلها بل ان نظافتها وترتيبها لا يتم الا بوجوده واشرافه حتى يتأكد من وجود كل كتاب وورقة في مكانها المحدد.

وقد كان يقرأ وهو جالس وهو مستلقي على سريره بل وحتى وهو يتجول داخل غرف المنزل لا يفارق الكتاب يده. كل ذلك دون إلتفات لمشاكل الحياة اليومية الاخرى التي كان يقوم بها شقيقه ابراهيم كرار من متابعة لدراسة ابنائه واخذهم للعلاج اذا دعت الضرورة(٤٦).

نشاطه الرياضي:

كان يمتلك مواهب رياضية متعددة منها السباحة بالنيل والجري لمسافات طويلة وقصيرة. لعب كرة السلة والكرة الطائرة والقفز فوق الحواجز. إلى جانب ممارسته كرة القدم بحنتوب الثانوية وقد كان من المبرزين فيها وذا شهرة عريضة وفي تلك الفترة بمدرسة حنتوب الثانوية كتب عنه ناظر المدرسة مستر براون تقريرا قال فيه "ان هذا الرجل قد ولد قائدا" ثم واصل لعب كرة القدم بجامعة الخرطوم(٤٧). كما لعب لنادي الاتحاد بمدني رسميا واشترك في المناسبات التي

كانت تقام بميدان الملك بمناسبة اعياد ميلاد الملك جورج ملك بريطانيا العظمى آنذاك. وكان هذا اليوم يوم عطلة واحتفال رسمى يشترك فى مناسبته المتنافسون من التلاميذ والعزفيين ومن الرياضيين فى الاندية الكبرى حيث توزع الجوائز على المتفوقين. ومن المباريات التى لا تنسى فى تلك الفترة مباراة بين الاتحاد والاهلى بمدنى لعب فيها الاخوة من فريق الاتحاد محمد كرار ومصطفى كرار وابراهيم كرار وبابكر كرار.

لذلك كان بابكر كرار يمتلك جسما ممشوقا طوال حياته وكان يمكن ان يكون من المبرزين فى المجال الرياضى مثل اخوته الثلاثة لولا إن اهتماماته الفكرية والسياسية ابعدته عن ذلك المجال(٤٨).

الفـــن:

كان محباً للموسيقى المصرية التى كان يستمتع بها كثيرا منذ طفولته حينما كان يجالس خاله يوسف لسماع الاغانى المصرية. ويقول عمر نور الدائم فى ذلك:- "ولقد لاحظت أن بابكر كرار لديه اهتمام كبير بالفن وقد كان الوحيد فى ذلك الزمن من بين زملائه الذين لديهم اسطوانات لاغانى مصرية لعبد الوهاب وام كلثوم. وقد كنا نستمع معه هذه الاسطوانات عندما نزوره بمنزل اخيه احمد كرار الذى كان يعمل بالبوليس. وهذا ذوق غير منتشر فى تلك الفترة. كذلك كان بابكر كرار من المحبين لاغانى عبد الحليم حافظ والذى كانت تربطه به علاقة شخصية قوية. وكثيرا ما كان بابكر ينزل ضيفا على عبد الحليم حافظ بمنزله بالقاهرة عندما يزورها(٤٩).

أما عن علاقته بالسينما فيقول يوسف حسن سعيد: " كان من ثمرات مؤتمر الخريجين العديدة اقامة شركة السينما الوطنية والتى دار حولها نقاش مطول بين مؤيد ومعارض وفى تلك الفترة عقد الاستاذ الصايم محمد ابراهيم مناظرة بين بابكر كرار ويوسف حسن سعيد وآخرين حول دور السينما واهميتها. وقد كان بابكر فى

هذه المناظرة من المعارضين لفكرة انحراف السينما لانها قد تساعد فـي انجـراف اخلاق الشباب خاصة وأن تلك المرحلة هى مرحلة النضال الوطنى ضد المستعمر. فى حين يرى يوسف حسن سعيد انه يمكن الاستفادة من عائدات السينما فى مجالات شتى(٥٠).

ولاهتمام بابكر الكبير بما تقدمه السينما وتأثير ذلك على المجتمع بأكمله بما تقدمه من قيم وعادات قد تتعارض مع قيم وتقاليد المجتمع، كان عضوا فـي لجنـة مراقبة الافلام السينمائية فى فترة الخمسينات وكانـت لـه رؤاه النقديـة للسـينما وتحليلاته للافلام من خلال الواقع الاجتماعى الذى يعالجة كل فيلم وقد كتب محلـلاً الصراع بين الافلام الايطالية والامريكية "انظر ملحق رقم ١ ".(٥١)

وقد تعرف فى فترة وجوده بليبيا اثناء معارضته لحكم جعفر نميرى علـى الممثل الإنجليزى انطون كوين الذى قام بدور البطولة فى فيلم عمر المختـار وقـد كان الاثنان نزيلين بفندق واحد ودارت بينهم حوارات مطولة فى موضوعات شـتى وكان بابكر كرار يمازح انطونى كوين قائلا له " نحن احفاد المهـدى الـذى قتـل غردون باشا".(٥٢)

عمـله:

أنخرط فى سلك المحاماة باعتبارها المهنة التى تناسب رسالته فـي الحيـاة. مارس المحاماة فى مجالها الخاص كمهنة تمارس امام المحاكم والقضاء. ومارسـها فى مجالها العام كرسالة للحقوق تشمل كل جوانب الحياة وكرسالة لتـأمين حقـوق الانسان.

وعلى المستوى الفردى كان على مستوى عال من النجدة ونصرة الاخـرين كان يمشى مع المظلوم فى رضا واخاء حتى ترد له ظلامته وكان مقصدا لكل مـن فاتته الفرصة فى العمل والحياة، عمل لنجدة الطلاب الذين حرموا من العلم وسـعي معهم حتى تقلبوا على مصاعبهم وتزودوا بنور العلم.

وفى هذا المجال كذلك انتصر لحقوق البؤساء والمشردين مما اهله ليكون من الاعلام الذين يشار اليهم دوما فى هذا المجال.

وعلى مستوى المجتمع السودانى جاهد من اجل ان يكون موضوع الديمقراطية كاشف لتأمين حقوق الافراد وتأمين حقوق المؤسسات. ويرى ان اى اعتداء على الحريات والحقوق هو اعتداء مباشر على الديمقراطية واعتداء على كرامة الانسان. ومن هنا جاهد ضد التشريعات التى تنال من الحريات العامة والحقوق الاساسية وبنفس القوة وعلى نفس الوتيرة دافع عن المؤسسات الدستورية وغيرها، ذلك لان من حق المؤسسات الدستورية ان تكون ديمقراطية والمعارضة دستورية كما وقف بجانب حركات التحرير العربية والافريقية التى دافع عنها مجانا فى السودان مثل قضايا ثوار تشاد وثوار ارتريا وثوار اثيوبيا وثوار الكونغو ثم زائير. ان الحكم الفردى والدكتاتورى فى عقيدة بابكر كرار هو الذى يستهدف القضاء على الحقوق الانسانية للافراد والحقوق الدستورية للمؤسسات، ومن هذا المنطلق كان يجهاد لتأكيد الحقوق الدستورية للمواطن والحقوق الدستورية للمؤسسات.

وعلى مستوى المجتمع الدولى دافع عن حقوق الشعوب حيث كانت له مساهماته الايجابية من اجل استقلال الجزائر وفتنام وانجولا وموزمبيق وزمبابوى وناميبيا ونيجريا وفلسطين.

دافع عن حق الشعوب فى السيادة لهذا كان ضد النهج الاستعمارى لسلب خيرات العالم الثالث، ناضل من اجل حق الشعوب فى الانتفاع من مواردها وثرواتها والارتفاع بها اجتماعيا ومن هنا كان تأييده للقرارات والاجراءات الاشتراكية فى مصر ايام عبد الناصر وقد نادى بحق الشعوب فى الفرص المتكافئة فى حق العلوم والتكنولوجيا(٥٣).

كما عمل بابكر كرار فى المجال الصحفى من خلال رئاسته لجريدة الرسالة ثم الاشتراكية بعد ذلك، بجانب كتاباته ومشاركاته فى كل الصحف السودانية خاصة جريدة النيل والامة وفى ليبيا كتب فى مجلة الشورى، الثقافة العربية والفجر الجديد.

صفاته:

يصفه المعاصرون له والمتصلون به عن قرب بقولهم

- زاهد ومتواضع لم تجذبه سلطة ولا مال ولم تجذبه مباهج الحياة كسب نفسه وخسر الدنيا.
- كان من امتع الشخصيات واجرأها وكان ديمقراطيا مع كل حدته ويميل للحوارات والعمل الفكرى اكثر من العمل الجماهيرى.
- قنوع وعفيف وشجاع لا يتوانى عن قول الحق مهما كان الموقف .
- له علاقات قوية مع كل القوى الاجتماعية والسياسية ويمكن اعتباره فيلسوفا وليس شخصا عاديا فهو مثقف حقيقة قارئ ومتعلم وفقيه وليس سطحيا. شخصية قوية متقدمة فكريا وكان متأثرا بالامام المهدى. (٥٤)
- يجمع فى فكره وعمله بين الجديد والقديم
- سام نفسه لدعوة الحرية والديمقراطية
- طيب المعشر سهل وسريع الدعابة
- متجرد للعمل العام ومشتغلا به ومتبتل فى سبيله. (٥٥)
- كان بيته مأوى للاصدقاء والخصوم
- كان ذا منطق ولسان عف يحافظ على العلاقة وعلى الود مهما اختلفت معه ومهما تباعدت المشارب بينك وبينه ؟
- كان يحافظ على علاقة حميمة معك وهو يعلم انك تخالفه الرأى وانك تعمل ضده.

- بعد الخلاف داخل الحركة الاسلامية ظل يمثل مركز القوة بين جميـــع النـــاس الذين ينتمون للحركة الاسلامية مركز المؤسس ذى الفكـــر المحتـــرم والنظـــرة الثاقبة
- انه ذو علاقات حميمة فى كل الأوساط السياسية فى البلاد فقد كـــان ذا علاقـــة حميمة مع السيد الصديق وكان يقابله كثيرا وينقل اليه وجهة نظره فى مواقـــف كثيرة ومتعددة من مواقف السيد الصديق ومن ينتمون اليه. كـــذلك لـــه علاقـــة حميمة مع السيد اسماعيل الازهرى يتصل به وينصحه ويتحدث اليه فيما يتعلق من امور الدين والدنيا اضافة إلى علاقاته القوية مع جميـــع الرجـــالات الـــذين تصدوا للحركة الوطنية السياسية سواء كانوا فى جانب الاستقلال أو الاتحاد مـــا فرق بين هذا وذلك. وانما كان رائده دائما أن انقل اليكم كلمة الحـــق ان انقـــل اليكم ان الدين هو الاساس الذى يجب ان تبنى عليه قواعد الحزب وان الدين هو الاساس الذى يجب ان تصاغ الجماهير عل اساسه. كانت تلك الفكـــرة الأولـــى التى ينطلق منها والتى اجتهد ان يصل بها إلى القيـــادات السياســـية فـــى ذلـــك الوقت.
- كان حديثه في حدود فكره وفى حدود آماله ببلاده وامة الاسلام. ما كان يتحدث عن الناس ولا كان يخوض فى سيرهم حتى اذا خاض فيها الاخرون كان دائما ما يدلهم علي العبرة فيما قالوا ويلفت نظرهم إلى ان يعتبروا مما حدث(٥٦).
- كان يرى الفكرة ويعبر عنها ذلك التعبير القوى وعندما يكتشف بعد تفكير ان ما قاله لم يكن صوابا، لا يمنعه هذا من ان يغير رأيه ويقول الرأى الجديد بـــنفس القوة واذا ما اخذ عليه في ذلك يقول: إن الانسان الذى يفكر هو بشـــر يخطـــئ ويصيب وان الانسان كلما اطلع اكتشف خطأه واقترب من الصواب.
- كان رجلا كريما في أوسع معانى هذه الكلمة كان فقيرا ولكـــن اذا اعطـــاه الله سبحانه وتعالي شيئا من المال ، كان ماله ملكا لمن يحتاج اليه مـــن اصـــدقائه

واقاربه واحسن ما فى كرمه إنك تأخذ من جيبه وكأنك تأخذ من جيب نفسك بغير حرج وغير شعور بالمن(٥٧).

- له اجتهادات لم يسبقه عليها احد فى اطار ربط الفكر الاسلامى بالفكر العالمى المعاصر.
- ليس فقط مفكرا اسلاميا وليس فقط مفكرا سياسيا وليس فقط مثقفا من جملة المثقفين بل كان من العارفين ايضا بالله.
- لم يعش لنفسه بل عاش للجميع ومن اجل الجميع. (٥٨)
- متعدد المواهب فتجده يتحدث فى المسائل الادبية والفنية والرياضية
- كان فيه سر ما جعله يختلف عن جميع الزملاء والاصدقاء فكل واحد من الاصدقاء كان يظن نفسه الصديق المقرب الأوحد ولكن سرعان ما تثبت الايام ان لبابكر مئات الاصدقاء الذين تربط بينهم وبينه علاقة خاصة وعلى ذات الدرجة وعلى نطاق المستويات المحلية والعربية والافريقية والاسلامية. كان يخاطب عقولهم وقلوبهم ونفوسهم فى وقت واحد وكان يحدثهم عنهم لا عنه كان يتحدث عن قضايا الانسان فى كل مكان وكان يحدثهم باحترام ويستمع اليهم باهتمام. (٥٩)
- كان رجلا مصادما ولم يكن منهزما وله قناعاته القائمة على اساس اسلامى متقشفا وبسيطا.
- رجل ذو نكته لاذعة وقفشات بجانب الشخصية الحازمة والمناضلة ولا يمكن ان تثبت بجانبه قيادات لقوة شخصيته.
- نادى بالاشتراكية لمواجهة الفكر الشيوعى، وان الاشتراكية ليست حكرا على الشيوعيين، وهناك من يرى ان ذلك انهزام للفكر الاسلامى بابراز الاشتراكية.(٦٠)

- لم يجد فى اشتراكية الغرب ما يشفى غليله فالعنصر المادى يطغى على كل شئ فهم ينظرون إلى الجوانب المادية ويغفلون الجوانب الروحية. لذلك كان اختياره للمنهج الاسلامى، فأتخذ النهج الاسلامى طريقا وهدفا للحياة. بيد انه لـم يهـتم بالمظهر فلم ينظر للاسلام بحسبانه لبس المسوح والتظاهر بالتقوى وقـد كـان يدفع عن نفسه هذه الصورة إلى درجة الغلو حتى انه اتخذ الـزى الافرنجـى بشكل خاص. وقد يختلف معه الكثيرون فى الرأى ولكن لا يختلف اثنان فى انه لا يقول برأى الا بعد دراسة وتمحيص.
- كان اشتراكيا فى تفكيره وفى وجدانه وفى ممارسـاته وعلـى كـل مسـتويات الاجتهاد. ولعل خطأه الاساسى تمسكه الشديد بالعدل المثالى. (٦١)
- مظهره حداثى، شخصيته قوية وصارمة محاور يقبل الرأى الاخر، قـد تجـده متبرما ولكن لا يمكن ان تجده متشائما
- كان وجها فكريا متميزا يلتقى بالوفود العربية التى كانت تأتى ليبيا.
- يمتاز بمقدرة فائقة على تحليل الاحداث والوصول فيها إلى قناعات معينة. (٦٢)
- اختار الطريق الصعب يتكلم عن المسائل الاساسية الصعبة التى تتطلب التفكيـر وهذا ما لا يستوعبه الكل ما عدا المثقفين.
- له نظرة مستقبلية ثاقبة.
- لا يطرح برامج عمل بل افكار لبرامج عمل.
- يقدم المعلومات ويتمنى ان يتجاوزه طلابه وهذه ميزة صوفية مع الميل للعمـل التربوى. مثالى فى تفكيرة وحياته. (٦٣)
- انحيازه التام والمطلق لقضايا الفقراء فى سائر انحاء العالم ونضاله الشخصـى وتأثره وتألمه لظاهرة الفقر والمعاناة والتعاسة والبؤس البشرى تأثر غير محدود مما يفسر كذلك كرمه اللامحدود ومما يفسر كذلك ان المادة لم يكن لها عنده اى اثر أو اعتبار طوال حياته.

- كان بحق مركز الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية فى السودان وكان منزله المكان الوحيد فى السودان الذى يمكن ان تزوره فى اى وقت من الأوقات وتجد جميع التناقضات السياسية والاجتماعية فى منزله فى وئام وانسجام تام يمكن ان تجد عبد الخالق محجوب وان تجد الشريف الهندى وان تجد الصادق المهدى وحسن الترابى والازهرى ومحمد احمد محجوب. (٦٤)

وفـــاته:

عاد من ليبيا بعد المصالحة الوطنية للسودان فى نوفمبر ١٩٧٨ وهو يتمتع بكامل صحته ونشاطه وواصل عمله السياسى بالداخل معارضا للنظام المايوى.

اصيب بمرض حار الاطباء فى معرفته منذ الوهلة الأولى فقد كان يشكو من خدر بأصابع اليدين تم تشخيصه من قبل الاطباء على انه " ملاريا " ولكن سرعان ما فقد النطق والحركة بجانبه الايمن. مكث فى مستشفى سوبا اياما نقل بعدها إلى لندن حيث توفى هناك فى ١٩٨١/٧/٨م بعد شهرين من مرضه تقريبا.

وقد تم دفنه بمسقط رأسه فى مدينة وادمدنى. وذهب بابكر كرار ولم يخلف وراءه شيئا ماديا ودون أن يكون له شئ يورث. لذلك فقد تم تشكيل لجنة من اصدقائه لتسد النقص الذى خلفه من اجل ابنائه، وبالفعل فقد تم انشاء دار لأبنائه بحى الرياض يعيشون فيه .

وبذلك انطوت حياة حافلة لم تدم اكثر من واحد وخمسين عاما.

مراجع الفصل الثانى

١. الشيخ مبارك شاطوط. ــ ودمدنى الروح. ــ يوليو ١٩٩٥م. ــ ١٠.
٢. أحمد جبارة. ود مدنى ومشروع الجزيرة. ــ د.م : مطبعة الشعب، ١٩٧٨م. ــ ج١. ــ ص٣-٥.
٣. صديق محمد أحمد البادى. معالم وأعلام. ــ القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر، د. ت. ــ ص ١٦.
٤. الشيخ مبارك شاطوط. مصدر سابق. ــ ص ١٣-١٥.
٥. ________ . مصدر سابق. ــ ١٩-٢٠.
٦. أحمد خير. (تسجيل مع بابكر كرار بمنزله بالخرطوم). ــ مصدرسابق.
٧. الشيخ مبارك شاطوط. مصدر سابق. ــ ص٢٢.
٨. عبد الرحيم سالم. ودمدنى بعينى طفل وذاكرة رجل، ١٩٤٥-١٩٥٥م. ــ ١٩٩٦. ــ ص ١٦.
٩. الشيخ مبارك شاطوط. ــ مصدر سابق. ــ ص ٥٤-٥٧.
١٠. ناصر السيد. مصدر سابق.ــ ص ١١٦.
١١. محمود أبو العزائم. سحارة الكاشف. ــ بيروت : دار ومكتبة الهلال. ــ ص ٥٤.
١٢. ناصر السيد. ــ مصدر سابق. ــ ص ١١٦.
١٣. محمود أبو العزائم. ــ مصدر سابق. ــ ص ٥٤.
١٤. ناصر السيد. ــ مصدر سابق. ــ ص ١٢٥.
١٥. جاد الله النذير. التجانى يوسف بشير : عصره وحياته وشعره. ــ الخرطوم : كلية الآداب، قسم اللغة العربية، ١٩٧٣. ــ رسالة ماجستير.
١٦. محمد أبو القاسم حاج حمد. المأزق التاريخى وآفاق المستقبل. ــ ط٢. ــ بيروت : دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٩٩٦. ــ مج. ــ ص ٢٢٤ - ٢٢٩.
١٧. مختار عجوبة. "أصول الدعوة للأدب القومى فى السودان". ــ مجلة الثقافة السودانية. ــ ع١٣ (فبراير ١٩٨٠) . ــ الخرطوم : وزارة الثقافة والإعلام. ــ ص ٣٧-٣٩.
١٨. محمود أبو العزائم. مصدر سابق. ــ ص ١٤٨.

١٩. الشيخ مبارك شاطوط. ــ مصدر سابق. ص ٩٢-٩٦.
٢٠. محمود أبو العزائم. ــ مصدر سابق. ــ ص ٤٣.
٢١. عبد الرحيم سالم. ــ مصدر سابق. ــ ص ٨٠.
٢٢. الشيخ مبارك شاطوط. ــ مصدر سابق. ــ ص ٨٩.
٢٣. عبد الرحيم سالم. مصدر سابق. ــ ص ٨٢-٩٠.
٢٤. ــــــــــ . مصدر سابق. ــ ص ١١٩-١٢١.
٢٥. ــــــــــ . مصدر سابق. ــ ص ٦٤-٦٧.
٢٦. ــــــــــ . مصدر سابق. ــ ص ١٨-٢٤.
٢٧. على حسن عبد الله. الحكم والإدارة فى السودان. ــ القاهرة : دار المستقبل العربى، ١٩٨٦م. ــ ص ٧٢.
٢٨. مصطفى كرار. (مقابلة شخصية معه بمنزله بمدنى يوم ٢٠٠١/٨/١)
٢٩. إبراهيم كرار. (مقابلة شخصية معه بمنزله بمدنى يوم ٢٠٠١/٨/١)
٣٠. مصطفى كرار وإبراهيم كرار (مقابلة شخصية معهما بمنزلهما بمدنى يوم ٢٠٠١/٨/٢)
٣١. عبد الهادى الجوهرى. معجم علم الإجتماع. ــ القاهرة : مكتبة نهضة الشرق ؛ مطبعة جامعة القاهرة، ١٩٨٠. ــ ص ٧٢.
٣٢. إبراهيم كرار. (مقابلة شخصية معه بمنزله بمدنى يوم ٢٠٠٢/٨/٢)
٣٣. محمود أبو العزائم. مصدر سابق. ــ ص ٥٤-٥٦
٣٤. أحمد عبد الحميد. (مقابلة شخصية معه بمنزله بمدنى يوم ٢٠٠٢/٨/٩)
٣٥. عبد الله محمد أحمد. (كلمة فى تأبين بابكر كرار يوم ١٩٨١/٨/٢٩).
٣٦. ناصر السيد. (مقابلة شخصية معه بمنزله بأركويت يوم ٢٠٠٣/٣/٢)
٣٧. ميرغنى النصرى. (مقابلة شخصية مه بمنزله بالطائف يوم ٢٠٠٣/٣/٨)
٣٨. فتح الرحمن البشير. (مقابلة شخصية معه بمكتبه بشركة شرف العالمية يوم ٢٠٠٣/٤/٦.
٣٩. يوسف حسن سعيد. (مقابلة شخصية معه بمكتبه بجامعة أفريقيا يوم٢٠٠٤/٤/٨)
٤٠. عبد الله زكريا. (كلمة فى تأبين بابكر كرار بطرابلس يوم ١٩٨١/٧/١٣).
٤١. عبد الله محمد أحمد. ــ مصدر سابق.
٤٢. خلف الله الرشيد. (كلمة فى تأبين بابكر كرار بالخرطوم يوم ١٩٨١/٨/٢٩م).
٤٣. عبد الله زكريا. ــ مصدر سابق.
٤٤. ميرغنى النصرى. (مقابلة شخصية معه بمنزله بالطائف يوم ٢٠٠٢/٨/٢٤).
٤٥. ــــــــــ . المصدر السابق.
٤٦. عزالى بابكر كرار. (مقابلة شخصية معه بمنزله بالرياض يوم ٢٠٠٢/٣/٣١).
٤٧. ميرغنى النصرى. (مقابلة شخصية معه بمنزله بالطائف يوم ٢٠٠٢/٣/٢٤).ــ مصدر سابق.
٤٨. إبراهيم كرار. مصدر سابق.
٤٩. عمر نور الدائم. (مقابلة شخصية معه بمكتبه بدار حزب الأمة بأم درمان يوم ٢٠٠٢/٥/٣).
٥٠. يوسف حسن سعيد. ــ مصدر سابق.

٥١. عبد المنعم محمد الأمين. (مقابلة شخصية معه بمنزله بإمتداد ناصر يوم ٢٠٠٤/٥/٢).
٥٢. مجدى سليم. (مقابلة شخصية معه بمنزله بودمدنى يوم ٢٠٠٤/٣/٢٥).
٥٣. عمر أبوبكر. (كلمة فى تأبين بابكر كرار بالخرطوم يوم ١٩٨١/٨/٢٩)
٥٤. عمر نور الدائم. مصدر سابق.
٥٥. الصادق المهدى. (كلمة فى تأبين بابكر كرار بمدنى يوم ١٩٨١/٨/١٠).
٥٦. عبد الله محمد أحمد. ـ مصدر سابق.
٥٧. جعفر شيخ إدريس. (كلمة فى تأبين بابكر كرار بالخرطوم يوم ١٩٨١/٨/٢٩).
٥٨. ميرغنى النصرى. (كلمة فى تأبين بابكر كرار بالخرطوم يوم ١٩٨١/٨/٢٩).
٥٩. فتح الرحمن البشير. (كلمة فى تأبين بابكر كرار بالخرطوم يوم ١٩٨١/٨/٢٩)
٦٠. الجزولى دفع الله. (مقابلة شخصية معه بمكتبه ببحرى يوم ٢٠٠٤/١/٢٠).
٦١. عمر أبو بكر. (كلمة نقابة المحامين فى التأبين بالخرطوم يوم ١٩٨١/٨/٢٩)
٦٢. عمر الحامدى. (مقابلة شخصية معه بمكتبه بالسفارة الليبية بالخرطوم يوم ٢٠٠٤/١١/٨)
٦٣. عبد المنعم الدمياطى. (مقابلة شخصية معه بمنزله بمدنى يوم ٢٠٠٤/٣/٢٨).
٦٤. عبد الله زكريا. مصدر سابق.

الفصل الثالث

الدور السياسى والفكرى لبابكر كرار
فى مرحلة ما قبل وبعد الاستقلال

المبحث الاول

نشأة الحركة الاسلامية الحديثة فى السودان ومراحل تطورها

يعتبر الجيل الذى نشأ فيه الأستاذ بابكر كرار هو جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية وقد شارك هذا الجيل مشاركة فعالة فى حركة التحرر الوطنى ضد الاستعمار وفى استمرار النضال الجماهيرى العريض من اجل تغيير الواقع السودانى وتجديد الحياة فيه .

وفى فترة الثلاثينيات والاربعينيات ظهرت الحركة الشيوعية فى كل الاقطار العربية، وكان الصراع فى كل هذه الاقطار يبحث عن ايديولوجية وطنية وقومية، حتى لا تكون حركة التحرر الوطنى خاليةمن محتواها العقائدى والفكرى.

لذلك كانت الحركة الشيوعية تيارا فكريا وسياسيا قويا، حيث استطاعت ان تستقطب بشعاراتها الجذابة الكثير من الشباب فشعارات المساواة والعدالة الاجتماعية والاصلاح الزراعى وعلاقات الانتاج والتأميم، كل هذه الشعارات كانت لها جاذبية ولمعانا ومن هنا كان تعلق الطلاب والعمال بها.

هذا التعلق كان رد فعل للصراع المرير الذى خاضته الشعوب ضد الاستعمار. وللأوضاع السيئة التى كانت ترزح تحت نيرها الجماهير من جهل ومرض، اضافة للفساد المستشرى فى حكوماتهم وعجزها عن العمل.

لكل ذلك كان اقتناع الشباب بأنهم فى حاجة الى ثورتين احداهما ضد المستعمر والاخرى ضد الاقطاع(١).

وفى أوساط المثقفين السودانيين، وفى معاهد التعليم كانت الامور تتحـــرك، ذلك لان الثقافة الغربية لم تكن تروى ظمأ الكثيرين وهى فوق ذلك تمثل الثقافة التى نمت الاستعمار فى النهاية. ففى حـــين تتحـــدث الثقافـــة الغربيـــة عـــن الحريـــة والديمقراطية وقيمة الانسان كان أبناء تلك الثقافة من الاستعماريين يخنقون الحريـــة فى السودان ويصادرون الديمقراطية ويحقرون الإنسان.

وفى هذا الجو جو الإستعمار الغربى كانت الأوضاع الدولية تواجه تحولات حاسمة. فالاتحاد السوفيتى ابتدأ يظهر وسط الشعوب التـــى صـــارت تلتفـــت الـــى الاشتراكية وتتساءل عن كنهها واسباب قوتها.

وبدأت تصل الى السودان مؤلفات اشتراكية باللغة الإنجليزية عن الحياة فى البلاد الإشتراكية ومقدرتها على تحويل البؤس والشقاء الى حياة مســـتقرة مزدهـــرة .ومن هنا كان التفاف المثقفين وتداولهم كتاب ستالين. "المســـألة الوطنيـــة ومســـألة المستعمرات".

ومن خلال تلك القراءات كان قيام أول خلية ونواة للماركسية اللينينيـــة فـــى السودان فى أوائل عام ١٩٤٦ تحت اسم الحركة السودانية للتحرر الوطنى.

ويرى عبد الخالق محجوب ان هذه النواة لم تأتى قســـرا أو عـــن طريـــق الاستبداد كما يدعى اعداء الشيوعية فى السودان، بل كان ذلك تطورا منطقيا للفكـــر السودانى وحاجة ماسة فرضتها الظروف التى واجهت البلاد(٢).

وفى عام ١٩٤٩م وبكلية الخرطوم الجامعية (جامعـــة الخرطـــوم اليـــوم) ظهرت الحركة الشيوعية وسط الطلاب السودانيين عن طريق طـــلاب ســـودانيين هاجروا الى مصر للتعليم، وهناك تأثروا بالأفكار الماركسية التى كانت منتشرة بـــين الطلاب المصريين. وعند عودتهم أخذوا فى نشر هـــذه الافكـــار وســـط الطـــلاب السودانيين بالكلية الجامعية ومن ثم اخذت الشيوعية فى الأنتشـــار فـــى المـــدارس الثانوية.

وبما أن طلاب المدارس الثانوية انذاك كانت اعمارهم بين السادسة عشر والعشرين، فإن ذلك جعلهم اكثر تأثرا بالتحركات السياسية وانخراطا فيها. ومنذ ذلك الحين بدأت الحياة فى المدارس الثانوية، وفى مؤسسات التعليم العالي تتوزع بين العمل الدراسى العادى فى المدرسة من جهة والانتساب العقائدى، والانتساب السياسى أو الإنخراط فيه بشكل أو آخر من جهة ثانية(٣).

وبما ان الحزب الشيوعى السودانى قد إستطاع من خلال برامجه الموجهة لبعض القطاعات كالعمال والطلاب والنساء استقطاب الكثيرين منهم، وانشاء الخلايا فى كل من الخرطوم ومدنى وعطبرة، فقد كان انضمام بابكر كرار لاحدى هذه الخلايا وهو فى سن مبكرة من عمره، حيث كان فى السادسة عشرة من عمره. ويلاحظ ان اهم ما يميز اعضاء الحزب الشيوعى فى ذلك الوقت هو النشاط والذكاء، وقد كان بابكر كرار واحمد سليمان فى وحدة واحدة داخل الحزب الشيوعى(٤). كما ان انضمام بابكر كرار للحزب الشيوعى قد ساهم فيه سعد امير طه من خلال اللقاءات والمناقشات التى كانت تدور بينهم، غير أنه لم يمكث طويلا داخل الحزب الشيوعى وخرج منه بعد ان قرأ كتاب الاخوان فى الميزان الذى اهداه اليه سعد امير طه(٥).

وعند قدوم بابكر كرار الى كلية الخرطوم الجامعية فى عام ١٩٤٩م وجد ان الفكر الشيوعى قد تغلغل وسط الطلاب وهيمن على الكلية هيمنة تامة. مما دعاه الى التفكير فى البحث عن تنظيم إسلامى مناهض للفكر الشيوعى. فالشيوعية فكرة ولا يمكن محاربتها إلا بفكرة اكبر منها، ذلك لان المنطلق الفكرى هو مصدر الخلافات العميقة والحادة بين المنطلق الاسلامى والمنطلق الماركسى.

ومن هنا نبعت فكرة التحرير الاسلامى والتى كان من اهم اهدافها محاربة المستعمر البريطاني من ناحية، ووقف التيار الشيوعى الجارف من الناحية الاخرى.

وظهرت حركة التحرير الإسلامى عام ١٩٤٩م، وهى حركة تحرير وطنى قائمة على ايديولوجية اسلامية ولقد كان منطلق حركة التحرير الاسلامى، هو الانطلاق من اصالة الشعب السودانى ومقوماته التاريخية ومنابعه الفكرية والروحية والعقائدية، ومن أجل تأصيل الحركة الوطنية وبالتالى ملء الفراغ العقائدى والفكرى بها. كانت هناك قضايا جوهرية بدأت تطرح نفسها على الواقع السودانى، وفى صفوف المثقفين السودانيين فى كلية الخرطوم الجامعية. وكان الصراع يدور حول القضايا الجوهرية ذات الصلة بقضايا التحرر الوطنى والتغيير الإجتماعى والإيديولوجيات العلمية المعاصرة(٦).

وقد بدأت ارهاصات فكرة التحرير الاسلامى منذ عام ١٩٤٨ حين زار الاستاذ الصايم محمد ابراهيم مدرسة حنتوب الثانوية للالتقاء بطلابه بابكر كرار ومحمد يوسف محمد ، الذين قام بتدريسهما بمدرسة النهر الوسطى بمدنى. وقد كانت تربطه علاقة ود خاصة بكل من بابكر كرار ومحمد يوسف محمد.

وكان الاستاذ الصايم محمد ابراهيم استاذا بوزارة التربية والتعليم. وبعد ذلك التحق بمدرسة السعيدية بمصر ومنها الى جامعة فؤاد كلية القانون. وفى تلك الفترة كان اتحاد الطلبة السودانيين بمصر يسيطر عليه الشيوعيون سيطرة تامة، مما أدى إلى ظهور تيار آخر للطلاب السودانيين رافضا ومعارضا لتلك السيطرة الشيوعية، وكان على رأس هذا التيار الاستاذ الصايم محمد ابراهيم. ومن منطلق معارضة الصايم ورفضه لسيطرة الشيوعية على الطلاب السودانيين بمصر وخوفه من تنامى تلك السيطرة، كانت زيارته لمدرسة حنتوب الثانوية بمدنى ومقابلة طلابه الذين توسم فيهم خيرا بابكر كرار ومحمد يوسف محمد، عارضا عليهما أوضاع الطلاب السودانيين بمصر وطالبا منهما الموافقة على ان يكونوا نواة لرابطة الطلبة السودانيين الاسلاميين بالسودان. فطلبوا منه ان يمدهم بدستور الرابطة واهدافها، فاعطاهما اسم زميل له هو عباس موسى "قانونى بوزارة العدل لاحقا ليمدهم

بالدستور، وعند الاطلاع على الدستور ولوائحه قررا صرف النظر عن الموضوع(٧).

ولكن بعد دخولهم الكلية الجامعية، وجدوا ان اتحاد الطلاب وانشطته قد سيطر عليها الشيوعيون تماما، كما أن أحداً لم يكن يجرؤ على التحدث برأى مخالف لهم.

وجاء الطلبة الجدد فى هذا الجو القاتم وصاروا يعبرون عن آرائهم بصوت مسموع على غير ما جرت به العادة.

فمثلما يؤمن الشيوعيين بفكرتهم ويقدمون التضحيات فى سبيلها فعلى الاسلاميين ان يكونوا كذلك. وكان بابكر كرار، أول من وقف بقامته الفارعة بالجامعة، وتكلم باسم الاسلام، وفى ذلك الوقت كان لا يجرؤ طالب ان يتقدم وينتقد الشيوعية وقد كان من ابرز المناضلين فى مواجهة المد الشيوعى(٨) . وفى تلك الظروف والجو القاتم الذى كان يهيمن على الطلبة قال بابكر كرار لزميلة محمد يوسف محمد: لماذا لا نفكر فى احياء الفكرة التى ابداها استاذنا الصايم محمد ابراهيم عند زيارته لنا بمدرسة حنتوب، والعمل على استقطاب العناصر الخيرة لدحر التيار الشيوعى واقامة حركة اسلامية تقوم على قيم الاسلام وتعاليمه. وبعد الاتفاق على مبدأ قيام الحركة بينهم، تم الاتصال بكل من يوسف حسن سعيد، محمد الخير عبد القادر، ادم فضل الله، محمد احمد محمد على (مولانا) الطيب صالح واحمد محمد بابكر. وبعد نقاش مستفيض بينهم استقر الرأى على تكوين حركة اسلامية تحت اسم حركة التحرير الاسلامى(٩). وكانت الحركة تدعو للاشتراكية الاسلامية. فكلف محمد يوسف محمد بكتابة مذكرة عن ذلك الموضوع. ونسبة لان الافكار عن الاشتراكية الاسلامية لم تكن واضحة لهم فى ذلك الوقت، فقد اقتبس محمد يوسف محمد من كتاب " حياة محمد" لمحمد حسين هيكل، حديثا عن الاشتراكية الاسلامية، وقدم هذا الجزء كمادة اساسية لأول بيان تصدره حركة

التحرير الاسلامى. وكلف عضو آخر من اعضاء الحركة الاسلامية هو الطالب يوسف حسن سعيد باعداد بحث يوضح رؤية الاسلام للقضايا الاقتصادية ومعالجتها، كان ذلك فى وقت لم يكن علم الاقتصاد من المواد المقررة فى الكلية(١٠). ونسبة لتواصل العلاقة بين الاصدقاء بكلية الخرطوم الجامعية وزملائهم بمدرسة حنتوب الثانوية، فقد بدأ الاتصال بالطالب ميرغنى النصرى الذى تربطه علاقة ود وصداقة بكل من بابكر كرار ومحمد يوسف ليكون أول من يعلم بفكرة التنظيم الجديد، وقد وجدت الفكرة ارضا خصبة لتقبلها. ومن هنا سرت الحركة وسط طلاب حنتوب المقربين ذوى النزعة الدينية وتم تكوين فرع الحركة بحنتوب بقيادة ميرغنى النصرى، وكان معه احمد عبد الحميد والجزولى دفع الله، (١١) ولما كانت خورطقت فى بداية امرها ضمن مبانى مدرسة حنتوب الثانوية فقد تم تجنيد كل من الفاتح بشارة، ومرتضى مامون المرضى، ومحمد ساتى(١٢). ومن خلالهم تم انتقال الحركة الى الغرب وذلك بانتقال مبانى المدرسة الى الغرب. وفى الثانوية المصرية تم تجنيد يس عمر الامام كما تم تجنيد عبد الرحمن فرح بمدرسة الاحفاد(١٣). اما فى مدرسة وادى سيدنا فقد قام الطالب ميرغنى النصرى فى احدى الدورات الرياضية بتجنيد احمد الشيخ البشير ولاحقا تم تجنيد كل من حسين ابو صالح، مدثر عبد الرحيم. حسن الدرديرى. احمد امين. ابو الشام.

وقد كانت العلاقات بين طلاب وادى سيدنا وحنتوب والخرطوم الجامعية علاقات حميمة وقوية ترقى لمستوى الصداقات الشخصية بين الجميع. وفى الاجازات الرسمية كان الطلاب القادمون من مصر يقومون بالقاء محاضرات تجمع بينهم واخوانهم السودانيين غير ان هذا النشاط الذى كان يجمعهم يعتبر غير منتظم(١٤).

وقد كان تنظيم حركة التحرير الاسلامى سريا نسبة لظروف الاستعمار ولا يتم دخوله الا بعد اداء قسم ، كما ان اعضاء حركة التحرير لم يكن لديهم ادنى علم بتنظيمات الاخوان المسلمين الاخرى سواء كان ذلك داخل السودان أو خارجه(١٥).

وسرعان ما شعر الشيوعيون بأن هناك تنظيما سريا للطلاب قد بدأ في التحرك وصاحوا بما لديهم من ثقافة عن الاخوان المسلمين في مصر "اخوان مسلمين" وانزلوا العديد من المقالات فى جريدتهم "الشعلة" تهاجم وتحذر الطلاب من حركة ناشئة، وان هذه الحركة هى حركة اسلامية وحركة استعمارية، ومن ثم اطلقوا على الحركة اسم "الاخوان المسلمين" كما جاءوا بكتاب الاخوان فى الميزان الذى اصدره حزب الوفد، مهاجما فيه الاخوان المسلمين.

تزامن ذلك مع حظر حركة الاخوان المسلمين في مصر بعد اغتيال مرشدها الشيخ حسن البنا، الذى جاء بعد اغتيال رئيس الوزراء النقراشي باشا واتهام الاخوان المسلمين باغتياله واعتقال الكثيرين من اعضاء الجماعة. كل ذلك كان مقرونا بحملة اعلامية ضاربة ضد الاخوان المسلمين، وبما ان الثقافة الاسلامية بالنسبة للسودانيين كانت قادمة من مصر، فقد صار اسم الاخوان المسلمين في السودان موضع شك. غير ان هذه الصورة قد تغيرت تماما بعد اطلاق سراح الاخوان المسلمين المعتقلين، ومن خلال الصحف ايضا ظهرت بطولات الاخوان المسلمين فىحرب فلسطين وقناة السويس، وما تعرضوا له من التعذيب في السجون، مما ادى الى نوع من التعاطف معهم، هذا التعاطف كان له اثره وانعكاسه على حركة التحرير الاسلامى، وذلك فى شكل استقطاب لعناصر اخرى(١٦).

وبعد ان اتسع انتشار حركة التحرير الاسلامى، تم انشاء قسم للنشاط الخارجى داخل الكلية للاتصال بالفئات التي لا تنتمى للقطاع الطلابي، كما تم الاتصال بحركة الاخوان المسلمين داخل السودان وفى مصر.

وساعد فى توثيق هذه الصلة هجرة الطلاب السودانيين من كلية الخرطوم الجامعية الى مصر لاتمام دراساتهم والذين كانوا ينتمون لحركة التحرير الاسلامى وعلى رأسهم الطالب محمد الخير عبد القادر اما الطالب ادم فضل الله سالم فقد انقطعت علاقته بحركة التحرير الاسلامى بعد ذهابه للقاهرة وانشغاله بدراسة الطب التى استحوذت على كل وقته(١٨).

وفى عام ١٩٥٠ جاء عبد الباقى عمر عطية قادما من مصر وقابل بابكر كرار، وكانت هذه المقابلة عبارة عن تعارف على فكر الاخوان المسلمين فى مصر. وقد كان بابكر كرار يكن الكثير من الود والاعجاب للاستاذ حسن البنا.

ونسبة للظروف السياسية والمطاردات التى واجهها الاخوان المسملون فى مصر من حكومات الاحزاب، جاء عبد الباقى عمر عطية للسودان نهائيا لاكمال دراسته الجامعية بالسودان بعد فصله من الجامعة المصرية، وكان ذلك بعد محاولة اغتييال جمال عبد الناصر بالاسكندرية، وفى هذه المرة كلف عبد الباقى عمر عطية من قبل تنظيم الاخوان المسلمين فى مصر باختيار شخصية سودانية تقود الحركة الاسلامية بالسودان وقد وقع اختيار عبد الباقى عمر عطية على بابكر كرار وأخبره بهذا الاختيار غير أن بابكر كرار اعتذر عن القيام بتلك المهمة لان لديه تفكير وتنظيم آخر فى نفس التيار الاسلامى، حيث تبلورت حركة التحرير الاسلامى فى ذلك الوقت. كما تم لقاء آخر بمدنى بين عبد البديع صقر "مصرى من اخوان مصر القياديين" وبابكر كرار وفى ذلك اللقاء تنبأ عبد البديع صقر لبابكر كرار قائلا: ان هذا من سيقود الحركة الاسلامية بالسودان(١٩).

وهكذا ومن خلال الاتصال بالوافدين من حركة الاخوان المسلمين المصريين، تدفقت افكار الاخوان المسلمين واساليبهم فى الدعوة والعمل.

وباطلالة العام الدراسى ١٩٥٠ -١٩٥١م نافست حركة التحرير الاسلامى الشيوعين على الاتحاد، واكتسحت الانتخابات، وكان ذلك بفوزهم بتسعة مقاعد

مقابل واحد للشيوعين، غير أن السيوعي قام بتقديم إستقالته وبذلك سيطرت حركة التحرير على اتحاد الجامعة سيطرة تامة. وقد كان لوجود بابكر كرار اثره الكبير فى ذلك الفوز من حيث متانة جسمه وقوته وجرأته فى مواجهة الشيوعين. ولأول مرة فى تاريخ الجامعة ينهزم الشيوعيون فى النقاش(٢٠).

وبذلك سيطرت حركة التحرير الاسلامى على مؤتمر الطلبة فى كلية الخرطوم الجامعية وعلى المدارس الثانوية الاخرى. واستطاعوا انتزاع الاتحاد من الشيوعيين. واقامة تنظيم طلابى عرف باسم الاتحاد العام للطلاب السودانيين. تكونت له خلايا فى كل من الجامعة والثانويات على مستوى السودان(٢١). وسيطرت حركة التحرير الاسلامى سيطرة تامة على الحركة الطلابية فى الثلاث سنوات التالية حتى العام ١٩٥٣م.

وفى عام ١٩٥١م توطدت الصلة وزادت بين حركة التحرير الاسلامى واخوان مصر، من خلال رحلة رياضية لمصر اقامها اتحاد الطلاب "تيم كورة".

وتكون الوفد من جمال محمد احمد ممثلا للجامعة. محمد يوسف محمد ممثلا للاتحاد. بابكر كرار والرشيد الطاهر لاعبين. اما الطالب محمد احمد محمد على "مولانا" فقد تم اصطحابه على نفقه الطلاب الخاصة.

وقد تم استغلال هذه الزيارة لاجراء اتصالات مع اخوان مصر وبالفعل فقد تم الاتصال بالاستاذ فريد عبد الخالق "استاذ ثانوى" وكان مسئولا عن الحركة الطلابية فى مصر، والطالب محجوب الشايب "طالب طب".

وهذه كانت تعتبر المرة الأولى التى يتعرف فيها افراد حركة التحرير الاسلامى على فكر الاخوان فى مصر عن قرب حيث امدهما فريد عبد الخالق ومحجوب الشايب بالكتب ورسائل الشيخ حسن البنا.

وعند عودتهم الى الخرطوم طبق افراد الحركة طريقة التنظيمات والرحلات ونظام الاسر على حركة التحرير الاسلامى(٢٢). ولم ينس افراد حركة التحرير

الاسلامى المرأة وما يمكن ان تقدمه فى هذا المجال فتم استقطاب فاطمة طالب الله اسماعيل كأول امرأة مجندة داخل الحركة حيث قام بتجنيدها يوسف حسن سعيد ، كما تم تجنيد كل من زكية مكى وبثينة الشيخ وثريا امبابى وسعاد الفاتح التى قام بتجنيدها بابكر كرار(٢٣).

وفى عام ١٩٥٢ حدث تطور كبير بانفجار ثورة يوليو فى مصر، واتجاهها نحو القضية السودانية، بموافقتها على مبدأ تقرير المصير للشعب السوداني.

فاصبحت البلاد امام تطورات جديدة بصدور اتفاقية السودان عام ١٩٥٣. وحملت الاتفاقية معها بذور الاستقطاب وسط السودانيين - استقلال تام أو اتحاد مع مصر - ووقف الحزب الشيوعى بشدة ضد اتفاقية السودان، واعتبرها اجهاضا للحركة الوطنية، ورفع شعار الثورة المسلحة هى الطريق الى الاستقلال. وبعدها تراجع الحزب الشيوعى عن موقفه هذا. وكان موقف الحزب الشيوعي له آثار كبيرة على الحركة الطلابية ووحدتها وانعزالهم عنها.

وفى هذه الظروف ايضا تبلورت الحركة النقابية فى السودان. وبصورة اساسية فى نقابة السكة حديد. وقد ساعد الصراع الفكرى والعقائدى التنافسى بين التيار الماركسى والاسلامى فى انضاج الحركة النقابية فى السودان.

وفى هذه الفترة بدأ التقاء الحركة الطلابية والعمالية فى نضالات مشتركة، وتجلت مظاهر هذا الترابط والتعاضد والوحدة فى بعض المناسبات، مثل تضامن العمال مع مائة وتسعة عشر طالبا من مدرسة خورطقت الثانوية كان قد تم فصلهم من المدرسة.

وبدأت تبرز حركات جديدة منها إضراب البوليس وسعيهم لقيام اتحاد لهم. كما بدأت تلتقي قطاعات شعبية ومهنية فى القطاع الحديث خارج المؤسسات التقليدية والحزبية الموجودة. وتميزت هذه الفترة بالوضع الثوري الفكري مما جعل

الحركة الطلابية متقدمة أكثر فى القضايا الايديولوجية والوطنية، ذلك لانهـا غيـر مثقلة بسلبيات المجتمع المثقل بالنظام القبلي الطائفى والحزبى.

واتسعت حركة التحرير وتمددت، ولم يكن اسم الحركة أوصـلتها بحركـة الاخوان المسلمين فى مصر، أو مدى اصالتها أو تبعيتها مطروحا علـى مسـتوى يذكر خلال السنوات الأولى من عمر الحركة. بل كان الاهتمام منصبا على كسـب المزيد من التاييد والاستقطاب فى صفوفها.

وعندما اتخذت حركة التحرير الاسلامى مضمونا اجتماعيا حاسما وتوجهـا نحو النهوض الثورى بحركة الجماهير السودانية، وقامـت بكتابـة رسـالة الخـط السياسى التى فصلت ذلك وقف الاخوان المسلمون ضد هذا التوجه الاشتراكى، فـتم طرد العناصر التى كانت تعرقل نمو الحركـة بتخلفهـا الفكـرى وتنصـلها عـن مسئوليات العمل وذلك فى مؤتمر طلابى كبير بجامعة الخرطوم(٢٤).

وفى عام ١٩٥٣ تم فصل يوسف حسن و محمد احمد محمد محمد علـى " مولانا" ويرى يوسف حسن سعيد ان فصلهم قد تم بدعوى انهم اتحاديون(٢٥)، فـى حين يقول محمد يوسف محمد: انه لم يتم فصل يوسف حسن سعيد بـل أنـه كـان مبعوثا الى كادقلى مما ادى الى تغيبه وابتعاده عن الحركة.

ويرى محمد يوسف محمد ان التحيز الحزبى سواء كان للاتحادى أو الامـة لم يكن له وجود داخل حركة التحرير الاسلامى. والا لم يكن هنالك داعيا للانضمام للتحرير الاسلامى اصلا لان الانضمام للحركة يجب ما قبله(٢٦).

ويبدو أن فصل يوسف حسن سعيد من الحركة كان لابد من حدوثه حيـث يقول يوسف حسن سعيد: كان هناك نزاع نفسى ينتابنى هل استمر مع الاخـوان ام اذهب عنهم. ولكن دائما ما كانت ترجعنى الآية "واصبر نفسك مع الـذين يـدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا".

ويمضى يوسف حسن سعيد قائلا: عندما تم رفدنا ضغط على يس عمر الامام وعثمان جاد الله للرجوع للحركة ودعوت لاجتماع تاريخى بجامعة الخرطوم قلت فيه إن هذه امانتكم قد ردت اليكم(٢٧).

ولكن نذر الخلاف الاكبر بدأت تلوح فى الافق خلال عامى١٩٥٣ – ١٩٥٤. حينها ظهر الخلاف حول اسم الحركة بعد ان توثقت صلتها بحركة الاخوان المسلمين. وصار البعض لا يمانع من اطلاق اسم الاخوان المسلمين على حركة التحرير الإسلامى خاصة وان الحركة الاسلامية الام قد انتشرت فى كل بقاع العالم العربى(٢٨).

وعارض ذلك جناح بابكر كرار وميرغنى النصرى باعتبار ان موقف التحرير الاسلامى موقف تقدمى على الاخرين حيث كان الاخوان المسلمون يؤمنون بالرأسمالية فى حين يؤمن اعضاء التحرير بالاشتراكية والعمل السياسى الديمقراطى. وبما ان التوجه القوى العام كان مناهضة الفكر الشيوعى. فإن ذلك لا يتم الا بتوجه اسلامى قوى وبقيم عظيمة اقتصادية وسياسية واجتماعية. وبالتالى فإن حركة التحرير الاسلامى تعتبر حركة اسلامية مستقلة(٢٩).

ولتفادى الإزدواجية فى إسم الحركة تم عقد ما عرف باسم مؤتمر العيد ليكون حكما بين هذه التيارات. وتم عقد المؤتمر فى ١٩٥٤/٨/٢١م. بنادى ام درمان الثقافى لمناقشة مستقبل الحركة وخطها. وشملت الدعوة كل طلائع الحركة الاسلامية الحديثة.

ومثل الطلاب فى المؤتمر عبد الرحمن عمران، وعوض محمد عبد الله، دفع الله الحاج يوسف، حسن الترابى، جعفر شيخ ادريس، هاشم حسن عروة، الجزولى دفع الله، الرشيد الطاهر بكر، محمد يوسف محمد ميرغنى النصرى، عبد الله زكريا، وبابكر كرار.

ومثل طلاب مصر على عبد الله يعقوب، محمد الزمزمي وعبد الكريم محمد عبد الكريم، وعثمان محمد عبد الله، واحمد التجانى عمر. ومثل ام درمان محمد الخير عبد القادر(١٧)، احمد محمد بابكر، عيسى مكى، احمد عوض الكريم، يس عمر الامام، حامد عمر الامام. ومثل الخرطوم بحرى احمد شريف محمد، محمد احمد البشير، ابراهيم البشارى، عباس حسن التوم. ومثل الخرطوم صلاح ابو الجاز، زين العابدين بلال، عمر بخيت العوض، عبد الرحيم الركابى، ومثل عطبرة على محمد. ومثل الابيض عثمان دقيل. اما بورتسودان فقد مثلها عبد الحميد محمد إسماعيل.

وانتهى المؤتمر إلى:-

- اختيار اسم "الاخوان المسلمين" مع الاستقلال اداريا عن أي جماعة اسلامية اخرى.
- علنية الدعوة.
- الاهتمام بقضية الدستور.
- اقصاء على طالب الله
- تكوين مكتب تسيير يكون مسئولا عن حركة الدعوة فى كل انحاء السودان، وذلك برئاسة محمد الخير عبد القادر. وسكرتارية مولانا محمد احمد محمدعلى. وعضوية احمد محمد بابكر ويوسف حسن سعيد. وعمر بخيت العوض ويس عمر الامام واحمد شريف.

وعند ذلك انسحب المعترضون على اسم "الاخوان المسلمون" بقيادة بابكر كرار، وميرغنى النصرى، عبدالله زكريا، احمد الطيب، عبد الله محمد احمد، ناصر السيد، بشرى حامد جبر الدار جعفر محمد على بخيت، واحمد عبد الحميد والدرديرى ابراهيم(٣٠)، عبد العزيز بن ادريس، محمود بشير جماع، مفرح محمد الحسن، عبد الرحمن سلمان. وبعد يومين من مؤتمر العيد تم تكوين الجماعة

الاسلامية التى اصدرت ميثاقها فى عام ١٩٥٤. وفيه حسم القضية الايديولوجية فيما يتعلق بالتوجه الاشتراكى العلمي.

وهنا قامت جريدة الرأى العام، بهجوم عنيف عند صدور الميثاق، وقالت ان الجماعة الاسلامية هى " شيوع اسلام" وفيه اشارة الي حركة فدائيات اسلام "الايرانية آنذاك" وكانت هذه المرحلة هى بداية الانفتاح الشعبى على الاشتراكية العلمية، وابعاد تهمة الشيوعية والالحاد، عن المؤمنين بالفكر الاشتراكى العلمي. وساعد هذا العمل الفكرى الكبير فى انضاج الحركة النقابية العمالية.

وانطلاقا من عام ١٩٥٤وما بعدها بدأت الحركة الطلابية فى رفع شعارات فى الخارج مستقلة عن الحركة السياسية، فكان لها تأثيرها الكبير فى الادبيات والفكر السياسى. وحتى الاحزاب السياسية التقليدية، تأثرت بهذا الصراع، فحاولت ان تضفى على وجهها مسحة من الفكر والتقدم. فكان أخذ الأزهرى شعار الجماعة الاسلامية "الارض لمن يفلحها" وجزب الأمة أعلن انه حزب اشتراكى.

وجاءت آخر إنتخابات فى عام ١٩٥٨، فإذا بهذه الشعارات تدخل فى برامج الأحزاب السياسية التقليدية وعلى أساسها خاضت الإنتخابات(٣١).

وقد قامت الجماعة الاسلامية باخراج برنامجها فى كتيب بعنوان "الجماعة الإسلامية دعوة ومنهاج" ونستعرض في السطور التالية بعض من ملامح هذا البرنامج.

يوضح الكتيب اهداف الجماعة الاسلامية في انها تسعى الى تحقيق الاسلام فى واقع الحياة بالجهاد المتصل لتحكيم الشريعة الاسلامية فى حياة الناس الواقعية مهما اختلفت اجناسهم وأوطانهم واديانهم.. حتي تكون كلمة الله هى العليا، ويكون ذلك بتحقيق الحياة التى دعا اليها القرآن الكريم وفصلتها السنة المطهرة. وان يكون شعار الجماعة الاسلامية هو الله اكبر ولله الحمد لان ذلك الهتاف منبعث من تاريخ الشعب السودانى ويربط بين تراث الاجداد والحاضر، ويكون هذا الشعار زادا

يتزود به الدعاة المخلصون المجاهدون الذين يبذلون من ذات انفسهم في سبيل الدعوة الى الله(٣٢). والمنهاج الذى تلتزمه الجماعة هو السير في سبيل الله " وان هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون" فالدعوة الاسلامية لا تحتكم الى دستور وضعي ولا الى قيود املتها اهواء الناس ومصالح بعض الطبقات وبعض الفئات، فالجهاد مرتبط باحقاق الحق وتثبيته ومقاومة الباطل واقتلاعه، وان تراخى الجماعة عن قيم الجهاد يعنى عدم صلاحيتها لحمل رسالة الله وبالتالى فانها لم تعد "جماعة اسلامية" ولذلك فان تنظيم الجماعة تنظيم ثورى كفاحى صيغ صياغة تجعله قادرا على الصمود فى وجه الظلم والطغاه. فالشعب السوداني يعيش تحت ظلام من الثقافات الاستعمارية التى تساعد النظم التعليمية على نشرها وتعميمها، ليكون واقعا مفروضا على الجماهير. غير ان هذا الواقع لا يمكن علاجه فى إصلاحات وترقيعات، وانما علاجه الكامل يكمن فى تغيير هذا الواقع من أساسه، فلابد من الغاء هذا الكيان الاقتصادى والسياسى والإجتماعى وتاسيس المجتمع على اسس جديدة وعلى علاقات جديدة وقيم جديدة قد أشار اليها دستور الجماعة الإسلامية اجمالا.

وترتكز الجماعة الإسلامية فى جهادها فى سبيل مثلها العليا على ثلاثة قوى، قوة الاسلام. وقوة الجماعة، ثم قوة الله سبحانه وتعالى، وسنده وكفالته بتغطية عجز الجماعة واستكمال قوتهم ما اخلصوا اليه قلوبهم واتجهوا اليه باعمالهم. وان الجماهير الجاهلة لن تنهض الا اذا وجدت القيادة الواعية الراشدة والمجاهدة، ولن توجد هذه القيادة الا اذا وجدت الفكرة أولا. ولن تكون هذه الفكرة غير الفكرة الاسلامية.

وتستمد الجماعة الاسلامية خطها الكفاحى كما ترى من واقع الجماعة، والواقع يعنى الظروف الاجتماعية التى يعيش فيها السودانيون في تلك الحقبة التاريخية، من حيث التكوين الاجتماعى للشعب والتراث القومي الذي يكيف الشعب

ويحدد الى اى مدى يعيد تفكيره وشعوره واتجاهه.. تلك المعتقدات التى تهيمن على الطوائف المتعددة.. ذلك النظام السياسى والاقتصادى الذى يهيمن على الشعب كله.. الارتباطات الاقتصادية بين الافراد والطبقات وبين الشعب ومعسكر الاستعمار.. التنظيمات الشعبية والأحزاب السياسية وطبيعة تكوينها. هذه الاشياء جميعها وغيرها هى التى تحدد نوع "الاسلوب" أو "الخطة" التى تسير عليها الجماعة الاسلامية لتحقيق الدعوة الاسلامية فى واقع الحياة.

ونتيجة لذلك ترى الجماعة الاسلامية انها لا تجمد مع الخطط التى سلكتها بعض الجماعات الاسلامية وبعض رواد الفكرة الاسلامية فى خواتيم القرن التاسع عشر وطلائع القرن العشرين.. لن تجمد مع الخطط التى كانت تمليها ظروف تارخية معينة والتى جاءت وليدة واقع معين، وانما ستستفيد من الخبرة والتجارب التى اجتازتها تلك الجماعات وخاضها أولئك الرواد، وتتسلح بتلك المحن والتجارب فى نضالها اليومى المنبعث منها والمنصب عليها من هذا الواقع. كما ان التقليد الاعمى والتبعية وإرتداء ملابس الجماعات الاخرى والتزين بنضالها والاعتماد عليها ، لن يجد له مكانا فى فقه الجماعة الاسلامية. ومن ثم فإن الجماعة الاسلامية مستقلة بأمرها وتنظيمها واتجاهها وعملها استقلالا كاملا(٣٣). كما ان الجماعة الاسلامية تنظر الى الحركات الاسلامية وما خلفته من تراث على انه تراث للمجاهدات الانسانية التى يكتنفها الخطأ والصواب، وتستفيد الانسانية من هذا الخطأ كما تستفيد من ذلك الصواب على السواء. وان ضيق الافق والدجل الدينى هو الذى يدفع بعضا من دعاة الفكرة الاسلامية وادعيائها لتمجيد بعض الحركات الاسلامية ومحاولة الدفاع عن اخطائها. وعثراتها دفاعا مغرضا لا يخدم الفكرة الاسلامية ولا الشعوب الاسلامية من قريب أو بعيد، بل ويحجر هذه الحركات ويصورها تصويرا رجعيا جامدا، ويمكن الادعياء والنفعيين من الاستمرار فى استغلال الدعوة والتجارة بها(٣٤).

واعتمدت الجماعة الاسلامية فى الدعوة على التركيز فى التنظيم والتركيـز فى العمل، بحيث يكون التركيز فى الدعوة على اكثر طبقات الشعب حيوية وقـوة. وان يكون التركيز فى مواضع القوة من المجتمع، تلك المواضع التى تسيطر علـى حياة المجتمع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية سيطرة حقيقية واقعيـة، ذلـك لان تركيز الدعوة فى هذه المواضع المفتاحية، يعنى تسليح الدعوة الاسلامية اقتصـاديا وسياسيا واجتماعيا، تسليحا ماديا منيعا. وان التركيز فى هـذه المواضـع سـيمكن الدعوة من ان تكون فكرة ودولة. اضافة الى ان هذا التركيز سيكون بمثابة تسـليح عملى للجماعة الاسلامية ضد الاضطهادات والضربات التـى يكيلهـا الاسـتعمار والرجعية الوطنية.. ان الاقدام على اضطهاد الجماعة الاسلامية فـى هـذه الحالـة سيعنى للحكومة انهيار الحياة الإقتصـادية والسياسـية وذلـك لارتكـاز الجماعـة الاسلامية على هذه المواضع المفتاحية التى ترضخ لها الحكومة نفسها فـى حقيقـة الامر ولا تستطيع السير بدونها. ومواضع القوى فى المجتمـع هـى المزارعـون والعمال وصغار الموظفين والطلاب. وهذه الطبقات هـى اكثـر طبقـات الشـعب استجابة للدعوة الاسلامية وذلك لثورية الدعوة وللأوضاع السيئة التى تعـيش فيهـا هذه الطبقات اضافة الى الوعى الذى يشيع بين هذه الطبقات ولا يتواجد فى الطبقات الاخرى. وان هذا التركيز هو اقرب طريق سلمى للحكم لانـه يسـلب الحكومـات الرجعية من الأجهزة السياسية التى تعتمد عليها فى تحقيق مصالحها. واخيرا فـإن هذا التركيز سيكون عاملا قويا فى تطوير الثقافـة الاسـلامية والفقـه الاسـلامى. وبالتالى سيكون عاملا قويا فى بعث الدعوة الاسلامية وصـقلها واخراجهـا مـن الاجواء المريضة التى كانت محصورة فيها.

ولذلك فإن ميادين نشر الدعوة واشعال الثورة فيها يجـب ان يكـون فـى ميادينها الاصليه، فالثورة ضد الاقطاع لا تكون فى صفوف الطلاب ولا يكون كفاح راس المال فى صفوف صغار الموظفين، بل يجب ان تندلع الثورة فى الاقطاعيـات

نفسها وان ينهض رقيق الإقطاعايات انفسهم أولا لانهم اصلب واقوى على محاربته لانهم يكتون بويلاته اكتواء مباشرا ومتصلاً.

وان تكون المقاومة للأوضاع الاستعمارية على اساس ان لكل معركة ميدانها، وان هذا الاسلوب في تحديد الميدان لكل معركة سيعصم الجماعة الاسلامية من تشتيت جهودها، وهو الذى سيكسبها خبرة وتجربة واسعة فى مواجهة الأوضاع الاستعمارية التى يقدم عليها المجتمع. ومن هنا تكون الجماعة الاسلامية ثورة كاملة ضد النظام الاقتصادى والسياسى والاجتماعى والتعليمي والقضائى. وذلك لان اى حركة اصلاحية لا تجتث هذه الدعائم من اساسها اجتثاثا كاملا فهى حركة ترفيع للمجتمع وحركة تشويه للاتجاهات الثورية المسددة الى غايتها(٣٥).

ومن اهم ما جاء فى دستور الجماعة الاسلامية ما نصه:-

١. تأسيس دعائم المجتمع على الايمان بالله والاخوة والعمل.
٢. مطاردة الاستغلال وتجريمه وتحقيق المساواة التامة في ميدان العمل وذلك بالغاء الاقطاع وتحويل ملكية الارض جميعها وما تحتويه من ثروة الى ملكية الجماعة وتوزيعها على قاعدة الارض لمن يفلحها.
٣. الغاء النظام الرأسمالى اطلاقا وتحويل جميع وسائل الانتاج والتوزيع إلى ملكية الجماعة.
٤. معاداة المعسكر الاستعمارى الإنجلو امريكي والعمل على تقويطل ومحاربة اى ارتباطات عسكرية أو سياسية به والجهاد المتصل للتحرر اقتصاديا منه.

وهذه المقتطفات من برنامج الجماعة الاسلامية تكشف بوضوح أن الحركة الاشتراكية فى السودان بدأت نواتها العقائدية فى عام ١٩٤٩م بجامعة الخرطوم فى الحلقات والتجمعات العقائدية من الطلاب الذين كانوا يرفضون الماركسية اللينينية. ويبدأون فى جدية دراسة الدعوة الاسلامية. وفى معاناة اكتشفوا منابع الاشتراكية

العلمية والانتصار للانسان من خلال نضاله من أجل الخلاص من البؤس والضياع(٣٦).

وظل الحزب مناضلا باسم الجماعة الاسلامية حتى ثورة ٢١ اكتوبر، وانعقد مؤتمر الحزب فى مطلع عام ١٩٦٥م وهنا اتخذ اسم جديد للحزب هو " الحزب الاشتراكي الاسلامى" واصدر الحزب برنامجه الجديد " ميثاق الحزب الاشتراكى الاسلامى" وقد أوضح الميثاق مواقف الحزب واطروحاته فى كثير من القضايا الوطنية التى تشغل الرأى العام فى ذلك الوقت مقدما ما يراه من معالجات لتلك القضايا.

وفميا يلي استعراض لبرامج الحزب الاشتراكى الاسلامى بعد ثورة ٢١ اكتوبر من خلال صفحات ميثاق الحزب.

يذهب الميثاق الى ان طاقات الشعب السودانى التى فجرها فى ٢١ اكتوبر، يتحتم تبلورها فى تغيير جذرى واسع يمكن الجماهير العاملة والمثقفين الوطنيين من قيادة النضال السياسى، من اجل ترسيخ قواعد الثورة الشاملة وتحقيق ديمقراطية الجماهير.

ولكن ارادة الثورة الاجتماعية تواجه تحديات عديدة:-

أولا: هنك الدوائر الحزبية التقليدية ومدى فاعلية سيطرتها على الاقاليم والارياف.

ثانيا: عدم وجود التنظيم السياسى الثورى القادر على تحويل ثورة ٢١ اكتوبر الى ثورة اجتماعية شاملة.

وازاء هذه التحديات ما هى رؤية الحزب الاشتراكى الاسلامى ومواقفة لمواجهة هذه التحديات.

ولقد كانت الاجابة على ذلك ان الواقع وما يتكشف عنه على الصعيد السياسى هو الذى يحدد الموقف. وبنظرة الى ذلك الواقع نجد ان انقلاب ١٧ نوفمبر

جاء على اثر ضغط شعبى شديد ولقد اشتد الضغط اشعبى وانعكس بصورة واضحة داخل البرلمان السابق واتضحت قوته فى مشروع اتفاقية المعونة الامريكية.

لقد حاول الاستعمار الامريكى ان يخصص "المعونات" لتقوية القطاع الخاص، وذلك بغرض خلق رأسمالية سودانية قوية تكون قاعدة لدفع السودان فى طريق التطور الرأسمالى. وربط الاقتصاد السودانى بالاحتكارات العالمية الاستعمارية.

ولقد استطاع الضغط الشعبى على البرلمان ان يهزم مشروع المعونة الامريكية، وان يهزم الدوائر الحاكمة فى حزب الامة والشعب الديمقراطى، وان يضع قيودا وشروطا على المعونة الامريكية بغرض توظيفها كلها فى خدمة القطاع العام الوطنى.

وان هزيمة حزب الامة والشعبى الديمقراطى ازاء مشورع اتفاقية المعونة الامريكية هى التى دفعت الى انقلاب ١٧ نوفمبر. وإن هذا الإنقلاب العسكرى لم تقم به القوات المسحلة فى نوفمبر ١٩٥٨ بمبادرتها وإنما أرغمت قيادته وقبلته بعد تردد وضغط من الدوائر الحاكمة فى الحزبيين الكبيريين.

ومنذ ان تقلدت قيادة القوات المسلحة السودانية مهام الحكم بدأت الاضطرابات تشتد بينها وبين العناصر المتحررة داخل الجيش، والتى ادركت بوعيها ومعرفتها لاعضاء المجلس الاعلى للقوات المسحلة، أن انقلاب نوفمبر انقلاب رجعى لخدمة الرجعية الوطنية والاستعمار، ولضرب التجمع الشعبى المتحرر، ومن ثم وقعت المحاولات الانقلابية داخل الجيش فى مارس ١٩٥٩م وفى سبتمبر من نفس العام، والتى أدت الى طرد الكثيرين من العناصر الوطنية الواعية الصلبة فى القوات المسحلة السودانية.

وفى نهاية عم ١٩٦٠م بدأت ملامـــح الانقـــلاب العســـكرى تكـــون اكثـــر وضوحا، الا ان الرأى العام الشعبى كان منقسما حول طريقة العمل لتحويل الموقف كله فى مصلحة الشعب.

كان اتجاه حزب الامة والوطنى الاتحادى هو المعارضة للحكم العسكرى، ومحاولة الضغط عليه ليستجيب الى العودة الى الديمقراطية عـــن طريـــق حكومـــة انتقالية.

وكان اتجاه الشعبى الديمقراطى هو مجاراة الوضع العسكرى حتى يستجيب الى طريقة العمل الثورى الذى سارت عليه القوات المسحلة المصرية غداة ثـــورة ٢٣ يوليو.

وكان اتجاه الجماعة الاسلامية هو غزو قادة القـــوات المســـحلة بالافكـــار الثورية والبرامج الوطنية التى تحقق وحدة وطنية نضالية وتوثق رابطـــة القـــوات المسحلة والقاعدة الشعبية فى كيان شعبى واحد داخل تنظيم شعبى واحد، تتوفر فيـــه الديمقراطية للجماهير العاملة وتسير نحو التقدم وراء قيادة مدنية عسكرية مختلطة.

الا ان تطور الاحداث قد اكد ان الطرق الثلاثة كانت خاسرة ولا تؤدى الى طريق المصلحة الشعبية.

فالطريق **الأول**.. هو الذى عبرت عنه مذكرة الامام الصديق المهـــدى، لـــم يجد استجابة من الجماهير لانه يثير الرعب فى الجماهير من عودة نفس القيـــادات الضعيفة التىجاءت عن طريق الطائفية والادارة الاستعمارية البريطانية دون تغيير فى اهدافها أو تصحيح لاخطائها. ومن ناحية ثانية فإن القوات المسحلة السودانية لم تخرج عن الخط التقليديى فى سياستها الخارجية والداخلية التى كانت تســـير عليهـــا الدوائر الحاكمة فى حزب الامة والشعبى الديمقراطى ابان حكمهما فـــى البرلمـــان السابق.

ولكن لماذا اسندت معارضة انصار هذا الطريق للوضع العسكرى طوال الستة سنوات؟ والاجابة تتركز حول سياسة الحكم العسكرى فى ايثار حفنة من البرجوازية الصغيرة دون غيرها بالرعاية والاغداق مع حرمان قاعدة عريضة من البرجوازية الموزعة على الاحزاب الثلاثة التي كانت تحكم وتسيطر على القيادة السياسية منذ الإستقلال.

والطريق الثاني: لم يحقق نجاحا اذ ان الوضع العسكرى كله قد وقع فى بؤرة الرجعية والعمالة للاستعمار الإنجلو امريكى واخذ يبعد كل يوم عن طريق الثورة الاجتماعية.

اما الطريق الثالث: فقد قادته صحيفة الرسالة التى قادت حملات عنيفة واسعة فى الربع الاخير من عام ١٩٦٠م بغرض دفع قيادة القوات المسلحة لاتخاذ خطوات حاسمة نحو تأميم القطاع الرئيسى للتجارة الخارجية وتأميم البنوك الاجنبية وشركات التأمين، واجراء اصلاح واسع وتأميم الصحافة التجارية واعادة تنظيمها على اسس ديمقراطية وشعبية وان تكون تابعة لتنظيم شعبى يضم كل الجماهير العاملة السودانية.

وهذه الدعوة قد ضربت وقمعت وأوقفت صحيفة الرسالة واصدر المجلس الاعلى بيانا للصحف المحلية والاذاعة يؤكد فيه ان سياسة الحكومة العسكرية ترفض التأميم رفضا باتاً فى اى قطاع من القطاعات وحلت نقابة السكة حديد وبدأت الحملات ضد الحركات النقابية واتحاد المزارعين(٣٧).

كان الطريق الوحيد الذي يلوح بالامل هو طريق الحركة الجماهيرية الشعبية، طريق تجميع القوى العاملة من عمال ومزارعين كقاعدة لنضال شعب جماهيرى ضد الحكم العسكرى.

وفى هذا الطريق تحقق مؤتمر النقابات فى اغسطس ١٩٦٤ وفى هذا المؤتمر استطاعت النقابات ان تصنع "عقيدة العمل النقابى" بغرض توضيح طريق

نضالها وهو طريق عدم الانحياز والحياد الايجابى، وعدم الانتماء لاى من الكتلتين العماليتين الشرقية والغربية، والانخراط فى الاتحاد العام للعمال العرب والاتحادات الافريقية الاقليمية المتحررة التى تتفق مبادئها مع مبادئ الحركة العمالية السودانية.

ومنذ ان اعلنت الحركة العمالية عن عقيدتها النقابية في الارتباط الحيوى الفعال بالقضايا الوطنية والاهداف الوطنية العليا، وربط العمل النقابى بالعمل الوطني، فقد بدأت الدوائر الإنجلو أمريكية تكيد وتعمل على ضرب التجمع العمالى على هذا الصعيد الوطنى، وبدأت الحكومة العسكرية تقاوم الحركة العمالية بكل الوسائل حتي تم ضربها قبيل موعد انعقاد المؤتمر الثانى بأربعة ايام.

وعلي اثر ضرب الحركة العمالية وتعطيل صحيفة الرسالة جرت مفاوضات بين قادة حزب الجماعة الاسلامية وطلائع النقابيين والوطنيين فى الاحزاب السياسية التى كان اليأس قد سيطر عليها. وذلك بغرض تكوين جبهة وطنية متحدة لا على غرار الجبهة الوطنية التى كانت تجمع بين الانصار والوطنى الاتحادى والاخوان المسلمين والشيوعيين، وانما على اسس جديدة اكثر فعالية واكثر تعبيرا عن الأهداف الوطنية.

ولقد بدأت الاجتماعات تنعقد لبحث برنامج وطنى تقدمى للجبهة شارك فيها السياسي المناضل الشيخ محمد احمد المرضى وعبد الله نقد الله وبابكر كرار، ومحمد يوسف محمد ونصر الدين السيد والدكتور احمد السيد حمد.

الا ان الاحداث كانت تتطور وتتفاقم بسرعة بينما كانت الاحزاب تتباطأ وتغوص في اليأس والاضطراب.

واندلعت ثورة ٢١ اكتوبر ورجع الجيش الى ثكناته وقامت حكومة انتقالية.

وهنا ظهرت مهام جديدة تواجه الشعب السودانى. وفى رأى قادة الجماعة الاسلامية ان تلك المهام تتلخص فى:-

١. تدعيم الاستقلال الوطنى

٢. تدعيم الوحدة القومية
٣. تحرير الاقتصاد الوطنى من التبعية للاحتكارات الاجنبيــة وتحويلــه الــى اقتصاد وطنى فى خدمة الجماهير الشعبية وتلبية حاجاتها الملحة المتزايدة.
٤. توطيد الديمقراطية الشعبية وتوسيع نطاق الحركة التعاونية .
٥. بعث الثقافة الوطنية الاصيلة واطلاق فعاليتها فى تربية الشعب تربية وطنية جديدة متحررة.

ولكن ما هو الطريق الذى تسلكه الجماعة الاســلامية لمواجهــة هــذه المهــام الرئيسية المتشابكة التى تواجه الشعب السودانى.

هل يمكن اتباع طريق الرأسمالية الذى سارت عليه كثير من دول الغرب لتدعيم اسقلالها ووحدتها القومية؟

ان طريق الرأسمالية لا يمكن السير فيه وذلك لعدة اعتبارات:-

أولا:-

ان طريق الرأسمالية قد اختبرته شعوب من قبل ولم تجد فيه غير البــؤس والاضطرابات الاجتماعية والحروب مع الدول المجاورة والاقطــار البعيــدة وراء الحدود والبحار.

ثانيا:-

ان طريق الرأسمالية لا يعرفه السودان لان المجتمع فى الاساس هو مجتمع بلا طبقات.. وتتميز فيه الرأسمالية الوطنية بعــدم الاصــالة والضــعف.. فتــاريخ الرأسمالية الوطنية فى السودان محصور فى الاساس فى استغلال النفوذ السياسى.

وأن الرأسمالية الوطنية مع ضعفها وندرتها فهى لا تعمــل الا فــى نطــاق محصور هو التجارة والزراعة وفى الصناعات الخفيفة التى تقوم اساسا على اكتاف الجماهير المستهلكة.

لذلك فإن الاضطراب الذى وقع فيه الاقتصاد الوطنى منذ الاستقلال تحقق بسبب سيره فى الطريق الرأسمالى. فاضطراب برامج التنمية الاقتصادية واخفاق التصنيع واغلاق بعض المصانع الوطنية وتشريد عمالها وقيام الصناعات المحلية تزيد الجماهير المستهلكة فقراً وبؤساً، وفشل الصناعات المحلية فى توفير العملات الاجنبية وتحقيق ارباحها على حساب جوع وبؤس الجماهير العاملة.

وأن الرأسمالية الوطنية فى البلاد، والاقطاع الزراعى ورؤوس الاموال الاجنبية الاستعمارية، والبنوك الاجنبية. تحاول ان تسحب رصيد التطور الاقتصادى والصناعى من جيوب الجماهير العاملة وعلى حساب جوعها وفقرها، وذلك عن طريق الضرائب غير المباشرة الباهظة. ونهب حصيلة جهود المزارعين بتصريف وبيع محصولاتهم فى الاسواق الرأسمالية ومن ثم ينشأ ويتفاقم التناقض بين قيام الصناعات المحلية وزيادة فقر الجماهير العاملة. وهذا التناقض يؤدى فى نهاية الامر الى ان تتخلف الصناعات الوطنية تخلفا تاما عن زيادة السكان وتزايد حاجيات الجماهير الملحة والاساسية.

واذا لم يوضع تخطيط جديد لتنظيم وظيفة رؤوس الاموال الاجنبية فى البلاد بغرض تدعيمها للتخطيط الاقتصادى الوطنى الهادف الى تحرير الاقتصاد الوطنى من التبعية للاحتكارات الاجنبية والوصول به الى مرحلة النضوج، فإن رؤوس الاموال الوطنية ستعمل على تخريب الاقتصاد الوطنى(٣٨).

لذلك فإن بداية التحرر الاقتصادى من التبعية للاحتكارات الاجنبية الاستعمارية، وتوفير الشروط الضرورية الجوهرية لتشكيل لجنة مركزية ووضع خطة جديدة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية بدلا من الخطة العشرية المتخلفة وخادمة الاستعمار والاحتكارات الاجنبية هى:

- تأميم التجارة الخارجية.
- تأميم البنوك الاجنبية.

ان نمو الاحتكارات العالمية الضخمة لم يترك الا سبيلين للرأسمالية المحلية فى البلاد المتطلعة الى التقدم.

أولهما: انها لم تعد تقدر على المنافسة الا وراء اسوار الحماية الجمركية العالية التى تدفعها الجماهير.

ثانيهما: ان الأمل الوحيد لها فى النمو هو ان تربط نفسها بحركة الاحتكارات العالمية وتقتفى اثرها وتتحول الى ذيل لها وتجر أوطانها وراءها الى هذه الهاوية الخطيرة(٣٩).

ولكل هذه الاسباب فإن البلاد فى حاجة الى حزب جماهيرى مرتبط بمصالح الجماهير ومعتقداتها وتراثها القومى. هذا الحزب هو الحزب الذى يؤمن بالحل الاشتراكى العلمى لمعضلات التحرر والتقدم والديمقراطية التى تواجه الشعب السودانى.

والصفتان الرئيسيتان لهذا الحزب الجماهيرى هما:- الاشتراكية .. والاسلام.

واشار الميثاق الى تأمل الدعوة الاسلامية والتشريع الاسلامى عقيدة وتشريعا والتفات الجماهير اليها بوعى بعد ان وضح استمساك الجماهيرى برآية الاسلام فى نضالها منذ عام ١٨٨١م وحتى غداة ثورة ٢١ اكتوبر الشعبية. فإن الاشتراكية العلمية ستقام على اصلب عقيدة انسانية وعلى المثل الاعلى فى التشريع والعلاقات الدولية. وهذا الاتجاه الاشتراكى الاسلامى يعصم السودان من اى تبعية سياسية أو اقتصادية أو مذهبية للخارج. ويكون هناك غنى ذاتى لا يحتاج الى افكار مستوردة ولا الى احزاب لا وظيفة لها الا هدم الدين تحت ستار الاشتراكية(٤٠).

وأوضح الميثاق طبيعة واهداف التنظيم، فى انه تنظيم شعبى للوحدة الوطنية، وهو بذلك يتميز عن اى تنظيم طائفى ينحصر فى طائفة بذاتها أو اى تنظيم معزول ومقفول يدور حول نفسه. وان التنظيم يستند على اعظم القوى الاجتماعية ثورية وذات المصلحة الحقيقية فى التغيير الجذرى.

لذلك فإن التنظيم يتألف من المثقفين الثوريين والعمال والفلاحين، ثـــم تتماســك حول التنظيم القوى الاقرب تقدما.

ويمضى الميثاق قائلا. إن بناء دولة حديثة وتنظيم مجتمع ثورى يتطلبان اللجوء الى مناهج علمية من الناحية النظرية والتطبيقية، وان ذلك يتطلــب روحــا تتحلــى بالاستكشاف العلمى ومجهودا من الفحص الفعلى.

ولا يتم ذلك الا برفض لكل اشكال التفكير الذاتى أو ارتجال النظــرة التقريبيــة والكسل الذهنى والنزعة التى تصبغ الواقع بصبغة خيالية معزولــة عــن الواقــع. اضافة الى ان المنهج الفكرى العلمى يجعل الاذهان مفتوحــة للتجــارب الانســانية والخبرة الانسانية للاستفادة منها فى الفكر والعمل.

اما عن النظام الداخلى للحزب فيجب ان يكون ديمقرايطا. فحرية الرأى والقول والنقد الموضوعى مكفولة داخل تنظيمات الحزب. شريطة ان تكون هــذه الحريــة وممارستها فى نطاق دستور الحزب وقوانينــه ولوائحــه. واشــار الميثــاق الــى المسئوليات التنظيمية معتبرا ان هذه السئوليات لا توضع اعتباطا، وانمــا يجــب ان تتبع القاعدة الاسلامية الاصولية " السبق والابتلاء حتى تكون القيادة حية فى اعماق الحزب وتاريخه ومجاهداته" كما ان المسئوليات التنظيمية ســتظل قابلــة للخفــض والرفع حسب النضال اليومى للاعضاء، وحتى يتمكن التنظيم من الاستفادة من اقدر الكفاءات الفكرية والنضالية(٤١).

ويلاحظ انه وبعد ثورة ٢١ اكتوبر قد تعددت الاحزاب والتجمعات الاشــتراكية فى البلاد. وقد دار لغط كثير حول ارتباط الاشتراكية بالشيوعية، حتــى ان هنــاك اتهام بالشيوعية لكل من يحمل افكارا اشتراكية.

ولقد رأينا ان قادة الجماعة الإسلامية قد اتهموا بأنهم شيوع اسلام كما وصــفهم حسن نجيلة فور صدور كتيب الجماعية الاسلامية دعوة ومنهاج.

وعن الإشتراكية العلمية ومدى التقائها أو إختلافها مع الشيوعية يقول بابكر كرار: أن هناك أربع منظمات سياسية ظلت ترفع راية الاشتراكية العلمية فى السودان لاكثر من عشر سنوات، وهى على وجه الحصر الحزب الشيوعى السودانى، والجمعية الوطنية، والحزب الجمهورى وحزب الجماعة الاسلامية فىذلك الوقت وفيما بعد " الاشتراكى الاسلامى".

وقد كانت الاختلافات الاساسية بين كل هذه المنظمات التى رفعت رآية الاشتراكية العلمية فى ذلك الحين وحتى ثورة ٢١ اكتوبر، كانت تتبلور فى الناحية الفكرية والعقائدية فى قبول أو رفض "المادية التارخية" اساسا باعتبارها علم القوانين العامة لتطور المجتمع الانسانى فى نطاق المفهوم الذى وضعه كارل ماركس وفردريك انجلز.

وفى يوليو ١٩٦١ اصدر جمال عبد الناصر القرارات الاشتراكية التى نقلت المجتمع المصرى من التخلف والتبعية الى طريق الاشتراكية العلمية فى نطاق احترام الخصائص العربية للمجتمع المصرى، ثم تعاقب انتصار الثورة الجزائرية فشاركت الجزائر المستقلة الثورة المصرية فى السير معا فى طريق الاشتراكية العلمية.

وان اخذ الثورتين بالاشتراكية العلمية مع رفض " المادية التاريخية" المؤسسة على المادية الفلسفية، كما وضعها ماركس وانجلز قد فجر ثورة فكرية عنيفة فى صدور المثقفين السودانيين وفى صفوف الحركة الجماهيرية الوطنية . وبدأ المناضلون السودانيون يعيدون التفكير مرة اخرى فى مواقفهم من قضايا الاشتراكية العلمية سواء فى مجالات الفكر أو فى مجالات العمل الوطنى التحررى أو فى المجالين معا. وبدأت المناقشات المفتوحة تدور حول ماهية " الاشتراكية العلمية" وحول العلاقة الموضوعية والعلمية بين افكار ماركس وانجلز حول الدين والفن والحياة وبين القوانين الموضوعية للاشتراكية العلمية.

ويقول بابكر كرار :- ثمرة الاشتراكية العلمية فى البلاد تبدو زيتونة لا شــرقية ولا غربية.

ولكن من الحق والعدل ان يقال ان ماركس وانجلز مــن اكبــر اســاتذة الفكــر الاشتراكى العلمى ومن الحق والعدل ان يقال ان "العلمية" ميزة تاريخية للماركسية، الا ان هذا لا يعنى الضرورة ان افكار ماركس حقائق علمية، بل أن قيمة دراســات ونضال ماركس وانجلز فى انهما حاولا ان ينظرا للتاريخ نظرة علمية موضــوعية وان يستخرجا القوانين الاجتماعية التى تحكم تطور المجتمعات الانسانية، فى الوقت الذى كان فيه الاشتراكيون والاصلاحيون يبتعدون عن النظرة العلمية الموضوعية.

إن الضجة الاشتراكية فى السودان راياتها عاليــة، الا ان الــوعى الاشــتراكى العلمى خافت، والعمل الاشتراكى قليل، وان فشل الاحزاب التقليدية فى الحكم وازمة القيادة فى هذه الاحزاب قد ساعد كثيرا فى انتفاخ القوى الاشــتراكية فــى الــبلاد وتزوير حجمها الحقيقى(٤٢). ولتقييم الفكر الاشتراكى العلمى فى السودان لابد مــن أن نستعرض نقاط الاختلاف الاساسية والجوهرية بين كل الاتجاهــات الاشــتراكية العلمية فى البلاد والحزب الشيوعى السودانى، ومن ثم نستعرض نقاط الالتقاء بــين الاشتراكيين وبين الشيوعيين.

والاجوبة على هذين السؤالين ترضخان بصفة اساسية الى الواقع الــوطنى دون غيره. وفى البدء نستعرض الاختلافات بين كل الاتجاهات الاشتراكية فى الســودان وبين الشيوعيين:

أولا: ان الحزب الشيوعى السودانى مستند عقائديا على المادية الفلســفية التــى يجعلها الماركسيون فى كل العالم الاساس الفلسفى للنظرة الماركسية اللينينية للحيــاة ويستخرج الشيوعيون من المادية الفلسفية بالضرورة نتائج إلحادية تجعلهم تلقائيا فى موقف عدائى للاديان كلها. والاشتراكيون بصفة عامة يرفضون المادية الفلسفية ولا

يجعلونها اساسا فلسفيا لنظرتهم للحياة ومن ثم لا يجعلون الالحاد ومعـاداة الاديـان شرطين جوهريين لايمانهم بالاشتراكية .

ثانيا: الشيوعيون يؤمنون بالتغير المادى وحـده للتـاريخ ويعتبـرون كتابـات ماركس وانجلز فى هذا الصدد هى الاساس الذى لا يأتية الباطل مـن بـين يديـه. والاشتراكيون يرفضون هذا التغيير فى تفسير التاريخ ويتناولون احـداث التـاريخ ووقائعه بعقل مفتوح لكل الأسباب والمؤثرات التى يثبت البحث العلمى تأثيرها على احداث التاريخ ووقائعه. فالاشتراكيون لا يرفضون المؤثرات المادية وانما يفسرون التاريخ فى ضوء الاسباب المادية والنفسية معا. فالاشـتراكيون مـثلا: يبصـرون طبيعة الصراع الطبقى ولكنهم يبصرون فى ذات الوقت العوامل الاخرى التـى قـد تضطلع بادوار اكثر اهمية فى كثير من مراحل ومنحيات التاريخ فتكون هى القـوى الاساسية فى تحريك بعض الاحداث والوقـائع فـى هـذه المراحـل والمنحينـات التاريخية.

ثالثا: ان الاحزاب الشيوعية تؤمن بالدور الطليعى الحتمى للحزب الشيوعى فى قيادة الطبقة العاملة فى صراعها ضد البرجوازية والوصول بالطبقة العاملـة الـى النصر النهائى ضد البرجوازية والانتقال الى مرحلة الاشتراكية.

اما الاشراكيون فيرفضون حتمية الدور الطليعى للحزب الشيوعى فـى مرحلـة نضال الطبقة العاملة للسيطرة على وسائل الانتاج وبناء الصناعة واقامـة الاسـس المادية والتكتيكية والثقافية للاشتراكية. بل يعتقد الاشتراكيون ان الطـرق المؤديـة للاشتراكية متعددة وان الاشتراكية المقترنة بدكتاتورية البرولتاريـا اى دكتاتوريـة الحزب الشيوعى هى طريق الحزب الشيوعى .

وان التجربة الواسعة الغنية التى خاضتها ثورات الشعوب الاسيوية والافريقيـة بعد الحرب العالمية الثانية، قد أكدت ان الشعوب قد تحقق النصر على الاسـتعمار العالمى والبرجوازية المحلية وتسير فى طريق الاشترايكة دون الاعتماد على قيـادة

الحزب الشيوعى بل وفى كثير من المواقع فبالرغم من معارضة الاحزاب الشيوعية لحركة هذه الشعوب ولعل اعظم الامثال على ذلك تجربة الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وغينيا، فالبرغم من معارضة الحزب الشيوعى الفرنسى مثلا – للثورة الجزائرية – فقد انتصرت الثورة الجزائرية.

رابعا: الشيوعيون يؤمنون بأن الطريق الجموهرى "والاساسى، للاشتراكية هو طريق الثورة المسلحة.. طريق العنف.

اما الاشتراكيون فانهم يرفضون طريق الثورة المسلحة والعنف باعتباره هو الطريق "الاساسى" ويؤمنون بان الطريق الاساسى هو الطريق السلمى – الطريق الديمقراطى.

ومع ان هناك من يرى من الشيوعيين امكانية الوصول الى الاشتراكية عن الطريق البرلمانى أو الطريق الديمقراطى والاعتراف بتعدد الطرق المؤدية للاشتراكية كما وضح ذلك من مناقشات ومقررات المؤتمر العشرين للحزب الشيوعى وتصريحات قادة الحزب الشيوعى الايطالى وغيرهم، الا ان هذا الاتجاه يعتبر تراجعا جبريا أو قهريا تحت ضغط التيارات الاشتراكية الديمقراطية فى العالم ووضوح تجارب الشعوب التى اخذت تسير فى طريق الاشتراكية مع رفضها للماركسية.

اما السؤال الثانى: وهو ما هى نقاط الالتقاء التى تجمع بين كل القوى التى ترفع رآية الاشتراكية العلمية سواء ان كانوا شيوعيين أو اشتراكيين؟

لقد لخص بروفسور كول الاشتراكى البريطانى المعروف نقاط الالتقاء على النحو الدقيق فى هذه النقاط الاتية:–

أولا: يؤمن الاشتراكيون والشيوعيون معاً بأن وسائل الانتاج الرئيسية وذات الاهمية يجب ان تتحول الى الملكية الجماعية وان تستخدم لمصلحة المجتمع كله.. اى ان الرأسمالية يجب ان تستبدل بالاشتراكية.

ثانيا: يكافح الاشتراكيون والشيوعيون معا من أجل بناء مجتمع يتمتع فيه الافراد بمستوى عال من المعيشة وفرص واسعة للتعليم والخدمات الصحية والضمانات الاجتماعية.

ثالثا: يتفق الاشتراكيون على انه لا حق لاحد فى العيش على حساب عمل الغير .. أى يجب ان لا يكون هناك استغلال .

رابعا: يتفق الاشتراكيون والشيوعيون على ان مهمة بناء المجتمع الجديد تقع على عاتق الطبقة العاملة(٤٣).

وفى السودان هل يمكن التعاون مع الشيوعيون فى اى تجمعات اشتراكية؟

ويجيب بابكر كرار على هذا السؤال بقوله:- لأننا بالاضافة الى نقاط الاختلافات الجوهرية بين الاشتراكيين بصفة عامة وبين الشيوعيين الانفة الذكر تضيف هذه الحجج المستمدة من واقعنا فى رفض التعاون مع الشيوعيين.:

أولا: ان البلاد قد قررت بالاجماع السير فى طريق عدم الانحياز والحياد الايجابى.

وهذا الموقف أملته عدة إعتبارات:

١. الاعتبارات العقائدية التى ترفض الالحاد والاستبداد وتؤمن بالله وبالحرية للجميع.
٢. الاعتبارات النضالية التى ترفض الاستعمار وتؤمن بالاخوة والتعاون بين الشعوب.
٣. الايمان بدور الشعوب الاسيوية والافريقية وشعوب امريكا اللاتينية فى تخفيف اخطار الحرب وتوسيع فرص السلام وتدعيم اسس الحرية والعدل بين الشعوب.

فالشيوعيون بحكم طبيعتهم يقفون موقفا منحازا ويعملون على هدم الاساس الذى ارتضته البلاد فى سياستها الخارجية اما الاشتراكيون فإنهم يتميزون بنشأة اقليمية ولا تمتد جذورهم ولا فروعهم خارج البلاد اما الشيوعيون فانهم امتداد للحركة

الشيوعية العالمية ومن ثم فإن ولاءهم ينصب أولا واخيرا خارج الحدود لمقـررات الاحزاب الشيوعية العالمية ثم ان هناك الانقسام الحاد فى المعسكر الشيوعى الـذى يشكل فرصة طيبة لتوسيع نفوذ بلادنا فى المعسكر الشيوعى ما دامـت الـبلاد قـد التزمت بعدم الانحياز الايجابى، وفى نفس الوقت فإن الشيوعيون ينقسمون امام هذا الانحياز ويعملون على ان تكون البلاد ميدانا لهذا الصراع وبالتـالى أداة لاى مـن جناحى الحركة الشيوعية العالمية. اضافة الى ان البلاد تريد ان تدعم استقلالها مـن خلال تدعيمها للوحدة العربية والوحدة الافريقية والاخوة الاسـلامية، والشـيوعيون يريدون ان يزيدوا من روابط تبعية البلاد للمعسكر الشيوعى.

وعن نقاط الالتقاء الاربعة التى كشف عنها بروفسور كول بـين الاشـتراكيين والشيوعيين يرى انها قد رفضت من جميـع الاحـزاب الاشـتراكية الديمقراطيـة والاحزاب العمالية التى تشكل الاممية الاشتراكية فى ابريل عام ١٩٥٦ وذلك بنـاء على اختلافات جوهرية بين الاشتراكيين والشيوعيين تجعل فـى مراكـز الالتقـاء المشتركة مراكز للصراع والاصطدام وذلك بسـبب الاختلافـات الجوهريـة بـين الاشتراكيين والشيوعيين.

فالملكية الجماعية مثلا – هى نقطة التقاء بين الاشتراكيين والشيوعيين فى نظر كول ولكن الملكية الجماعية يمكن تحقيقها فى مجتمع اشتراكى ديمقراطى اسـلامى أو مسيحى أو مجتمع اشتراكى يأخذ بنظريـة بـاكونين الفوضـوية أو بالنظريـة السندكالية فى مجتمع شيوعى تحت سيطرة ديكتاتورية البروليتاريـا (اى الحـزب الشيوعى).

ان عملية التحول الاشتراكى لا تعنى بالضرورة نشوء نظام اجتمـاعى معـين. فطبيعة القيادة السياسية التى تسيطر على عمليات التحول الاشتراكى وتقـوده هـى التى تعطى النظام الجديد المنبعث من التحول الاشتراكى طبيعته وشكله.

وان الاختلاف الجوهرى بين الاشتراكيين وبين الشيوعيين هو اخـتلاف بـين أنصار الحرية والكرامة الانسانية ضد قوى الاستبداد واهدار الكرامة الانسانية(٤٤).

المبحث الثانى

مساهماته فى الحركة الوطنية السودانية

يوضح هذا المبحث الإرهاصات التى سبقت استقلال السودان،.والجو العام الذى كان سائداً آنذاك، ويكون ذلك من خلال كتابات الاستاذ بابكر كرار فى الصحف السودانية التى تناولت الكثير من الموضوعات المثارة فى حينها.

فعند قيام الحكومة الوطنية وبعد اتفاقية السودان فى فبراير ١٩٥٣ كتب بابكر كرار متسائلا عن ما هى رسالة هذه الحكومة الوطنية وما هى وظيفتها؟ وبمعنى أدق ما هو المعيار السياسى الضابط لنجاح هذه الحكومة الاتحادية واخفاقها؟.

وللاجابة على ذلك السؤال يرى أن الاتفاقية قد جاءت لتحقق للشعب رغبة واحدة وهدفا واحدا طالما سعى اليه وهو توفير الجو الحر المحايد حتى يتسنى للشعب السودانى اعلان رغبته الاصيلة فى تقرير مصيره بحرية تامة.

ويقول: إن الدستور قد جاء عرضا ووسيلة لتحقيق الاتفاقية وتنفيذها نصاً وروحاً ولهذا جاءت هذه الدعامة واضحة وقوية فى استهلال الاتفاقية وفى نصوص المادة الأولى، "بغية تمكين الشعب السودانى من ممارسة تقرير المصير فىجو حر محايد تبدأ فى اليوم المعين. والمادة التاسعة الواردة فيما بعد فترة انتقال يتوفر للسودان فيها الحكم الذاتى الكامل" .

كما أن بقية مواد الاتفاقية كلها جاءت لتوضيح هذه الدعامة وتثبيتها، فسودنة الجيش والبوليس والإدارة وغيرها لا تهدف إلا لتوفير الجوالحر المحايد. بل أن جلاء قوات الاحتلالا نفسها لا يعنى شيئا فى نطاق الاتفاقية غير توفير الجو الحر

المحايد. فالواضح اذاً أن المضمون السياسى لفترة الانتقال هو التحرر التام من كل نفوذ انجليزى مصرى وتهيئة الشعب لتقرير مصره.

وفى هذا الاطار هاجم الحكومة الاتحادية واتهمها بأنها قد عمدت إلى خرق الاتفاقية والاخلال بها وذلك حين سمحت للصاغ صلاح سالم بزيارة أراضى الجزيرة متنقلاً من دائرة إلى دائرة ومن شيخ إلى شيخ ومن مدينة إلى مدينة.

هذه الزيارات التى يحاول الصاغ صلاح سالم من خلالها اهدار الاتفاقية وتحطيم فكرة الحياد بعد أن استيقن من حقيقة اتجاه الشعب السودانى محذراً رئيس الوزراء من أن مثل هذه الزيارات تفتح باباً لاحتكاك الجماهير بعضها ببعض ودخولها في حروب أهلية طاحنة. وناشد قيادات الاحزاب والهيئات التى عملت على اخراج الاتفاقية للوصول لتحقيق الحكم الوطنى، طالبها بدراسة الموقف واتخاذ خطوات ايجابية لإيقافها بعد أن اتضح ضعف الحكومة(٤٥).

وبعد توقيع اتفاقية السودان واعتبار السودان فى فترة انتقال للحكم. كان من رأى الاستاذ بابكر كرار فى تلك الفترة: أن اسودان يمر بمرحلة انتقال واسعة شاملة تتناول الحياة من جميع اطرافها قائلا اننا حقا فى فترة انتقال يشمل الحكم ويمتد إلى حياتنا الاجتماعية وإلى العلاقات الاقتصادية القائمة بين الافراد وإلى تراثنا القومى وثقافتنا وتقاليدنا وطرق تفكيرنا ومثلنا العليا فى الحياة .

ذلك لأن كثيراً من المثل أخذت فى التصدع والإنهيار وان كثيرا من المثل الجديدة واداب السلوك قد أخذت طريقها قدما إلى قلب الشعب فاستجاب لها وتفاعل معها. وأننا فى كل يوم نشيع تقاليد وافكارا كثيرة. وصار المجتمع لا يرتكز على مثل ثابتة فى الحياة ومعايير ثابتة فى تقييم الاشياء. أنه مجتمع واهم حائر مترنح.

فالمعركة الحقيقية المحتومة اخطر وأعمق من المناورات الحزبية الدائرة على السطوح. وأن الصراع القائم بين الافكار والمثل والاتجاهات لهو معركة فى ميدانها

وفى وقتها. وصراع حق بين خصم وخصم لا يمكنهما الحياة فى كنف بعضها البعض.

واننا نرحب بهذه المعركة ونستبشر باندلاعها ونؤمن بنتيجتها. واننا نزكى هذه المعركة ونخوضها.

ويمضى قائلاً: اننا اليوم فى اشد الحاجة إلى مزيد من الحريات لنزداد عمقا وفهماً للمذاهب والافكار ولنفسح المجال للصراع بين المذاهب والافكار يشتد ويقوى ويعجل بالنصر. فإن الحريات هى التى تعرض علينا المذاهب عارية مجردة من الثياب. وفى ظل تلك الحريات الواسعة يمكننا إدانة مذاهب الهدم والتخريب على مرأى ومسمع من الناس .

فقضية الحريات اعمق وأوسع من قضية مذهب بعينه وأن الايمان بالحريات هو ايمان برسالة الحياة وغاية للحياة(٤٦).

وقد كان بابكر كرار من الرافضين لفكرة الاتحاد مع مصر وذلك من منطلق أن الحقيقة الاساسية الأولى فىرأيه أن مثل هذا الاتحاد لا يعنى الاتحاد مع ماء النيل ومزارع الدلتا الخضراء وانما يعنى فى الاساس الارتباط والالتحام بالجهاز السياسى الذى يهيمن ويقبض على الملايين من الفلاحين والاجراء والذى وأد الحريات وكتم الافواه. أما من الناحية الاقتصادية فإن الفلاحين أسياد الارض مازالوا عبيدا للرأسمالية والاستعماريين. وأن مصر فى تلك الفترة مازالت عائمة فىالفوضى الاجتماعية التى تظهر بوضوح فى تصدع الاسر واسفاف الصحافة والسينما وتهتك المصايف والانطلاق وراء المدنية الغربية المنهارة.

لذلك فإن الاتحاد يعنى الالتحام بالجهاز السياسى والأوضاع الاقتصادية والنظم الاجتماعية القائمة فى مصر. لذلك اعتبر الاتحاد جريمة فى حق الشعبين السودانى والمصرى وأن الرفض قائم على أساس من العلم والواقع(٤٧).

ويرى أن الخطأ الاساسى فى الفكرة الاتحادية مهما كان دعاتها حريصين على مصالح الشعب، هو عدم توفر الندية بين الشعبين فى النواحى الاقتصادية والسياسية والاجتماعية لذا فالاتحاد يعتبر خطراً رهيباً على حريات الشعب ومصالحه ومستقبله.

لذلك فإنه لايرى مبررا لتبنى الاتحاديين الفكرة الاتحادية بدعوى أنهم يعنون بالاتحاد منذ البداية الاستقلال وانهم لم يكونوا يؤمنون اطلاقا بأى ضرب من ضروب الاتحاد. لأن مثل هذا القول يرفضه المنطق السليم ويكذبه التاريخ القريب. فالدعوة الاتحادية كانت هى الدعوة الاتحادية التى تحارب الدعوة الاستقلالية والدعوة الاستقلالية هى الدعوة الاستقلالية التى تحارب الدعوةا لاتحادية. وأن كل ما فى الامر أن الدعوة الاتحادية كانت منذ البداية خطأ فى التفكير السياسى والاتجاه الوطنى، حيث أن الدعوة الاتحادية كانت تضمر مجموعة أخطار وأخطاء بدأت بتحويل النشاط السياسى من الكفاح الوطنى إلى العراك التجارى وإلى سياسة الارتشاء اخيرا. ويرى أنه لا ضير لاى سياسى مخلص أمين أن يتحول من معسكر إلى معسكر متى أدرك خطأه وتبين له الحق الذى هو رائده(٤٨).

وفى مقال آخر يقول:. انه قد حدثت تحولات واسعة من الاتحاد إلى الاستقلال فى المحيط السياسى مستدلاً بذلك على تحولات جريدة الرأى العام الصريح من الاتحاد إلى الاستقلال. كما أن الجماهير قد سبقت جريدة الرأى العام وتحولت إلى الاستقلال الكامل المطلق منذ أن شددت الدكتاتورية العسكرية "كما يراها فى ذلك الوقت" على رقاب المقاومة الشعبية ممثلة فى طليعة الاخوان المسلمين وجرهم إلى حبال المشانق .

غير انه عاد وحذر من خطورة تعليق شعار الاتحاد على مشجب الاستقلال فى المعسكر الاتحادى واستغلاله لصالح الدعوة الاتحادية. ذلك لأن الحركة الوطنية غداة الاحتلال الإنجليزى المصرى قد انشطرت إلى شطرين استقلاليين واتحاديين،

وقد ارتبطت قيادة هذين الشطرين بأحداث تاريخية معينة وبقوى سياسية معينة، واصبح كل شطر يعنى مضموناً معيناً وتتبعه قوى معينة يمكن فصلها وبترها. فلا يمكن مثلا أن ينفصل السيد محمد نور الدين من الدكتاتورية العسكرية وحلفائها الإنجلو امريكان ذلك لأن السيد محمد نور الدين قد ارتبط كفاحه السياسى فى الماضى والحاضر بظروف معينة وبقوى معينة، حتى أصبحت هذه الظروف والقوى تشكل إلى حد كبير كيانه السياسى وكيانه القومى ويحدد وضعه فى حركتنا الوطنية ولقد أتخذ محمد نورالدين مثلا لوضوحه وعمله فى وضح النهار.

ويقول أن الخطر الذى يداهم الحركة الاستقلالية هو هذه المحاولات من بعض قادة الاتحاديين الذين أخذوا يلوحون للجماهير بشعار الاستقلال وهم فى حقيقتهم من غلاة الاتحاديين. وستكون الكارثة عند انخداع الجماهير بهذه الشعارات. وهنا سيكون اتخداع الجماهير السبب الرئيسى فى حرمانها من الاستقلال الكامل وسيادتها الكاملة وسيكون السبب الرئيسى فى التسلط العسكرى والاسترقاق الاستعمارى عليه(٤٩).

ويمضى قائلاً: ان السيادة القومية والاستقلال الكامل والتحرر المطلق من اى نفوذ اجنبى لم يكن يوما من الايام سلعة فى السوق للمساومة والبيع والشراء وانما كانت ومازالت عقيدة راسخة فى أعماق الشعب.

لقد واجهت القضية الوطنية شيئا من العداوات من الخارج والداخل فشوهتها وتآمرت عليها ولكنها اندحرت فى النهاية وخرجت القضية الوطنية واضحة كالشمس وهى الاستقلال "الكامل المطلق" والتكتل فى جبهة استقلالية عريضة مناضلة تجمع الشعب كله ليقف فى وجه الدكتاتورية العسكرية. وأن قيادة هذه الجبهة المناضلة لن تكون تحت اىظرف من الظروف فى يد الوجوه التى استهلت حياتها السياسية وختمتها وهى راكعة ساجدة للملك الفاسد والإقطاع الفاسد الباشوى المصرى ثم من بعد ذلك الإنقلاب العسكرى المتربص بحريات الشعب السودانى.

ومن ثم فقد نادى بقيام جبهة استقلالية شعبية مناضلة تضم فئات الشعب وهيئاته ومنظماته جميعا فى جهاز واحد يخوض معركة تقرير المصير ويخوض هذه المعركة الحاسمة ضد الدكتاتورية العسكرية ووكلائها السودانيين وحلفائها الإنجلو امريكان. وان الهتاف الشعبى المطلوب لن يكون الا للاستقلال الكامل لا الائتلاف المزعوم(٥٠).

وفى رأيه كذلك أن الاستقلال الكامل لن يكون إلا إذا حدد السودان موقفه من الصراع المحتدم بين المعسكر الشيوعى والمعسكر الإنجلو امريكى، ذلك لان بعض المواطنين يتجهون للحياد فى السياسة الخارجية متأثرين فى ذلك باتجاه الهند وشخصية نهرو، ويرى أن الحياد لا يستند على أرض صلبة فالهند تحت زعامة نهرو قد فقدت حيويتها المتدفقة التى تجالد بها الاستعمار واصبح جل كفاحها فى المحيط الدولى قائم على تلطيف الاندفاع الاسيوى ضد الاستعمار الإنجلو امريكى وبذلك يكون الجهاد فى تلك الظروف معناه مهادنة ومصادقة المعسكر الإنجلو أمريكى على حساب شقاء وبؤس الملايين من شعوب آسيا وافريقيا.

فالعالم أصبح كتلة واحدة ولا تستطيع أية أمة أن تعيش منعزلة عن العالم انعزالاً كاملاً، ومن ثم فمن واجبات السودان فى الفترة الانتقالية أن يحدد موقفه من الصراع العالمى تحديداً قاطعاً ايجابياً حتى يتمكن السودان من تأمين استقلاله وسيادته داخليا وخارجياً. ولا يعنى ذلك الارتماء فى المعسكر الشيوعى فالبلاد بحمد الله معصومة من اية دعوة الحادية ما دام الاسلام باقياً فى أعماق الشعب وأعصابه، فالاستقلال يعنى التحرر من اى ارتباط عسكرى فى تلك الظروف مع المعسكر الإنجلو امريكى والعمل المتصل على تحريك الشعوب المجاورة وحثها على التحرر من القيود والارتباطات الاستعمارية التى تسترقها وتنهبها(٥١).

وفى مقال آخر يمكننا أن نتعرف على ما كان يدور من الحملات الاعلامية الداعية للاتحاد مع مصر، حتى من قبل الجيش المصرى. حيث يقول الاستاذ بابكر

كرار تصدر إدارة الجيش المصرى مجلة تحت هذه العبارة " مصر والسودان" هذه المجلة تصدرها رئاسة القوات المصرية بالخرطوم وهى عسكرية علمية ثقافية. ويرى انه بتصفح تلك المجلة يتضح أن لا علاقة لها بالعسكرية والثقافة والعلم ، إلا اذا فسرنا السياسة الحزبية الموغلة بالعلم والثقافة.

وتشتمل عناوين تلك المجلة القضاء فى السودان . للسيد على عبد الرحمن وزير المعارف. الاتحاد الافريقى للدكتور محى الدين صابر. ماذا فعل الإنجليز فى السودان بقلم البكباشى أ.ح سعدى نجيب. تاريخ الحكم في السودان. عرض لتاريخ السادة محمد نور الدين وحماد وخضر حمد.

هذا عن اتجاه المجلة وهو اتجاه يباعد بينها وبين ثكنات الجيش المصرى ويقترب بها من مجلة لاتحاد ويدمجها فى أسرة تحرير جريدة العلم.

ويذهب إلى القول بأن قانون الصحافة لسنة ١٩٣٠م لايبرر هذا الاجراء من ادارة الجيش المصرى حيث أن المجلة لا تصريح لديها. إضافة إلى ان المادة الرابعة عشر من قانون الصحافة تنص على أن اى شخص أو هيئة معرضة للمثول أمام المحكمة اذا ارتكبت خطأ تحت هذا القانون.

ومعنى هذا أن الجيش المصرى يمكن أن يحاكم ويدان فى المحاكم السودانية وهذه بالطبع مشكلة سياسية أكثر منها قانونية أو قضائية. هذا إلى جانب ان المجلة توزع مجانا على المواطنين بالرغم من ضخامتها واناقة طبعها علماً بأن المادة الثانية من قانون الصحافة لعام ١٩٣٠ تعرف الجريدة أوالمجلة التى يقصدها القانون بأنها المجلة التى تطبع للبيع .

وطالب اتحاد الصحافة أن يتخذ موقفا ازاء هذا النشاط السافر وهذا القانون العاجز(٥٢).

وعن تحول الاتحاديين إلى الدعوة الإستقلالية يقول الأستاذ بابكر كرار: من الحقائق الهامة فى معتركنا السياسى أن اتفاقية السودان جاءت نتيجة ظروف سياسية

معينة وانقسام ثنائى فى حركتنا الوطنية ومن ثم اشترطت الاتفاقية علينا السير فى طريق معين محدود وهو طريق الجمعية التأسيسية لتقرير المصير .

إلا أن الاحداث الخطيرة والتطورات الواسعة التى اجازتها العسكرية المصرية منذ عزل اللواء محمد نجيب واعتقاله وضرب الاحرار وشد رقاب الاخوان المسلمين إلى حبال المشانق. قد أماطت اللثام فى صورة واسعة عن حقيقة الأخطار الكامنة من وراء العسكرية المصرية والإرتباط بها.

اضافة إلى استشعار الحكومة الوطنية لمخاطر الدعوة الاتحادية عندما وليت زمام الامور ولمست فى صورة عملية حقيقة النوايا العسكرية والضغط والتغول المصرى المكثف فى إرهاب الدعوة الإتحادية.

وإذا نظرنا بعين الإعتبار والتقدير لعامل الزمن وتقدم الوعى الشعبى وامتداده فى ظل الحكم الوطنى، فإننا نستطيع أن ندرك فى بساطة وسهولة العوامل الرئيسية التى ادت إلى تحول جماهير شعبنا والتقاء حركتنا الوطنية فى اتجاه واحد هو الاستقلال الكامل والسيطرة القومية.

لقد دخل الحزب الوطنى الإتحادى معركة الانتخابات الماضية على اساس الاتحاد ولكنه قد تحول إلى الإستقلال بعد أن خاض معركة ممارسة الحكم ولمس المؤامرة المصرية المقنعة من وراء الاتحاد فأصبحت احزابنا السياسية كلها تسير فىخط واحد واضح هو الاستقلال الكامل.

لقد تقدم الحزب الجمهورى الاسلامى بطلب للحكومة المصرية لتعلن من جانبها الاستقلال فتمسح بذلك أخطاءها الماضية من محاربة الدعوة الإستقلالية، كما اشارت الصحف إلى اتجاه حزب الأمة للسعى لدى الحكومة المصرية لتعلن الاستقلال من جانبها فتوفر على الشعب السودانى الكثير من الجهود والوقت.

وأقترح على الاحزاب الاستقلالية، أن تتقدم بعريضة قومية تحمل فيها رغبة الشعب السودانى الاصيلة وأن تعلن الحكومة المصرية من جانبها استقلال السودان

بحق الجوار والروابط التاريخية والدينية بين البلدين وبداية عهد جديد يقوم على أساس احترام وحرية واستقلال البلدين وتدعيم روابط الاخوة والتعاون بينهما(٥٣).

وبالاضافة إلى كتاباته عن الحركة الاتحادية والاستقلالية كانت له رؤاه فى المجالات الطلابية والنسائية.

ففى المجال الطلابى كانت هناك اصوات تنادى بابتعاد الطلاب عن السياسة والمعارك السياسية حتى يتسنى لهم توفر الجو الهادى الذى تتطلبه الدراسة والتمحيص .

وعلى هؤلاء يرد الاستاذ بابكر كرار بقوله أن الجو الهادى الذى تتطلبه الدراسة والتمحيص لا يعنى الجو الخارجى فى حقيقة الامر بقدر ما يعنى الجو النفسى والعقلى الذى يتقلب فيه الطالب.

كما أن هذا الجو الهادى الذى تتطلبه حياة التأمل والدراسة لن نجده فى هذه الدراسات المضطربة وهذه المناهج التربوية الجوفاء. وانناالن نستطيع أن نوفر هذا الجو الا اذا أوجدنا لهم الفكرة التى تملأ قلوبهم بالايمان والاستقرار وتفتح عيونهم على المعايير الحقيقة لقيم الاشياء.

أن العمل السياسى الصغير كالخروج فى مظاهرة ضد اتفاقية " جمال هيد " هو فى الحقيقة عمل وطنى على نحو من الأنحاء كما أن الاشتراك فى العمل السياسى يمنح الطلاب تجربة عملية ضخمة لا وجود لها الا فى مجال العمل نفسه.

اما عن محاولة البعض لاجراء مقارنة بين الجامعات فى الشرق والجامعات فى الغرب وامريكا. فيرى أن تلك مفارقة كبيرة لان الطلبة فى الجامعات الغربية يعيشون فى مجتمع ينهب الشرق منذ مئات السنين ومازال، والطلاب فى الشرق يعيشون فى مجتمع منهوب منذ مئات السنين.

وهذه حقيقة بديهية. ان الطلاب هنا يمثلون طبقة تكاد تكون فى طليعة الطبقات المثقفة وهذا لا ينطبق على الطلاب فى الغرب وامريكا. ثم لماذا لا يعمل الطلبة فى السياسة باعتبارهم ناسا ومواطنين قبل اى اعتبار؟.

إن الاسلام اناط الفرد بالتكليف متى بلغ الحلم. هذا هو الاسلام الذى شملت احكامه كل ناحية من نواحى الحياة ومنها العمل لتحرير الوطن من الاستعمار، فبأى منطق يمنع الطلاب من الكفاح السياسى الذى هو فى حقيقة الامر الكفاح الوطنى فى ارفع صوره(٥٤).

وقد امتد دفاعه عن الحركة الطلابية حتى عام ١٩٧٧م بطرابلس. حيث اعتبر الحركة الطلابية جزءاً لا يتجزأ من الحركة الوطنية الام وانها ليست منعزلة عنها. ومن هنا فيجب أن يخاطب الطلاب كرجال مسئولين، والدليل على مسئوليتهم أن منهم الشهداء. وبالتالى فلا يمكن حصر قضايا الطلاب فى الفصل والداخليات لان مثل هذه القضايا هى جزء من برنامج الحركة الطلابية الكبير.

فالطالب الذى لا يلتفت لقضايا مجتمعه ومشاكله ويجهد نفسه فى مشاكله الشخصية، يكون فريسة لمثل هذا السلوك ويشب عليه وغداً يخرج للمجتمع وهو الشهوانى التفكير لا يهمه شئ غير الاضواء ومنفعته الشخصية وبالتالى يعتبر الانتهازى الكبير فى الوظيفة سواء كان مهندسا أو طبيبا أو معلماً.

لذلك يجب أن يحارب مثل هذا المسلك فى حينه، وأن يربى الطلاب وتصحيح مفهاهيمهم وتطهرهم واعدادهم على حياة طاهرة منذ البداية نفسيا وأخلاقيا وفكرياً وأن يمتلئ الطالب بالعفة والرجولة. وأن يثور كل انسان على نفسه ويعف نفسه حتى يستطيع أن يفيد غيره.

وهذا ينطبق على البنت تماما كما ينطبق على الولد فاحترام البنت وكرامتها وحريتها مسألة اساسية لانها عنوان لحضارتنا وتقدمنا(٥٥).

وعن الحركة النسائية فى عام ١٩٥٤م كتب الاستاذ بابكر كرار عن رسالة الاتحاد النسائى قائلاً: ان رسالة الاتحاد النسائى مشتقة بطبيعتها من واقع هذا الشعب ومنتزعة من صميم تكوينه الاجتماعى، ومن ثم فإن الحركة النسائية يجب أن تنبعث من عقيدتنا وتقاليدنا ونفسيتنا وتفكيرنا وظروفنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

ومن هنا فإن رسالة الاتحاد النسائى هى رسالةهذا الشعب وليست بعيدة عنه لا غريبة عنه. وإن هذه الرسالة لا تقتصر علىجانب ولا تقف فى حدود كما أردها الادعياء. إنها رسالة كاملة شاملة تأخذ الدنيا والآخرة وتنتظم كل منحى من مناحى الحياة الاجتماعية والسياسية انها رسالة الاسلام.

ويقول من المؤسف أن حركتنا النسائية قد جاءة وليدة الاندفاع مع التيار العالمى المتخبط والتطور مع مقدمات الأوضاع والثقافة الاستعمارية.

ان الفرد من رجل وامرأة فى المجتمعات الغربية كان ومازال يفقد القيم الانسانية والمعايير الخلقية الفلسفة الاجتماعية التى تقوم شخصيته وتقيمه على الجادة. لذلك فإن المرأة الغربية ليست قدوة تتبع ومثلا يحتذى.

إن اتحادنا النسائى كما هو واضح يفتقد الفكرة الاصيلة ويفتقر إلى الرسالة التى تزاوج بينه وبين الشعب وتدفع به إلى الامام. ان الاتحاد النسائى يفكر فى الدار الكبيرة. اى المظهر الكبير قبل أن يجد له مسكنا كبيرا فى قلوب الملايين من الشعب.

انه يلوذ بدار الثقافة لأنها دار الخواص! وبذلك ينعزل اتحادنا المسكين عن الملايين من الاباء والاخوان والامهات لانهم ليسوا من الخواص.

وأخيرا فإن الرقص تحت ستار جميل ورداء ظريف هو عرض بعض رقصاتنا التقليدية.

ان تقاليدنا ليست كلها كريمة مجيدة ومن رسالة الاتحاد غربلة هذه التقاليد وتمجيد الكريمة منها واجتناب الخبيثة.

ان مصيبة اتحادنا كمصيبة احزابنا تفتقد الفكرة وتفتقر إلى الرسالة التى يجب أن ننهض بها فى المجتمع وفى الحياة بأسرها(٥٦).

كذلك كان الاستاذ بابكر كرار مهموما بقضايا العمال ونقاباتهم وكان من الداعين لتحرير العمال والمزراعين وتعمير حياتهم والاخذ بيدهم إلى حياة الحرية والكرامة.

وفى هذا الصدد كتب العديد من المقالات التى تقف مع الكادحين من العمال والمزارعين والمشردين والجياع.

ويقول انه فى استهلال الحكم الوطني وقف قادة الحزب الوطنى الاتحادى ووزراء الداخلية يواجهون الشعب بعبارات وشعارات لم تكن تعنى الا التنكر الحقيقى والجهالة المطبقة بماهية النضال الوطنى والعمل السياسى، فاستمعت الجماهير الكادحة البائسة لأول مرة بأن الحكومة التى انتخبوها لتزيل عن كاهلهم الفقر والارهاق والمرض هى حكومة تحرير لا تعمير. والبديهى ان التعمير نفسه نوع من أنواع التحرير. وهو فى ظروفنا القائمة اكبر دعامة من دعامات التحرير. كان ذلك الشعار "تحرير لا تعمير" هو الآذان بالحرب بين الحكومة الاتحادية وجماهير الشعب السودانى الكادحة. ومن ثم شاهدت الجماهير تلك الحرب الصامتة والصارخة من الحكومة الاتحادية ووزراء الشئون الاجتماعية على جماهير العمال والمزارعين والجياع.

ويقول: نحن نقف مع الكادحين من العمال والمزارعين الجياع لاننا نؤمن بأن السياسة لا وظيفة لها غير تحرير هؤلاء من الرق الاقتصادى والعبودية السياسية التى ما زالت تقبض على رقابهم.

ويمضى قائلاً: فى غضون المؤتمر العمالى الثالث نشطت وزارة الشئون الاجتماعية والحكومة الاتحادية لمحاربة المؤتمر وتشتيت وحدة العمال وتفكيك

تضامنهم وترابطهم، ولم يكن السبب الحقيقى أن قيادة العمال تسيطر عليها الحركة الشيوعية، فالواضح أن الشيوعيين فىهذه البلاد لن يستقيموا مع أنفسهم فضلا عن الشعب المسلم المجاهد وإنما كانت الحكومة تهدف لمحاربة هذا الجيش الجبار من سواد الشعب الذى تتضارب مصالحه تضاربا عنيفا مع سياسة الحكومة الاتحادية من أساسها.

وعن المؤتمر العمالى الثالث كتب بابكر كرار العديد من المقالات التى تشير إلى مساندته للحركة العمالية حتى يتسنى لها القيام بدورها كاملا(٥٧).

وللمزيد من التفصيل عن هذه القضايا يمكن الرجوع للملاحق رقم ٢، ٣، ٤، ٥، ٦.

وبجانب تناول الاستاذ بابكر كرار للقضايا السياسية والطلابية والنسائية، كذلك كانت له رؤاه الدينية التى عبر عنها بعد أن اصدر وزير العدل فى تلك الفترة عن عزمهم على انشاء مصلحة جديدة باسم "مصلحة الشئون الدينية".

وقال: لقد فكرت فى هذه المصلحة كثيرا وحاولت أن ارسم لها حدودا تقتَصر عليها ولا تتعداها، فراجعت المصحف الشريف والسنة المطهرة ولم اهتد إلى حد فاصل قاطع يفصل بين ماهو شئون دينية وماهو غير شئون دينية. بل وجدت على عكس ما يظن السيد وزير العدل. وجدت أن الاسلام يربط بين الدنيا والآخرة والبيت والشارع والمصنع والمدرسة والسياسة والإجتماع والإقتصاد والحكم. بل وجدت أن الإسلام دعوة للانسانية الحقة ومنهج عملى للوصول إلى هذه الحياة وصدق الله العظيم "أن القرآن يهدى للتى هى اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات بأن لهم أجرا كبيراً".

ان الاسلام قد جمع للناس خير الدنيا والاخرة وقد أراد الله وحدة كاملة كوحدة هذه الحياة. فلا تقطع إربا إربا. إن وزارة العدل نفسها تدخل فى صميم الشئون

الدينية ان مأكل السيد الوزير ومشربه وملبسه وما يجرى به لسانه وتتحرك به يداه يدخل فى الشئون الدينية.

وقد علم ربنا تبارك وتعالى رسولنا أن يقول "قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين".

لا أريد أن أحمل على السيد الوزير فى هذا الامر فلاشك أن مقصده خدمة الشعب. إلا أننى اؤمن بأن خدمة الشعب لن تكون الا على أساس واحد هو الفهم الصحيح لهذا الدين وأخذه جملة وتفصيلاً.

إن هذا التفتيت والتقييد والتغيير لرحابة الدين وامتداده وشموله لهو تشويه للدين. وهو بعد عمل لا يفلح أبداً ولن يفلح فيه إلا علماء السوء وتجار الدين(٥٨).

مراجع الفصل الثالث

١. تشايلدزر، ايرسكين. الحقيقة عن العالم العربى. ــ تعريب خيرى حماد. ــ بيروت : المكتب التجارى للطباعة والتوزيع، ١٩٩٠م. ــ ص ٧٨-٧٩.
٢. عبد الخالق محجوب. لمحات من تاريخ الحزب الشيوعى السودانى. ــ ط٣. ــ الخرطوم : دار الوسيلة للطباعة والنشر، ١٩٧٨م. ــ ص ٣٩-٤٠.
٣. أحمد عوض موسى. تاريخ الحركة الطلابية السودانية. مصدر سابق. ــ ص ٧٢-٧٣.
٤. أحمد عبد الحميد. (مقابلة شخصية معه بمنزله بمدنى ٢٠٠٢/٣/٢)
٥. محمد يوسف محمد. (مقابلة شخصية معه بمكتبه يوم ٢٠٠٤/٩/١٤).
٦. أحمد عوض موسى. ــ مصدر سابق. - ص ٧٤
٧. محمد يوسف محمد. مصدر سابق.
٨. الجزولى دفع الله (مقابلة شخصية معه بمكتبه يوم ٢٠٠٤/٢/٦).
٩. محمد يوسف محمد. مصدر سابق.
١٠. محمد الخير عبد القادر. نشأة الحركة الاسلامية الحديثة فى السودان، ١٩٤٦ - ١٩٥٩م. ــ الخرطوم : الدار السودانية للكتب، ١٩٩٩م. ــ ص ٦٧.
١١. محمد يوسف محمد. مصدر سابق.
١٢. الفاتح بشارة. (مقابلة شخصية معه بمنزله بالعمارات يوم ٢٠٠٤/٧/١٦).
١٣. محمد يوسف محمد. مصدر سابق.
١٤. حسين عثمان أبو صالح. (مقابلة شخصية بمنزله يوم ٢٠٠٣/٨/١٠).
١٥. حسن مكى. حركة الأخوان المسلمين فى السودان، ١٩٤٤-١٩٦٩م. الخرطوم : جامعة الخرطوم، د.ت. ــ ص ١٤
١٦. محمد يوسف محمد. مصدر سابق.
١٧. محمد الخير عبد القادر. ــ مصدر سابق. ــ ص ٦٨.
١٨. آدم فضل الله. (مقابلة شخصية معه بالعيادة يوم ٢٠٠٤/٨/٦)
١٩. عبد الباقى عمرعطيه. (مقابلة شخصية معه بمكتبه يوم ٢٠٠١/٣/٢).
٢٠. محمد يوسف محمد. مصدر سابق.
٢١. ميرغنى النصرى. (مقابلة شخصية معه بمنزله يوم ٢٠٠٤/٥/٤)
٢٢. محمد يوسف محمد. مصدر سابق.
٢٣. حسن مكى. مصدر سابق. ص ١٨.
٢٤. أحمد عوض موسى. ــ مصدر سابق. ــ ص ٨١-٨٣.
٢٥. يوسف حسن سعيد. (مقابلة شخصية معه بمنزله بأم درمان يوم ٢٠٠٤/٤/٣).
٢٦. محمد يوسف محمد. ــ مصدر سابق.
٢٧. يوسف حسن سعيد. ــ مصدر سابق.

٢٨. محمد يوسف محمد. ــ مصدر سابق.
٢٩. ميرغنى النصرى. (مقابلة شخصية معه بمنزله يوم ٢٠٠٤/٥/٤).
٣٠. حسن مكى. مصدر سابق. ــ ص ٢٥-٢٦.
٣١. أحمد عوض موسى. ــ مصدر سابق. ــ ص ٨٤-٨٦.
٣٢. الجماعة الاسلامية. (السودان). الجماعة الاسلامية دعوة ومنهاج. ــ ص ٥-٨.
٣٣. ــــــــــــــ . المصدر السابق. ص ١٤-١٦.
٣٤. ــــــــــــــ . المصدر السابق. ــ ص ٢٨.
٣٥. ــــــــــــــ . المصدر السابق. ــ ٣٠-٣٤.
٣٦. بابكر كرار. الاختلافات الاساسية بين الاشتراكية وبين الشيوعية. ــ الخرطوم : مطبعة مصر "سودان" لمتد، ١٩٦٦. ــ ص ٣-٤.
٣٧. الحزب الاشتراكى الاسلامى (السودان). برنامج الحزب . ــ ٢١ اكتوبر ١٩٦٤م.
٣٨. . ميثاق الحزب. ــ الخرطوم : مطبعة مصر " سودار" ليمتد، ١٩٦٦.ــ ص ١٤ – ١٧.
٣٩. ــــــــــــــ . المصدر السابق. ــ ص ١٨.
٤٠. ــــــــــــــ . المصدر السابق. ــ ص ٢٠.
٤١. ــــــــــــــ . المصدر السابق. ــ ص ٦٥ – ٦٩
٤٢. بابكر كرار. الطريق مفتوح للجنة والنار على السواء ــ ٨ فبراير ١٩٦٧م. ــ ص١-٢.
٤٣. ــــــــ . المصدر السابق. ــ ص ٣-٤.
٤٤. بابكر كرار . الاختلافات الاساسية بين الاشتراكية الديمقراطية والشيوعية. ــ مصدر سابق. ــ ص ١٢-١٩.
٤٥. ــــــــ . من الأعماق الجهاد. صحيفة النيل. ــ ١٩٥٤/١٠/١٢م.
٤٦. ــــــــ . من الاعماق. الحريات . ــ صحيفة النيل. ــ ١٩٥٤/١٠/١٧.
٤٧. ــــــــ . من الاعماق. الاتحاد بلغة الواقع. ــ صحيفة النيل . ــ ١٩٥٤/١٠/١٣.
٤٨. ــــــــ . الفكرة الاتحادية خطأ من البداية. ــ ١٩٥٥/٣/٦.
٤٩. ــــــــ . لا تغلقوا الاتحاد على شجب الاستقلال. ــ النيل . ــ ١٩٥٤/٣/٩.
٥٠. ــــــــ . الاستقلال الكامل لا الائتلاف المزعوم. مجلة النيل. ــ ١٩٥٥/٢/٨م.
٥١. ــــــــ . آراء طليعة الاستقلال. لا الجهاد. مجلة النيل. ــ ١٩٥٥/٦/٢٨م.
٥٢. ــــــــ . الجيش المصرى يتحدى القانون واتحاد الصحافة. ــ النيل. ــ ١٩٥٥/٣/١٤م.
٥٣. ــــــــ . لا ضرورة للاستفتاء ولا الجمعية التأسيسية. ــ النيل. ــ ١٩٥٥/٩/١٠.
٥٤. ــــــــ . السياسة فريضة على الطلاب. ــ النيل. ــ ١٩٥٤/١٠/٣١.
٥٥. ــــــــ . برنامج الطلاب. (مادة مسجلة فى أشرطة كاسيت). ــ طرابلس، ١٩٧٧.
٥٦. ــــــــ . حول الاتحاد النسائى أو البداية من القاع. ــ النيل. ــ ١٩٥٤/١١/٢٩م.
٥٧. ــــــــ . مع العمال الى الامام : المؤتمر العمالى الثالث فى الميزان. ــ النيل. ــ ١٩٥٤/١٢/١٩م.
٥٨. ــــــــ .هذا أول جهل بالدين . ــ النيل . ــ ١٩٥٥/٦/٥.

الفصل الرابع

بابكر كرار ومشاركته فى الحكومات العسكرية

هناك إتهام موجه للاستاذ بابكر كرار من قبل البعض بأن مواقفه السياسية متناقضة، ذلك لأنه بالرغم من مبادئه الديمقراطية، فقد كانت له مساهمات فى نظام الفريق إبراهيم عبود والمشير جعفر محمد نميرى.

وفى هذا المبحث نحاول أن نكتشف مواقفه من الحكومات العسكرية ولماذا كان مشاركاً فى فترة من الفترات مع هذه الأنظمة وفى البدئ نعرض:

أولاً: الجيش ودوره فى الثورة العربية

للجيش وضعه الخاص بالنسبة للدول الغربية حيث يستند ضباط الجيوش الغربية إلى تقاليد عريقة ترجع مئات السنين إلى الوراء، تستمد أعرافها من الحقبة الأرستقراطية عندما كان النبلاء ذوو الألقاب من الاباء يبتاعون الرتب العسكرية لابنائهم، ولم يكن أحد يتصور منذ اكثر من مائتى عام، ان الضباط البريطانيين يتدخلون فى الشئون السياسية، فليس من شأنهم أن يردوا على الأوامر التى توجه اليهم، وليس من شأنهم أن يتساءلوا عن الأسباب التى تؤدى إلى صدور هذه الأوامر، وإنما شأنهم أن ينفذوها وأن يموتوا.

وعلى النقيض من ذلك فى الوطن العربى فى تاريخ الجيش الحديث، فالجيش يمثل بالنسبة لجميع ضباطه، البحث عن مجتمع حر ومنطلق، وكان الشبان ينخرطون فى سلك المرشحين لرتبة الضباط، لأنهم يرون فى الجيش طريقا شريفا لمحاولة خدمة قضيتهم ورمزاً للوطنية الصحيحة.

وكان البريطانيون والفرنسيون يحاولون التأثير برأيهم فى أن الجيش فى الدولة، يجب أن يقف بمنأى عن الاحداث. (١)

ولكن صغار الضباط من أبناء الاجيال الصاعدة فى الوطن العربى اخذوا شيئا فشيئا يشعرون بنفاذ صبرهم عن الأوضاع الداخلية والخارجية التى يعارضها أقرانهم من المدنيين، وكان الاذلال بالنسبة للضباط اكثر مباشرة فقد كانوا فى تلك الفترة (١٩٢٢ - ١٩٥٢)، أما تحت القيادة البريطانية أو الفرنسية المباشرة، أو يواجهون سيلاً لا ينقطع من الأدلة، على أن جيشهم ليس بالجيش الحر الذى يمثل بلداً حراً ، ومن هنا كانوا يشعرون بأنهم يخدمون دولة يجهل زعماؤها حالة شعوبها، كما كانوا أحيانا يكلفون بتفريق مظاهرات تقوم بها شعوبهم احتجاجا على شرور ومساوئ هم بدورهم يكرهونها، وكانوا يرقبون برلماناتهم بنفس روح الملل والسأمة التى يشعر بها المدنيون الشبان، فتزداد قناعتهم بأنهم يمثلون القوة الصحيحة غير المتميزة فى مجتمعهم ، التى تمثل الشعب والتى يجب ان تكرس نفسها لخدمته.

وهكذا ظهر تنظيم الضباط الأحرار فى كل من مصر وسوريا والأردن والعراق ومن بعد ذلك السودان وليبيا، ولم يكن لمثل هذه التنظيمات شبيه فى التاريخ العربى المعاصر، حتى أنهم عندما قاموا بحركاتهم وظهرت أسماؤهم فى عناوين الصحف الكبيرة، إرتبطت صورهم فى أذهان الغربيين "بالعسكرية" التى تمثل لدى الأوربيين معنى من معانى الدكتاتورية العسكرية، التى خبروها فى بعض انقلابات دول أمريكيا اللاتينية. (٢)

والجيوش فى البلاد العربية لم تتكون بشكل واحد ولا فى مرحلة واحدة. بل خضع تكوينها لظروف كل بلد والتطور الوطنى فيه ومسئولية الاستقلال فيه.

هذا الاختلاف يجعل من الصعب التحديد بشكل مطلق دور الجيوش فى الثورة العربية. ومن البديهى أن الجيوش لا يمكن أن تكون بديلاً لحركة الجماهير المنظمة

إلا أنها فى ظروف معينة من تطور الحركة الوطنية تستطيع أن تلعب دوراً بجانبها كما أنه فى ظروف الصراع الاجتماعى بإمكانها وبحكم تأثرها الطبيعى بذلك الصراع أن تلعب دوراً لصالح تطور هذا الصراع فيما يتعلق بأحداث تغيير فى السلطة.

ونجد أن الدور الحاسم فى حركات الجيوش العربية قد لعبه الضباط على اختلاف رتبهم وليس الجنود. لذلك فإن الفهم الأساسى لدور الجيوش يتوقف على فهم التكوين الطبقى والايديولوجى للضباط لاسيما الرتب الصغيرة والمتوسطة.

والملاحظ أن قسماً كبيراً من هؤلاء الضباط هم من أبناء البرجوازية الوطنية والبرجوازية الصغيرة الذين يتميزون بحسهم الوطنى وبعدائهم للاستعمار، ومن جهة أخرى فإن الجيش لا يستطيع أن يقوم بحركته وبعملية التغيير التى يتصدى لها إلا اذا كانت الظروف الموضوعية للثورة مواتية. وذلك ما حدث للثورة المصرية عام ١٩٥٢م على سبيل المثال.

ولكن الجيش لا يمكن أن يحدث تغييراً ثورياً من حيث هو جيش وأنما تكون العملية التى تحدث من صنع تنظيم سياسى، تنظيم الضباط الاحرار وهذا التنظيم يستفيد من امكانياته داخل الجيش ومن الجيش نفسه، كأداة فى هذه العملية الثورية لذا من الخطأ الأكبر تخلى بعض قادة الحركات العسكرية الثورية من هذا التنظيم السياسى وانزلاقهم لاقامة حكم عسكرى للجيش وحده وهذا ما يؤدى إلى ديكتاتوريات عسكرية معزولة عن الشعب.

لذلك فإن الجيش لا يمكن أن يكون قوة سياسية قائدة فى المجتمع بدلاً للحزب. وقد اثبتت التجربة أن ذلك غير ممكن عملياً، فضلاً من أنه من غير الجائز مبدئياً. لأن الحزب هو الأداة السياسية التى لا مجال لنكران دورها فى تهيئة الجماهير الواسعة ثورياً. ولأن الحزب يقود العمل الثورى لتحقيق الاهداف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى تخدم مصالح الجماهير.

وهناك بعض الجيوش فى الأنظمة التقدمية، لم تتعرض لعملية تغيير أساسية فى تركيبها، مما أفسح المجال أمام عناصر موجودة قائمة على رأس قطاعات منها لاستغلال سمعتها الوطنية والاستفادة من مراكزها للحصول على امتيازات ومداخل غير مشروعة. وبذا تكونت فئة عسكرية لها مصالحها وامتيازاتها الخاصة على حساب المجتمع ووقوفها فى وجه تطور الثورة. وفى المراحل الحاسمة من تطور البلدان السياسى والاقتصادى والاجتماعى كانت هذه الفئة تلجأ إلى تنظيم محاولات انقلابية رجعية. (٣)

والمرحلة التى تسبق الثورة حتى قيامها ووضع يدها على السلطة ربما كانت أسهل مراحل الثورة وأيسرها .

ذلك لأن الثورة أول ما تصطدم بعد قيامها بمهمتين الأولى، وهى أن تتجاوز نفسها من ثورة طليعية عسكرية إلى ثورة جماهير شعبية منظمة، تصبح الطليعة العسكرية فصيلة من فصائلها تتدرج فيها وتتحول إلى أداة فى يدها وسياج يحمى تحركها.

فالطليعة العسكرية مهما كانت نواياها، اذا انعزلت عن الجماهير فإنها ستقع فى قبضة الكوادر البيروقراطية والعناصر الطفيلية الانتهازية التى سرعان ما تتحلق حولها وتستدرجها إلى الوقوع فى شراك العوامل الذاتية التى تستيقظ أشد ما تكون يقظة عندما يصل الفرد إلى السلطة.

المهمة الثانية: أن تتجاوز الثورة نفسها أيضا من ثورة قطرية إلى الالتحام بالثورة العربية، وكما أن الاستعمار لا يخشى الثورات العسكرية عندما تنعزل عن الجماهير، فهو كذلك لا يخشى الثورات الاقليمية مهما كانت أهدافها وشعاراتها. لأنه يعلم أن التناقضات الاقليمية شأنها شأن التناقضات الذاتية يشل طاقة الثورة ويضعف مردودها.

ويبدو ذلك واضحاً اذا تتبعنا خطط الاستعمار واسرائيل فى الوطن العربى ومحاولته باستمرار إثارة التناقضات بين أنظمة الحكم الثورية فى الوطن العربى منذ عهد عبد الكريم قاسم وحتى الآن. (٤)

ثانيا: بابكر كرار ورؤيته للجيش فى الثورة العربية

وهنا نتعرف على رأي بابكر كرار فى دور القوات المسلحة فى البلدان العربية. حيث يقول:-

إن القوات المسلحة فى البلدان العربية التى قامت بثورة ضد الاستعمار أو سارت فى طريق الثورة الاجتماعية، هذه الثورات لم تقم لحسم مشاكل مذهبية أو صراعا فكرياً، بل قامت لحسم المشاكل الأساسية لهذه الشعوب خاصة بعد أن أخفقت كل المنظمات الأخرى فى تحقيق المهام الاساسية.

ففى الجزائر اندلعت الثورة العربية بعد فشل الأحزاب كلها فى السير فى طريق الثورة.

وفى مصر اندلعت الثورة بعد فشل كل الأحزاب فى تحقيق الجلاء والتغيير الاجتماعى، ولم تقم الثورة لحسم نزاعات مذهبية أو فكرية والجيش المصرى بهذا الوضع هو القوة التى استطاعت أن تحسم معركة الشعب بعد أن فشل النظام الحزبى.

ونجد أن هناك بعض المآخذ على التجربة المصرية، ولكن يمكن القول بأن التجارب الثورية الأخرى قد واجهت مثل هذه الأمور من خلافات، فعلى سبيل المثال حدث صراع فى الحزب الشيوعى السوفيتى سنة ١٩٠٢م أدى إلى انقسامه إلى بلشفيك ومنشفيك. بل وفى الحركة الشيوعية العالمية، نجد أن الصين لديها تفسيرات مختلفة عن تفسيرات الحزب الشيوعى السوفيتى، فالعمل الخلاق فى الاتحاه السوفيتى يعتبر تحريفا فى الصين والعمل الخلاق فى الصين يعتبر جمودا فى الاتحاد السوفيتى. وهذان هما أكبر تنظيمين ثوريين فى المعسكر الاشتراكى.

ومن جهة ثانية فيدور القوات المسلحة هو أنها انتقلت إلى مستوى الثورة اجتماعياً ووضعت أسس تطوير المستقبل، وهذه المسألة لا يمكن تصور وقوعها إلا اذا استطاعت القوات المسلحة بناء الكيان الثورى للشعب، عن طريق قيامها بقيادة العمل السياسى، ورفضت أى انحراف فى قيادة العمل السياسى باعتبار أن القوات المسلحة هى المؤسسة الوحيدة البعيدة عن النفوذ الاجنبى. وتسطيع أن تبنى المؤسسات الثورية فى الحركة النقابية والتنظيمات الطلابية .. الخ. ثم بعد ذلك تسير فى بناء القاعدة المادية للاقتصاد الوطنى، حتى ترتكز هذه المؤسسات الديمقراطية الشعبية على أساس مادى، أن القوات المسلحة وقد برزت فى الثورات العربية على أنها القوة الوليدة التى تسطيع أن تحس رغبات جماهير الأمة العربية وهى التى تستطيع أن تطور الثورات العربية فى نطاق احترام الخصائص العربية والاعتماد على القوة الذاتية العربية وهذا مالا يمكن تصوره عن طريق الأحزاب.

والجانب الثالث الذى يدخل فى حديثنا عن الثورة العربية هو الجانب الثورى فى الفكر الاسلامى، وهذا يجب أن تعطيه الاعتبار الكافى ونحاول ابرازه فى العمل الثورى بإعتبار ان الاسلام منجزات ومؤسسات. أما الحديث عن الإسلام كحضارة فلا يكفى بل يجب إبراز الجانب الثورى والنضالى فيه. (٥)

ثالثاً: الحكومات العسكرية فى السودان

شهد السودان ومنذ استقلاله فى عام ١٩٥٦م العديد من التجارب السياسية التى لم يحالفها التوفيق فى كثير من الأحيان. ومن تلك التجارب كانت الحكومات العسكرية التى تعاقبت على السودان.

فقد حكم السودان عسكريا فى ثلاثة عقود حيث كان العهد الأول انقلاب السابع عشر من نوفمبر ١٩٥٨م والذى استمر حتى الثلاثين من اكتوبر ١٩٦٤م بقيادة الفريق ابراهيم عبود وجاء العهد الثانى أثر الانقلاب العسكرى فى الخامس والعشرين من مايو ١٩٦٩م وأستمر حتى الخامس من أبريل ١٩٨٥م بقيادة المشير

جعفر محمد نميرى. ووقع الانقلاب العسكرى الثانى فى الثلاثين من يونيو ١٩٨٩م بقيادة الفريق عمر أحمد حسن البشير ولا يزال مستمراً حتى اليوم.

وقد اتفقت الانقلابات العسكرية الثلاثة فى أمرين أساسيين هما:-

١. عدم منح الديمقراطية فرصة الثبات والرسوخ. حيث أن الديمقراطيات الثلاث لم يستطع اى منها اكمال الفصل التشريعى الذى فوض لها من الشعب مباشرة.
٢. أتت التدخلات العسكرية عقب جمعيات تأسيسية لوضع دستور وذلك لم تستطع تلك الجمعيات التأسيسية من أداء مهمتها الأساسية فى وضع الدستور. (٦)

وقد عاصر الاستاذ بابكر كرار فترتى السابع عشر من نوفمبر ١٩٥٨ والخامس والعشرين فى مايو ١٩٦٩م. من عمر الحكومات العسكرية بالسودان.

فشل القوات المسلحة من القيام بدورها فى السودان

يرى الأستاذ بابكر كرار أن فشل القوات المسلحة فى السودان من القيام بدورها كأداة ثورية يرجع إلى عدة عوامل منها:-

١. كان الحكم العسكرى فى السودان بطريق غير مباشر تحت سيطرة وتوجيه العناصر العميلة والانتهازية بصورة أو أخرى، مع تغيير فى بعض الوجوه هنا وهناك.
٢. كان الحكم العسكرى أداة لتغطية المصالح الاستعمارية، ومخرجا للدوائر الحاكمة فى الأحزاب التقليدية من ضغط تعاظم الحركة الجماهيرية الديمقراطية والتقدمية فى البلاد.
٣. كانت وطأة الحكم العسكرى على جماهير الشعب وعلى حساب التطور الاقتصادى والاجتماعى وفرص السياسة الخارجية المستقلة والمقدامة.

٤. كانت الدوائر الحاكمة فى الأحزاب التقليدية بالتواطؤ مع الدوائر الأجنبية تزج بالقوات المسلحة فى الحكم ثم ينشب الصراع بعد ذلك بين القوى الديمقراطية والتقدمية وبين قيادة القوات المسلحة فى محاولات لتطويع الحكم العسكرى تجاه الجماهير وتوطيد الديمقراطية.

ويكون عبء النضال على جماهير الشعب وطلائعه فى مختلف مواقع العمل والنضال والبذل والتضحية والاستشهاد على حساب الحريات العامة وسيادة الدستور وحكم القانون.

٥. هذا الصراع يضم الشعب وطلائع القوات المسلحة من الضباط والجنود الذين ناضلوا بشرف وببسالة فى خط واحد مع جماهير الشعب وطلائعه من أجل تطويع الحكم العسكرى وتحويله من القمع الدموى وسيطرة العملاء إلى الانخراط والتلاحم مع الشعب فى نضاله من أجل التحرر والتقدم. (٧)

لماذا ساهم بابكر كرار فى الحكومات العسكرية

وللاجابة على هذا السؤال يقول الاستاذ ميرغنى النصرى، يمكن أن نجمل هذه المساهمة لثلاثة عوامل منها:-

١. أن تكون الانقلابات العسكرية على مستوى ثورة يوليو ١٩٥٢م فى مصر، مستوى الثورة العربية المناهضة للقوى الاستعمارية، والهادفة إلى تحقيق ثورة اجتماعية نحو الاشتراكية وتحقيق مجتمع الكفاية والعدل.

٢. سيطرة الحركة الشيوعية على الاتحادات الطلابية والنقابات العمالية، دفعه إلى مواجهة المد الشيوعى فى كل المواقع التى يتواجد بها.

٣. هناك الكثير من المشاكل الحادة التى كانت تواجه السودان وعلى رأسها التخلف الاقتصادى، ومثل هذه المشاكل لا يمكن أن تعالج والمخلصون من أبناءها موزعون بين الأحزاب الكبيرة. فكان لزاما أن تلتقى كل العناصر الوطنية فى

تنظيم سياسى واحد لاخراج البلاد من هذا الظلام إلى دائرة النور والتقدم والرخاء. (٨)

حكومة ابراهيم عبود

"إن الثورة ليست معنى جامداً، إنها قوة متحركة فاعلة ومتصلة بالكيان الوطنى وهى فى عملية تطوير حياتنا تتطور هى نفسها وتقوى وترتفع أشواقها. ومن ثم كان الحكم الصحيح على الثورة.. هو الحكم الناظر إلى الثورة و هى تنتصر مادامت مرتبطة بالكيان الوطنى والقاعدة الشعبية والجماهير الكادحة من أجل تغيير حالة البؤس وتعزيز جبهة الشعب والعمال"(٩). هذا ما قاله الاستاذ بابكر كرار.

لقد كان يبحث عن تنظيم يعمل على تقوية جبهة الشعب وجبهة العمال والزراع والاجراء الذين دافع عنهم كثيراً والذين لم يكونوا هدفا من اهداف الأحزاب السياسية. فالحركة الوطنية السودانية انتصرت فى تحقيق الجلاء واعلان الاستقلال ولكن الجماهير الكادحة التى استبسلت فى معركة التحرير والاستقلال والتى قامت الحركة الوطنية على اكتافها وعلى تضحياتها، هذه الجماهير حُرمت من ثمرات جهودها ، وتحولت ثمرات الانتصار الوطنى إلى حفنة صغيرة، بفضل الفساد الحزبى وسيطرة تجار السياسة على الحركة الوطنية.

ومن منطلق مجاهداته مع الطبقة العاملة كان اسهامه فى حكومة عبود. فالثورة قد اعلنت وعلى لسان اللواء طلعت فريد وزير العمل فى تلك الحكومة وفى تصريح أدلى به إلى جريدة الرسالة السودانية ما نصه (وقد رأت الثورة منذ البداية بثاقب نظرها وعمق وعيها أن العمال وهم فى طليعة أبناء الأمة المستنيرين ومن الفئات الشعبية ذات التاريخ الباسل المجيد فى معركة الحرية والاستقلال – لا يستطيعون أن يلتفوا حول ثورتهم المباركة العاتية وأن يساهموا فى تفتيق المعانى

العاتية الجبارة الكافية فيها وأن يجنوا ثمار هذه الثورة المباركة وتوزيعها على جميع أفراد الطبقة العاملة رجالا ونساءً شيوخاً وأطفالا إلا إذا إنتظم العمال وتوحدوا وتضامنوا داخل نقاباتهم (١٠).

ويتضح من ذلك أن الثورة قد أشارت منذ اندلاعها إلى سعيها لتمكين جماهير الآمة السودانية من السيطرة على مصيرها وربطها بالتطور الوطنى الاقصتادى والاجتماعى والسياسى وتأمين مكاسب الكادحين.

ومن تلك المنطلقات كان عمله فى ١٧ نوفمبر منصباً فى تدعيم مواقف النقابات العمالية الواقعة تحت سيطرة النفوذ الشيوعى فى تلك الفترة.

رابعاً:

الاوضاع السياسية التى سبقت قيام ثورة الخامس والعشرين من مايو

لقد كان للحزب الاشتراكى الاسلامى مواقفه الواضحة تجاه أخطار المد الشيوعى فى تلك الفترة ١٩٦٥م.

وقد أصدر الحزب العديد من البيانات التى تندد بالشيوعية وتدعو إلى الوقوف بصلابة فى مواجهة أخطار الشيوعية الدولية وقد صدر للحزب الاشتراكى الاسلامى بيان فى ١٦ نوفمبر ١٩٦٥م بعنوان ماذا بعد الحل، جاء فيه:-

فى سرعة عاصفة تحت ضغط حركات الجماهير الجبارة فى العاصمة والأقاليم قررت الجمعية التأسيسية حل الحزب الشيوعى السودانى، ولا شك أن الماركسية اللينينية تقوم على أسس عقائدية الحابية وتنذر بتصفية الحريات والاديان جميعاً. وذلك بقوة الحديد والنار وإقامة المجتمعات الشيوعية على أساس ما يزعمونه ويسمونه الإلحاد العلمى.

ولقد أكدت تجربة الجمهورية العربية المتحدة والجزائر وغينيا وغانا أن الحركات الوطنية تستيطع أن تنتصر على قوى الاستعمار والامبريالية وأن تسير فى طريق الاشتراكية العلمية دون أن تحتاج إلى وجود جزب شيوعى بل إن هذه

الثورات الأفريقية الرائدة قد شقت طريق الإشتراكية العلمية بالرغم من معاداة الأحزاب الشيوعية المحلية لها.

وفى مواجهة أخطار الشيوعية الدولية ودعاوى النقد والاستبداد فإن واجب جميع الأحزاب أن تتناول بالحرية وأن تربى جماهيرها وتروضهم على حب الحرية والاستعداد للتضحية فى سبيلها وأن تعمل بوعى وباخلاص على تدعيم وتوسيع نطاق المؤسسات الديمقراطية فى البلاد وتعزيز سيادة القانون واستقلال القضاء.

وأن حل الحزب الشيوعى السودانى وتصميم البلاد على مواجهة أخطار التبعية الشيوعية الدولية سيتبع بالضرورة الاخذ بالحل الاشتراكى العلمى للتحرر الاقتصادى والتنمية الاقتصادية وتصحيح خطوط سياستنا الخارجية فى حركة النضال العالمى ضد الاستعمار والامبريالية وفى حركة نضال الشعوب من أجل تدعيم السلام العالمى القائم على العدل واعادة أسس التعاون الدولى على أسس من المساواة.

وختم البيان بالقول أن الحزب الاشتراكى الاسلامى يضع جهوده المتواضعة المخلصة مع كل القوى الوطنية الديمقراطية التى يعز عليها أن يستمر الشعب السودانى تحت وطأة البؤس والتخلف وهو يملك بين يديه كل فرص الحياة(١١).

ومن جهة أخرى قام الحزب الاشتراكى الاسلامى بدعوة لكل من ساهم فى تأسيس الحركة الاسلامية الحديثة فى السودان وذلك لمناقشة ما يجرى على الساحة السودانية من الضياع والإنحلال و الإلحاد وإنحطاط المسئولية مما يجعل البلاد فى غيبة الحركة الاسلامية ساحة للنفوذ الشيوعى وتعاظمه. ومن هنا كانت دعوته لتماسك الجبهة الاسلامية(أنظر ملحق رقم ٧ وملحق رقم ٨).

أما من الناحية الإقتصادية لحكومة الصادق المهدى الأولى فقد ذهب الحزب إلى أن الاقتصاد السودانى عانى من تدهور متصل لأسباب داخلية بحتة. وان

الخروج من أزمة هذا التدهور المتصل يتوقف على مزيد من الأعباء على الجماهير والاستمرار فترة طويلة بهذه الأعباء والاعتماد على البنك الدولى وصندوق النقد.

وان الاهداف التى تسعى اليها الميزانية الجديدة هى على وجه التحديد:

أولا: تأمين المصالح الاحتكارية الاجنبية.

ثانيا: تصفية القطاع العام الوطنى "الاشتراكى"

ثالثا: توسيع قاعدة القطاع الخاص والرأسمال، بهدف أن يكون القطاع الرئيسى والقيادى لعمليات الانتاج والتطور الاجتماعى، مما يشير بأن الميزانية الجديدة تقوم على تصور رأسمالى بحت. وأن هذا الشعور خاطئ لأنه لا يرى الصفات الاساسية للاقتصاد الوطنى الحالى وهو اقتصاد تبعى فى الاساس ويقع تحت سيطرة نهب الاحتكارات الاجنبية(١٢) وللمزيد حول هذا الموضوع يمكن الرجوع للملحق رقم (٩).

كذلك تناول الحزب الناحية السياسية حيث ذهب إلى أن أزمة الحكم فى البلاد اصبحت تتفاقم يوما بعد يوم بارزة فى مظهرها الخارجى بقيام حكومة وسقوط أخرى فى أزمان متقاربة.

وقد ظل التفسير السطحى لهذه الأزمة فى إنها نتاج الصراع الحزبى حول السلطة. ولقد اتضح ان هذا الصراع الحزبى هو نفسه وليد أزمات أخرى ظلت تلازم البلاد .. وأنه انعكاس لظواهر سياسية واجتماعية اعمق.

فالأزمة هى فى الأصل أزمة قيادة سياسية ثورية ظلت البلاد ترقب وجودها وتفتقدها، إن القيادة السياسية فى الاحزاب التقليدية لم تعد مقتدرة على تحمل المسئوليات الجديدة فى عالم متطور زاحف بخطى اكيدة نحو آفاق جديدة.. آفاق ذات محتوى سياسى ثورى وذات مضمون اجتماعى جديد.

وإن واقع البلاد يشير لضرورة قيادة سياسية ثورية تواكب عالم اليوم، قيادة تؤمن بتطور البلاد الحر وبضرورة مركزها القيادى الطليعى.

وإزاء كل هذا فإن الحزب الاشتراكى الاسلامى يرى أن المنطلق الوحيد من الازمة الراهنة بابعادها الحقيقية هو الآتى:-

١. تأليف قيادة ثورية من الأحزاب العقائدية والمنظمات الجماهيرية.
٢. ادانة النظام الرأسمالى وفتح طريق الاشتراكية أمام تطورنا الاقتصادى. إن أى حلول أدنى من ذلك تجعلنا ندور فى حلقة مفرغة كالتى تدور بنا اليوم تحت قيادة تعيش فى العبث والتخبط.

وأن أى حلول أدنى من ذلك لن تدوم طويلا ولتستعد الأحزاب العقائدية والمنظمات الجماهيرية لتولى الأمر لأن الوضع الراهن المنهزم سيستسلم لها فى أمد قريب(١٣).

قيام مايو وتأييد بابكر لها

كان يرى أن ثورة مايو قد جاءت بعد أن فشلت كل الأحزاب فى حسم المشكلة الاساسية للشعب السودانى، والتى تتمثل فى ناحيتين:-

١. وقوع الأحزاب الحاكمة تحت سيطرة الدوائر الاستعمارية ورضوخها للنفوذ الخارجى، وعلى ذلك فإن أى مجال لارجاع نظام الأحزاب هو ارجاع للنفوذ الاستعمارى مرة أخرى.
٢. إن المشكلة التى كان يواجهها الشعب السودانى هى مشكلة حسم عروبة السودان على المستوى السياسى والاجتماعى، فالشعب السودانى قد فرض عروبته على المستوى الدولى عند انضمامه للجامعة العربية. ولكن ظل الوضع داخل السودان ممزقاً ولم يستطع السودان أن يعبر عن ارادته العربية من خلال المؤسسات الديمقراطية، ومن خلال نضاله الوطنى لأن كل ثقل الاستعمار كان منصباً حول ضرب الكيان العربى داخل السودان وتمزيقه وعزله عن حركة النضال العربى.

والقيادة المسلحة السودانية حسمت فى مايو القضية الأولى بأن ضربت النظام الاستعمارى داخل البلاد، وهو النظام الحزبى، وربطت الشعب السودانى بالكيان العربى على مستوى الثورة العربية.

وفيما يتعلق بالناحية الداخلية، فإن ثورة مايو قد حسمت مشكلة النزاع الداخلى ومشكلة عروبة السودان على المستوى الاجتماعى والسياسى لأنها نهجت سياسة عربية صريحة.

ويضيف أن مشكلة تطوير الثورة العربية أو القومية العربية، فى السودان ليست مجرد ارتباط بالثورة العربية على المستوى الخارجى ولكنها فى نفس الوقت ارتباط بالثورة العربية على المستوى الداخلى.

وان ثورة مايو اذا أنتصرت فى حسم عروبة السودان يمكن ان يكون ذلك نقلاً للثورة العربية داخل القارة الافريقية كلها وربطها بخط نضال واحد، لأن الثورة فى المستقبل ستكون فى افريقيا، ولا يمكن ان تقوم ثورة عربية فى افريقيا وهى طليعة الثورة العربية إلا اذا حسمت عروبة السودان فى الداخل واصبح السودان ومصر وكل الثوار العرب فى افريقيا بالذات، يسيرون على مستوى واحد وان تتضامن الحركات التحررية فى افريقيا لتحرير القارة وأن تؤكد الدور الطليعى للامة العربية فى افريقيا(١٤).

وفى مجال العمل العربى داخل السودان كان مناديا وبشدة إلى:-

عربية السلطة - تطويق الحدود السودانية بالتبشير الاسلامى والمؤسسات الاسلامية.

وفى طريق عربنة السلطة:-

١. التركيز حول مواقع القوى الاجتماعية.
٢. ربطها فكريا ونضالياً بالثورة العربية.
٣. اعادة تنظيمها. (١٥)

وفى اطار العمل العربى كذلك وقع فى ديسمبر ١٩٦٩م الرئيس جعفر محمد نميرى ميثاق طرابلس. وفى مساء ٨ نوفمبر ١٩٧٠م اصدر الرؤساء الثلاثة جمال عبد الناصر وجعفر محمد نميرى ومعمر القذافى الاعلان الثلاثى " ميثاق طرابلس: ويقول بابكر كرار أن البلاد بتوقيعها على ميثاق طرابلس قد أكدت انتماءها إلى الصف الأكثر تقدما فى الوطن العربى".

وبالاضافة إلى ذلك فإن ثورة الخامس والعشرين من مايو قد أكدت فى خطبها وقوفها إلى جانب الشعب.

ففى مقابلة تلفزيونية فى ١٩٦٩/٦/١ أجاب نميرى على أحد الاسئلة بقوله "والله نحن لسنا طلاب حكم ولم نضع فى ذهننا اننا نحكم وقد مرت التجربة بالحكم العسكرى على السودان وكان أن تسلط بعض الضباط على الشعب ونال منهم ما نال بالعذاب والتسخير فى سبيل أهوائهم. وأنا اعتقد أن العسكريين اذا دخلوا الحكم من السهل أن ينحرفوا لانهم يشعرون بأن وراءهم القوة، ويصعب جدا انك تواجههم بهذا الانحراف أو تحاول أن تعزلهم من هذا الانحراف اذ فيه خطر على الأمة ولذا فكرنا فى انه يجب أن يكون الحكم للشعب والمراقبة للعسكريين لاننا نجيد المراقبة. وفىخطاب آخر امام موكب بتاريخ ١٩٦٩/٦/٢م قال: "أن الثورة سوف تعمل جادة بفضل مساندتكم وتصميمكم على تحقيق المعادلة الحقة فى وضع السلطة فى أيدى أصحاب المصالح الحقيقية للبلاد من عمال وزراع ومثقفين ورأسمالية وطنية. وبهذا وحده ترجع الامور إلى طبيعتها وتتضح رؤيته (لاهداف لوضع جميع امكانيات الثورة فى خدمة الشعب) (١٦). وإضافة إلى هذه الاسباب مجتمعة فإن مايو قد بدأت من مواقع اليسار برفع شعاراته ونسبت مايو إلى الشيوعيين المتمردين على جناح عبد الخالق. لكل هذه العوامل المتداخله كان تأييد بابكر كرار لمايو فى بداية أمرها وقبل أن ترتد عن شعاراتها.

وعن علاقة بابكر كرار بمايو قبل اندلاعها ومدى معرفته بهذا الانقلاب يقول الاستاذ عبد الله زكريا " ان بابكر كرار كان يعد النميرى ويثقفه منذ العام ١٩٦٦م لحكم السودان. وكان يحاول جهده أن يجعل منه عبد الناصر السودان(١٧). فى حين يقول بشير ابراهيم اسحق أن بابكر قد علم بمايو عن طريق الصدفة من صديقه عبد الخالق محجوب الذى تربطه به صداقة قوية منذ الستينات وقد كان عبد الخالق يستمع لبابكر كثيرا، وكان لبابكر تأثير فى فكر عبد الخالق وادارته للحركة الشيوعية(١٨). ويقول جعفر محمد نميرى إن بابكر كرار لا صلة له بمايو ولم يكن من المشاركين فى الاعداد لها لأن ذلك كان تنظيم ضباط أحرار ويذهب نميرى لأبعد من ذلك لينفى الصلة السياسية التى كانت تربطه بالاستاذ بابكر كرار، علما بأن الكثيرين قد أكدوا هذه العلاقة التى رأوها بأعينهم. ويقول النميرى كذلك انه زامل بابكر كرار فى حنتوب الثانوية ولكن لم يكن له اى نشاط سياسى ولا يعلم شيئا عن الشيوعية ولا الأخوان المسلمين. فقط كان له نشاطا رياضيا ملحوظاً(١٩).

أما الاستاذ بابكر كرار فيشير فى احدى أوراقه إلى ان مايو لم تكن مفاجأة بالنسبة له.

ومهما يكن الامر فان خلافا حاداً قد نشب بين الرجلين، قاد بابكر إلى السجن ثم الهجرة إلى مصر وليبيا.

خامساً: نظرة تاريخية وتحليلية لطبيعة نظام مايو

يقول الاستاذ بابكر كرار حتى تكون لنا رؤية واضحة لطبيعة النظام وخصائصه يجب أن ننظر اليه نظرة تاريخية وتحليلية فى آن واحد.

فالنظرة التاريخية تكشف عن التغيرات الاساسية التى تغلب فيها النظام السياسى منذ مايو ١٩٦٩م إلى ١٩٧٥م. والنظرة التحليلية تكشف عن تداخل وترابط القوى الحقيقية والاجنبية والمحلية التى تهيمن على اتجاهات التطور

الاقتصادى والاجتماعى وعلى واتجاهات السياسية الخارجية على النحو الذى يخدم الاقطار الرأسمالية الصناعية والولايات المتحدة الامريكية وتخدم فى ذات الوقت مصالح الجماعات الطفيلية والانتهازية والعميلة من السودانيين.

وقد انعكس هذا الصراع فى البدء عندما رفع الانقلابيون رآية القومية العربية والاشتراكية العلمية وتوطيد الصداقة السودانية السوفيتية والتوقيع على ميثاق طرابلس ثم اشتد الصراع الاجنبى حول هذه الرآية. وأكل الانقلابيون بعضهم بعضاً وقوداً لهذا الصراع. واسفر الصراع الحقيقى من وراء المواجهة العسكرية عن سيطرة الدوائر الأنجلو أمريكية والجماعات الطفيلية والانتهازية والعميلة على القوات المسلحة وفى هذه المرة رفع الانقلابيون رآية العداء للقومية العربية والاشتراكية العلمية والصداقة السودانية السوفيتية وميثاق طرابلس. واستبدال تلك الرآية باتفاقية أديس ابابا والصداقة الامريكية وقبول مشروع الملك حسين وأخيراً الاعتراف باسرائيل.

إن الانتقال والقفز من اليمين إلى اليسار هو السمة التى اتصفت بها السلطة فى اطوارها. وكل هذه الاطوار وقفزاتها هى فى حقيقة الامر انعكاس لصراع القوى الاجنبية فى السودان. وما كانت القوات المسلحة الا اداة فى هذا الصراع ولم تكن فى وضع يمكنها من أخذ المبادرة وحسم قضية السلطة لمصلحة الجماهير.

وان هذه الحركة الدموية التى تقوم بها الواجهة العسكرية تخفى وراءها صراعا سياسياً عنيفاً وواعياً بين القوى الوطنية التقدمية وبين القوى الاستعمارية والجماعات الانتهازية التى أخذت تسترد مواقعها مرة أخرى بصورة كاملة فى اجهزة الدولة والاقتصاد السودانى والسياسة الخارجية.

والنظام القائم ليس مقطوع الجذور بالماضى، ومن ثم فإنه امتداد للنظام السياسى التقليدى فى شكل جديد أشد فتكاً بالجماهير السودانية وأوثق ارتباطاً بالاحتكارات الرأسمالية الأوربية والأمريكية وأشد تحكماً فى اتجاهات السياسة

الخارجية التى تخدم الاستراتيجية الإنجلو امريكية الاسرائيلية فى الاقطار العربية والأفريقية. (٢٠)

سادسا: بابكر كرار والصراع مع مايو:

بدأ الصراع داخل مايو، وفى هذا الصراع وقف بابكر كرار بجانب القوميين العرب ولكن داخل القومية العربية كان ضد بابكر عوض الله. وقد كتب فى تلك الفترة مقالات عديدة هاجم فيها نظام النميرى أيام بابكر عوض الله . واستمر بابكر فى صراعه مع مايو خاصة بعد حركة يوليو حيث أخذت الاجنحة ضد القوميين العرب تأخذ شكلها الواضح. (٢١)

والجدير بالذكر أن للاستاذ بابكر كرار مآخذه على التيار القومى بالسودان حيث يقول:- أن التيار القومى لم يستطع أن يكستب قاعدة شعبية عريضة وأخذ يتركز بشدة فى صفوف المثقفين الذين رفضوا النظام الحزبى، وتطلعوا إلى حركة انقاذه مع رفض اليسار الشيوعى.

ومواقع الضعف والنقص فى التيار القومى تتبلور على هذا النحو:-

أولا: أن هذا التيار القومى لا يطرح الاسلام طرحا ثوريا وتبشيرياً باعتباره ثورة فكرية وحاجة نضالية لاستنهاض الجماهير السودانية ثوريا من اجل تغيير حالة البؤس والضياع، ولاشباع الحياة السودانية قومياً وثقافياً.

ثانيا: ضعف الفكر الاشتراكى العلمى لدى هذا التيار واضطراب القوميين وتناقص جهودهم فى سبيل اشاعة الفكر الاشتراكى العلمى وشق الطريق لشعبنا فى هذه المرحلة التى تتطلب بالضرورة اجراء تحول اشتراكى فى الاقتصاد السودانى وتوفير كل متطلبات التحول الاشتراكى فى نطاق الحريات العامة وحكم القانون وتوطيد الاستقلال الوطنى والسيادة القومية وهذا يعكس ضعف التيار فى قضايا الفكر والعمل الاشتراكى.

ثالثا: تخلف هذا التيار عن ادراك مفهوم القومية العربية فى حدودها المتحركة ذلك المفهوم التاريخى والموضوعى والذى ترى معطياته والادلة على صوابه ودقته فى واقع البيئة السودانية وذلك بسبب نقل مفهوم القومية العربية من شعوب الشرق العربى حيث، اختلاف معطيات البيئة والتاريخ عن معطياتها فى بلادنا(٢٢).

وفى عام ١٩٧٣م تم اعتقال بابكر كرار لعدة شهور وأطلق سراحه بعد تدخلات عديدة من قبل الاستاذ الرشيد الطاهر بكر. وخرج من السجن بنفس تجرده ولم يغير من آرائه. وعندما ضاقت عليه السبل خرج إلى مصر فى نفس العام، وحينها كانت التطورات فى مصر سريعة حيث كان انحياز السادات للتيار الأمريكى وبداية المشاكل بين ومصر وليبيا(٢٣).

وفى مصر كانت له صلات وعلاقات كثيرة مع القيادات المصرية فى الاتحاد الاشتراكى والدولة.

وفى بداية عام ١٩٧٤م تم طرد الاستاذ بابكر كرار من مصر نسبة لافكاره التى كان يدلى بها وبأعتباره كان مؤثراً تأثيراً فعالاً على الدكتور عبد العزيز حجازى الذى كان رئيساً للوزراء، خاصة وأن افكاره كانت ضد التسوية السائدة فى منطقة الشرق الأوسط حينها. ومن مصر ذهب إلى ليبيا عن طريق البر.

وفى اثناء تواجد بابكر كرار بليبيا بدأت الاتصالات بينه وبين العقيد معمر القذافى. حيث كانت له مودة خاصة مع مجلس الثورة الليبى وعلى رأسهم العقيد القذافى وقد نمت هذه الاتصالات عن طريق عضوا مجلس الثورة ابوبكر يونس جابر والعقيد صالح الدروقى عضو القيادة التاريخية والملحق العسكرى الاسبق بالسودان.

وكان بابكر أول من نبه الليبيين بأن النظام الموجود فى السودان يهيمن عليه الشيوعيون. ونسبة لأن بابكر كرار رجل حوارات فقد كان من اقرب المصادر لدى العقيد القذافى خاصة فيما يتعلق بالشأن السودانى.

وقد كتب الاستاذ بابكر كرار رسالة إلى المعارضة السودانية المتواجدة فى تلك الفترة بالأراضى الأثيوبية والسعودية، فحواها أن الثورة الليبية لديها بعد اسلامى عربى ثورى. لذا يجب الاتصال بهم لتكون الاراضى الليبية بديلاً للمعارضة السودانية عن اثيوبيا والسعودية، خاصة وأن مواقف السعودية واثيوبيا قد تبدلت بعد تحول النظام السودانى عن الشيوعية مما أدى لتغيير فى مواقف تلك الدول.

ويقول عمر نور الدائم، لقد تم انتدابى من قبل المعارضة السودانية فىعام ١٩٧٣م للذهاب إلى القاهرة ومقابلة الاستاذ بابكر كرار، وذلك لبحث كيفية توطيد العلاقة مع الليبيين وفى ذلك التاريخ كان السيد الصادق المهدى معتقلاً بسجن بورتسودان.

وبالفعل قابلت بابكر كرار فى القاهرة بفندق الطاهرة حيث مكثت معهم لمدة شهر وكان بصحبته الدكتور ناصر السيد والاستاذ عبد الله زكريا. وخلال هذا الشهر كان الاتصال جاريا مع الاخوة الليبيين ابوبكر يونس وصالح الدروقى لتسهيل اللقياء لنا مع الثورة الليبية(٢٤).

وكما هو معروف فإن للقذافى مواقفه الصارمة تجاه الاحزاب، وهذه المسألة أثارت جدلاً طويلاً بين بابكر كرار والعقيد معمر القذافى ففى رأى القذافى أن من تحزب خان، كما أن للعقيد القذافى مواقفه تجاه حركة الاخوان المسلمين. إلى أن تم اقتناع العقيد القذافى بفكرة بابكر كرار وهى: بأنك اذا كنت ضد جعفر نميرى فلن تكون ضده إلا بأدوات الشعب السودانى، وأدوات الشعب السودانى هى الاحزاب السودانية، وعن طريق التحالف مع الأحزاب السودانية يمكن إسقاط نظام نميرى(٢٥).

وفى ٣ اكتوبر ١٩٧٣م ذهب عمر نور الدائم ومعه عبد الله زكريا إلى ليبيا وتم اللقاء بينهم والعقيد معمر القذافى الذى قال لهم: نقبل تحليل بابكر كرار ونقبل كثورة التعاون معكم.

ويقول عمر نور الدائم: "أخبرنى ابوبكر يونس بأنه بعد موافقة القذافى يجب أن تحضر المعارضة السودانية فى أسرع وقت. وسألوا عن الشريف الهندى الذى كان متواجداً بلندن، واتصلت بالشريف هاتفياً وأخبرته بالموافقة وبضرورة حضوره وعندما علم بأننى اتكلم معه من مقر القيادة العامة بليبيا قال لى مازحاً – ألا تخشى أن يحدث لك ما حدث لناس فاروق حمداالله. أما عثمان خالد مضوى فقد كان موجودا بالسعودية وطلبت أن يذهب اليه السفير شخصياً دون الاتصال به هاتفياً خوفاً من تسرب الأمر .

وفى ٢٧ اكتوبر وصلت الجبهة الوطنية السودانية الاراضى الليبية والتى تضم الاتحاديين برئاسة الشريف الهندى كرئيس للجبهة الوطنية وعمر نور الدائم نائباً له وعثمان خالد مضوى كأمين للجبهة(٢٦). ومن ثم وضعت الترتيبات التى قادت إلى العملية العسكرية فى عام ١٩٧٦.

ونسبة لأن بابكر كرار لم يكن موافقاً على خط العنف والعمل العسكرى، فقد تم الاتفاق من ورائه مع الليبيين لوضع الترتيبات العسكرية مع ابلاغ عبد الله زكريا بذلك ومطالبته بإخفاء الأمر عن بابكر كرار(٢٧).

وعن تلك العملية العسكرية يقول عمر نور الدائم:- "ان التريبات العسكرية قد كانت سرية بين الجبهة الوطنية السودانية والحكومة الليبية. وان التدريبات كانت داخل الاراضى الليبية، ولكن التحرك قد تم من الخرطوم بعد دفن الاسلحة بها مقدماً.

وقد عرض القذافى عليهم ان يقوم بالسيطرة عن طريق التدخل الليبى المباشر والاستيلاء على المطار والقيادة وكل المواقع الاستراتيجية بحيث يتسنى لهم

الدخول بارتياح. وقد كان نور الدائم من انصار الاستعانة بليبيا على غرار استعانة مايو بالمصريين فى ضرب الجزيرة ابا وودنوباوى. ولكن الصادق المهدى وقف ضد التدخل الليبى حتى لا يكون هناك ضحايا كثر بحسبون على المعارضة وحتى لا تكون الحركة خاجية بل تكون سودانية(٢٨).

ومن جانب آخر فقد تم اجتماع للجبهة الوطنية السودانية بروما عام ١٩٧٥م حضره كل من بابكر كرار، الصادق المهدى، الشريف الهندى، عمر نور الدائم، عثمان خالد مضوى، وغيرهم، وكان ذلك لترتيب كيفية قيام عمل سياسى لاسقاط النظام. وفى هذا الاجتماع استطاع بابكر كرار اقناع الحضور بضرورة قيام حزب واحد ببرنامج سياسى موحد لمواجهة أزمات السودان خاصة وأن الخلافات بين حزب الأمة والإتحادى وجبهة الميثاق ليست خلافات جوهرية. وبعد نقاش مطول كلف بابكر كرار بوضع ميثاق لقيام الحزب الواحد.

وبعد نهاية الاجتماعات وفى أحد الفنادق الايطالية انفرد السيد الصادق المهدى بالاستاذ بابكر كرار فى غرفة من غرف الفندق وأخبره بتفاصيل العملية العسكرية وكانت تلك اللحظة الأولى التى يعلم فيها بالعملية العسكرية.

لم يرد بابكر وقتها وأصيب بخيبة أمل كبيرة من الفكرة نفسها. وقال لهم نلتقى بليبيا.

وفى ليبيا عقد بابكر كرار اجتماعاً بمنزل صالح الدروقى حضره من جانب الليبيين ابوبكر يونس، وناصر السيد. وعمر نور الدائم والصادق المهدى والشريف الهندى وعثمان خالد مضوى. وقال لهم تعبيرا محدداأن المسألة العسكرية التى تم الاتفاق عليها مع الليبيين، هى عمل لا دينى ولا أخلاقى ولا سياسى.

وهنا قال ابوبكر يونس: طالما أن بابكر غير موافق فيجب أن يوقف هذا العمل.

واستمرت علاقة ابوبكر يونس ببابكر كرار متصلة وكانت الحوارات فى القضايا الفكرية تمتد بينهم حتى الصباح، ثم تأتى معلوات بأن مسعود وهو أحد الضباط المسئول عن أحد المعسكرات القائمة قد فك معسكر كذا كوكذا فى اشارة إلى توقف العملية العسكرية.

ولكن الواقع كان يقول غير ذلك. ونسبة لاستناد بابكر كرار على جذوره وتفكيره وعقليته التى كانت متشربة بقيم الاسلام "من غشنا فليس منا" فلم يكن يتصور بأن هناك شخصاً فى موقع مسئولية يمكن أن يغش(٢٩٨).

وأعتبر أن تلك العملية هى عملية غدر وخيانة خاصة من قبل الليبيين الذين ساهم معهم كثيراً فى مسار الثورة. كما تم فصل عبد الله زكريا من الحزب الإشتراكى الإسلامى(٣٠).

ومن النتائج التى تبلورت عنها العملية العسكرية على الخارطة السياسية هى أن أى شخص كان يعبر عن رأيه حسب الموقع الذى يتواجد فيه والإستراتيجية السائدة فى المنطقة.

فالذى داخل السودان كان يدين العملية العسكرية ويدين ليبيا. يؤيد مصر السادات ويؤيد النظام. حسن الترابى بعد خروجه من السجن كان يدين العملية العسكرية يدين ليبيا ويؤيد مصر. عثمان خالد مضوى كان عليه أن يؤيد العملية العسكرية يؤيد ليبيا يدين النظام ويدين مصر، الشريف حسين الهندى يؤيد ليبيا يؤيد العملية العسكرية يدين مصر ويدين النظام. الصادق المهدى بليبيا يدين مصر ويدين النظام، يؤيد ليبيا، يؤيد العملية العسكرية. أحمد المهدى داخل السودان وفى ذلك الوقت كان لديه وجود واضح يدين ليبيا، يدين العملية العسكرية يؤيد النظام يؤيد مصر.

الحزب الاشتراكى الاسلامى بعد أن تمت العملية بدون موافقته كان يدين النظام، يؤيد ليبيا لأنه متواجد بها ولكن تحفظ على شيئين هما عدم إدانة مصر وعدم تأييد العملية العسكرية.

وعدم إدانة مصر ناتج من أنه فى مرحلة من المراحل تم توحد الاقطار الثلاثة مصر ليبيا السودان. وتم وضع ميثاق طرابلس، ويرى بابكر كرار أن هذه الاقطار الثلاثة تشكل موقفا يمكنها هى وشعوبها لأن تكون قلب الامة العربية. وأن هذه الدول يمكن أن تكون نموذجاً لبناء أمة عربية لثلاثة أقطار متجانسة متقابلة ومتداخلة مع بعضها.

كما أن التأييد لليبيا جاء من هذا المنطلق. وأن كسر هذه الحلقة للدول الثلاث قد كان مقصوداً من العملية العسكرية خاصة وأنه فىعالم مكشوف فى بداية السبعينات لا يمكن أن يكون هناك عملاً عسكرياً بعيداً عن رؤية ونظر الدول الكبرى(٣١).

وقد ساعد بابكر كرار على التعامل مع هذا الموقف، لايمانه بأن المرارات لا يمكن أن تخلق المستقبل، وإنما المستقبل يتم خلقه من خلال التفكير العقلانى.

وبانتهاء العملية العسكرية تم الفراق بين بابكر كرار والجبهة الوطنية السودانية. مما عرضه لكثير من المصاعب والمضايقات فى سبيل تغيير مواقفه، ولكنه اختار الطريق الصعب.

وبعد انفراج الامور ووضوح مواقف بابكر كرار بالنسبة لليبيين وتفهمهم لذلك. التفت إلى مشاكل السودانيين العاملين بليبيا. وقام بالعديد من الإنجازات فى محاولة منه لحل ما يواجه السودانيين من مشاكل فى الاقامات، وما يتعرضون له من أزمات مالية.

وفى هذا الاطار تم انشاء رابطة للعاملين السودانيين بليبيا بالاتفاق مع أبوزيد دوردة وزير البلديات والاسكان حيث تم تجميع جميع الحرفيين العاملين

بليبيا، وكونت لهم رابطة انتخب رئيسا لها ابراهيم التنى كما اعطيت الرابطة مقاولات واسواق فى مجمعات كبيرة ليكون عائدها مصدرا لرزق الكثير من السودانيين. لم يتوقف الامرعند هذا الحد، بل كانت هناك لقاءات سياسية تنويرية للرابطة الهدف منها توعية هؤلاء العاملين بالواقع السياسى السودانى والواقع المحيط بالمنطقة، دون ان تكون هذه التوعية مشروطة أو مطالبة بأى انتماء حزبى.

فى حين يرى البعض بأن بابكر كرار كان يرمى من وراء ذلك إلى تجنيد العمال والطلاب واعدادهم للتغيير المستقبلى.

ومن جهة أخرى فقد ساهم بابكر كرار فى تكوين اتحاد الطلاب السودانيين بليبيا وقدم الكثير من الاعانات للطلاب مع توفير فرص الدراسة لهم بالاراضى الليبية وفتح الجامعات أمامهم.

كذلك كان يدير معهم حوارات مطولة بعضها موثق والاخر فقد. وكانت المناقشات تصب فيما يختص بالحركة الطلابية وربطها بالعمل السياسى العام، حتى لا تكون الحركة الطلابية منعزلة ومنفصلة عن الحركة العامة للشعب، كما عمل على ربط الحركة الطلابية السودانية بالحركة الطلابية الليبية ليكونوا بذلك نواة لقاعدة طلابية عربية أوسع(٣٢).

أما فى مجال الحياة السياسية الليبية، فقد كانت للاستاذ بابكر كرار علاقته الوطيدة بالعقيد معمر القذافى، ولأن ثورة الفاتح من سبتمبر تطرح نفس الافكار والمبادئ التى يؤمن بها فقد تم التلاقح والتفاعل، وكان العمل من أجل تحقيق اهدافه الاستراتيجية فى خلق مركز قوة لحركة الثورة العربية يكون الاعتماد فيها على اكبر رقعة جغرافية بشرية هى مصر السودان وليبيا، وقدم أفكاره الاقتصادية التى تبدأ بالتكامل وتنتهى بالوحدة.

كذلك كانت له علاقات وثيقة ولقاءات فكرية مع الكثير من قيادات الثورة الليبية نذكر منهم ابوبكر يونس، عمر الحامدى، جمعه الفزانى، ابوزيد دوردة، ابراهيم بجاد، محمد الزوي، حميد جلود وغيرهم.

ويقول عمر خليفة الحامدى أمين مكتب الاخوة العربى الليبى " لقد عرفت نوادى طاربلس ومنتدياتها العامة بابكر كرار مناضلا ومفكراً اسلاميا وثائراً فىغير عنف على كل بوار الماضى وتخلفه. وقد كانت له اسهامات فى تأسيس مؤتمر الشعب العربى، بجانب اسهاماته الواضحة فى وسائل الاعلام الليبية ففىعام ١٩٧٥م القى محاضرة كبيرة بنادى العروبة بليبيا بعنوان الماركسية والاسلام، كما أقام العديد من الندوات مع المفكرين العرب والافارقة والاسلاميين، كما كتب فى المجلات الليبية الشورى، الثقافة العربية الفجر الجديد.

لقد كان بابكر كرار وجها مميزا بليبيا وكان أهم من السفارة السودانية، وقد التقى بكل الوفود العربية القادمة إلى ليبيا(٣٣).

ومن وجهة أخرى فقد كانت للاستاذ بابكر كرار لقاءات وحوارات مع كل القوى التقدمية المتواجدة بليبيا، حيث التقى بالقوى التقدمية القادمة من سوريا ومصر والمغرب وتونس والجزائر. التقى بياسر عرفات وجورج حبش واحمد جبريل واحمد الخطيب وابراهيم قليلات وغيرهم كما التقى بالمفكرين صلاح بيطار من سوريا ومحمد البصرى من المغرب وغيرهم من المفكرين الجزائريين والمغاربة. وكانت الحوارات الفكرية والسياسية تنتهى بإندهاش المفكرين من تفكير الاستاذ بابكر كرار ذلك لأنه يصل معهم فى تحليلاته لحقائق كثيراً ما تكون غائبة عنهم.

ومن المجلس الفلسطينى من كان يأتى ثائراً ومتشنجاً، وما أن يبدأ الحوار حتى يهدأ وينظر للمسألة من منظور آخر غير الذى جاء به(٣٤).

وبعد وفاته أقيم له حفل تأبين بطرابلس بعد أسبوع من وفاته تحدث فيه كل من عمر الحامدى عن مؤتمر الشعب العربى وأبو طالب عن الثورة الفلسطينية وجمال الشرقاوى عن الحركة الوطنية المصرية. عبد الله زكريا عن الحركة الوطنية السودانية، وغيرهم.

كما أُلقيت قصيدتان فى الحفل الأول للشاعر محمد الفيتورى، أنظر ملحق رقم (١٠).

أما القصيدة الثانية فكانت للشاعر العراقى مظفر النواب، أنظر ملحق رقم (١١).

المصالحة الوطنية والعودة إلى السودان

بدأت المصالحة الوطنية بعد المواجهة العسكرية الدامية ١٩٧٦م بين نظام نميرى والمعارضة السودانية.

وقد كانت الاجواء مهيأة لتقبل تلك المصالحة فمن جهة فإن نظام نميرى كان متخوفاً من محاولة أخرى لانتزاع السلطة عبر غزو خارجى وبدعم أقوى، كما أن نميرى كان يحمل نفسه مسئولية استشهاد الكثير من مواطنيه مما يدعو إلى السعى لتضميد تلك الجراح، اضافة إلى أن المصالحة ستكون من العوامل الداعمة لحكمه بعد أن بدأت تظهر بوادر الانحراف الادارى والفساد المالى وسط أعوانه ووزاراته.

أما الجبهة الوطنية المعارضة فقد كانت أحوج ما تكون لمثل هذه المصالحة بعد الظروف القاسية التى مرت بها وخسارتها أمام الجيش الحكومى، وبدأت تظهر عوامل ضعفها ووهنها وبدأ الخلاف بين التنظيمات المكونة للجبهة الوطنية فى الظهور خاصة فيما يتعلق بالمسائل المالية والتمويل الخارجى. اضافة إلى أن وجود المعارضة ومعسكراتها بليبيا قد صار يشكل حرجاً شديداً لليبيا(٣٥).

وقد كان عراب المصالحة الوطنية هو السيد فتح الرحمن البشير الذى يروى لنا تفاصيل ما جرى حيث يقول " لقد كنت اذهب إلى لندن كثيراً والتقى بعدد من المعارضين السودانيين المتواجدين بلندن كأصدقاء وبعد المواجهة العسكرية

تناقشت مع بعضهم أذكر منهم د. عبد الحميد صالح ود. شريف التهامى، وكانت المناقشة عفوية عن امكانية اجراء مصالحة لمصلحة البلد العليا بعد فشل المواجهات العسكرية. واقتنع الرجلان بالفكرة ومن ثم التزمت بمقابلة نميرى الذى كان من المقرر أن يقوم بزيارة لفرنسا فى ١٧ مايو ١٩٧٧م واتصلت هاتفيا بالسفير السودانى بباريس ابوبكر عثمان محمد صالح وطلبت منه أن يحدد لى ميعادا عاجلا مع نميرى ورد السفير مستفسرا عن موضوع المقابلة فأجبته بأنها أمر خاص وتزامن ذلك مع وجود د. منصور خالد وزير الخارجية حينها مع ابو بكر عثمان محمد صالح. وتمكنت من إقناعهما بتحديد الميعاد بدون أن يعرفا شيئاً عن الموضوع، وتحدد الميعاد فى نفس ذلك اليوم وحضرت من لندن إلى باريس لأجد الرئيس نميرى متوقعاً حضروى، وصلتى بنميرى تمكننى من لقائه فى اى مكان يوجد فيه.

وصلت قصر الضيافة بباريس فى الساعة المحددة وبعد السلام أخبرته بما أتيت من أجله. فضحك مستغرباً مؤكدا أنه كان يظن ان مقابلتى المستعجلة له بسبب اقتصادى أو تجارى مع المؤسسات والشركات الفرنسية. وسألنى لماذا اهتم بموضوع الوفاق بين حكومته والمعارضة السودانية، وفى تلك اللحظة كتب خطاباً للسيد الصادق المهدى رئيس التجمع للاحزاب السودانية يخبره فيه انه علم منى امكانية المصالحة الوطنية، كما اعطانى تفويضاً كاملاً لبحث ذلك مع الاحزاب.

وبدأت بالسيد الصادق المهدى، حيث رجعت فى مساء نفس اليوم ومعى خطاب نميرى للسيد الصادق المهدى. وقد اندهش السيدان عبد الحميد صالح وشريف التهامى بالخطاب الذى سلمته لهم. وأصرا أن يتصلا بالسيد الصادق المهدى الذى كان فى ذلك الوقت بليبيا ووعدهما المهدى بالحضور إلى لندن ومقابلتى وذلك بعد أن رأى خطاب نميرى. وقد تم الاجتماع بينى والسيد الصادق المهدى صباح اليوم التالى بعد عودته من ليبيا) (٣٦).

ومنذ ذلك التاريخ استمرت المكاتبات بين نميرى و الصادق المهدى ما يقارب العام، وعندما علم أعضاء الجبهة الوطنية السودانية بموضوع المصالحة تعرض الصادق المهدى لنقد حاد من قبل الإتحاديين والأخوان المسلمين وذلك نسبة لاهمال الصادق لهم وعدم اخطارهم طوال ذلك الوقت(٣٧).

وفى أحد لقاءات نميرى الشهرية عبر التلفزيون قال جعفر نميرى " أن بعض الناس يتحدثون عن لقاء تم بينى وبين قيادة الجبهة الوطنية المعارضة .. وأنا هنا أريد أن أؤكد أننى على استعداد لمقابلة الشيطان طالما فى ذلك مصلحة السودان.

ولكن هذه المصالحة لم ترض طموحات قيادات الإتحاد الإشتراكى كذلك حيث تم عقد اجتماعات شتى لمعارضة هذا التوجه. وقد كان نميرى على علم بمخاوف قياداته وإجتماعاتهم غير أنه كان يرى أنها مخاوف مبالغ فيها.

أما رئاسة جهاز أمن الدولة وعلى رأسها عمر محمد الطيب فقد أبدى تأييدا مطلقا ومساندة كاملة للمصالحة الوطنية. وقدم الجهاز خدمات كانت ضرورية وأساسية لاستقرار العائدين خاصة أولئك الذين كانوا يقيمون فى معسكرات التدريب العسكرى بليبيا. ومن ثم تولى جهاز أمن الدولة بما يملكه من سلطات وصلاحيات أمر استقرار العائدين وذلك بارجاع الموظفين لوظائفهم اضافة إلى ايجاد وسائل كسب للعيش للعائدين من السياسين وغيرهم(٣٨).

ولكن يبدو ان هناك جهات اجنبية اخرى كانت لها أيادى فى تلك المصالحة.

ففى خطاب لنميرى عام ١٩٧٧م فى الاتحاد الاشتراكى وبوجود اندرويونق ممثل امريكا فى الامم المتحدة قال نميرى بالحرف الواحد " لقد اتصلت بى دول صديقة وشقيقة فى أن تتم مصالحة وطنية"(٣٩).

وهذا يعنى أن هناك تسوية سياسية يرتب لها. ومن بعدها مباشرة تم اللقاء بين الرئيس جعفر نميرى والسيد الصادق المهدى ببورتسودان.

ومن جهة أخرى قام فتح الرحمن البشير والذى تربطه علاقة وثيقة ببابكر، بزيارة إلى طرابلس التقىخلالها ببابكر كرار وتناقش معه فى أمر المصالحة الوطنية.

وقد كان رأى بابكر كرار أن المصالحة هى فى الحقيقة عبارة عن تسوية سياسية خارجية. ويقول الاستاذ بابكر كرار (لقد كتب لى الشريف حسين الهندى من السعودية بخط يده ان الملك فيصل قد عرض عليه التسوية، وإنه لابد من تسوية تتم لحفظ الدماء وأن تتم تسوية داخلية بين السودانيين والسلطة ولا داعى للصراع الدموى).

ويمضى بابكر كرار قائلا، "اننا ضد فكرة العنف والانتقام، ونخطئ ضربة الجزيرة أبا وتخطئ احداث ودنوباوى ومحاكمات يوليو، وتعتبر ان كل تلك الاحداث جاءت نتيجة لاخطاء سياسية وقد آن الاوان لأن تصحح من جذورها".

وأن ماحدث فى السودان اشترك فيه الكل، وأن كل مآسى السودان بما فيها انقلاب الخامس والعشرين من مايو سببها الأحزاب. واننا لم نكن فى يوم من الايام جزءا من النظام الحزبى، وغير مسئولين عن الخامس والعشرين من مايو ولذلك فإن مصلحة الشعب السودانى فى وحدة الشمال بأكمله، وهذا لا يتم الا بتسامح وببرنامج يوحد الشعب السودانى.

ويضيف، أن هذه التسوية جاءت من الدول الثلاث انجلترا السعودية ومصر فى الاساس، ومن ثم تفرض على الاحزاب التقليدية والشعب السودانى. وأن تكون الوسيلة لذلك السرية كما حدث فى اتفاقية اديس ابابا، كذلك تعطى التسوية سندا عسكرى بحيث تم طرد كل القوى التقدمية داخل القوات المسلحة مع ترك العناصر المتواطئة معهم.

ومن هنا نرفض تسوية الإنجليز والسعودية ومصر ونرفض أن تكون ليبيا طرفا فى التسوية لأن هذه مؤامرة على ليبيا وعلينا، فالمخطط العام هو أن تشرف

ليبيا على التسوية كما حدث فى اتفاقية اديس ابابا حيث جاء الإنجليز بالامبراطور هيلاسلاس ليكون راعيا لاتفاقية اديس ابابا بدون ان يكون له دور.

وكما أعطيت مصر مصالحها، وأعطيت قناة جونقلى وبعد ما أُكد للسعودية ضرب الشيوعية، تأتى ليبيا باعتبارها اتجاها عربيا وانها من ستقوم بتوحيد السودان شماله وجنوبه، وبما ان ليبيا خبرتها السياسية ليست كبيرة اضافة لعدم المامها الكافى عن السودان، فإنها قد تقبل هذا الدور من منطلق أن ذلك فيه خدمة للسودان.

اننا فى موقف لا يمكننا من الرفض بشكل نهائى لأن قوتنا ليست حاسمة نهائية. ولأننا نصارع امريكان وانجليز ونصارع دوائر رجعية سواء كانت أفريقية أو عربية أو سودانية، والصراع هنا يحتاج لضم جهود كثيرة ونشاطا أوسع حتى نكون مؤثرين فى عملية التسوية. ولكننا نعمل فى حدود امكانياتنا وطاقتنا فى إجراء تعديلات لمصلحة القوى التقدمية فى السودان .

لذلك فإننا نرى أن تكون هناك تسوية وطنية وأن تكون مفتوحة على أن ترعى انجلترا هذه التسوية وتلتزم بها هى نفسها لأنها الخصم بالنسبة لنا، وأن تلتزم انجلترا بالعمل الديمقراطى فى السودان، وأن لا تقوم بمؤامرات كما حدث فى عام ١٩٥٥م من وراء الجنوبيين، وما قامت به من مؤامرة كبيرة فى اتفاقية اديس ابابا. ذلك لأن المفاوضات التى تمت فى انجلترا بخصوص التسوية كانت سرية وان كل القيادات السياسية السودانية قد انتقلت إلى لندن منهم عن حزب الامة السيد الصادق المهدى ومن الاتحاديين السيد محمد عثمان الميرغنى بجانب قيادات من الاخوان المسلمين والجنوبيين. ومن رجال الدولة جعفر نميرى. الباقر، زيادة ساتى، زيادة محمد زيادة، عبد الله الحسن، اضافة إلى رجال الامن وغيرهم.

وأخيرا يذهب الاستاذ بابكر كرار إلى أن فكرة التسوية قديمة وقد بدأت بالخرطوم قبل ذهابهم إلى ليبيا. فقد وضح بعد اتفاقية اديس ابابا أن السودان لا يمكن حسم قضاياه الا بوحدة شعبية حقيقية. وطالما أن افكار الناس واحدة وقيمهم

واحدة وتصوراتهم واحدة، فلابد من توحد القاعدة الفكرية ليتوحد النضال السياسى حول القضايا الأساسية ومن ثم تتوحد الوسائل والادوات لحسم تلك القضايا.

وقد تم الاتفاق على ذلك ووقع ميثاق فى طرابلس ومضت عليه كل الأحزاب وينص الميثاق على وحدة الفكر والعمل والتنظيم، ولكن تخاذل الاحزاب واستجابتها للضغوط الاجنبية والحسابات الاجنبية، قد أدى إلى السير فى طريق غير طريقهم لمواجهة الشعب السودانى وهو طريق ملئ بالمسئوليات والواجبات(٤٠).

العودة إلى الخرطوم

فى سبتمبر ١٩٧٨م عاد بابكر كرار من ليبيا إلى الخرطوم ولكنه لم يعد بوصفه جزءاً من المصالحة الوطنية وانما عاد معارضاً كما كان.

وهناك اشارة لهذا الموقف، فقد كان من المفترض أن تكون عودته عن طريق السعودية الخرطوم، غير أن السفير السعودى بطرابلس قد وافق على اعطاء مجموعته تأشيرات للدخول إلى السعودية ترانزيت ما عدا بابكر كرار، مما اضطره للعودة عن طريق روما الخرطوم.

وفى الخرطوم حاول جعفر نميرى مقابلته أكثر من مرة ولكنه كان يقابل ذلك بالرفض ، مما أدى لتدخل الرشيد الطاهر بكر ليقوم بالوساطة بينهما. وقد تهرب بابكر كرار من المقابلة عدة مرات ولكن تحت ضغط والحاح الرشيد الطاهر تمت المقابلة. وقد بدأ المقابلة بابكر بقوله: " شوف يا نميرى لابد من أن نتفق أننا خصومك السياسيين ولا تظن أننى قد جئت لاترك افكارى ومبادئ لأن ما تقوم به خطأ " ودخل معه بعد ذلك فى مناقشات عن سياسات مايو، ولم يستطع نميرى الحصول على تنازل بابكر وانتهى اللقاء عند ذلك الحد.

ومن الآثار التى ترتبت على المصالحة الوطنية أن أجريت انتخابات لمجلس الشعب اشترك فيها المواطنون بلا تميز ترشيحاً وانتخاباً، فكان أن دخل بابكر كرار تلك الانتخابات مرشحاً بمدينة وادمدنى، ولم يكن هدفه كسب الانتخابات بقدر ما

كان يهدف إلى استخدام الانتخابات كمنصة للتحدث مع الجماهير وابراز افكارهم السياسية. وقد كان نشاطه عبارة عن حملة اعلامية مكثفة لمبادئه. ووجد تاييداً وقبولاً من قبل المواطنين نسبة لأنه كان يعبر عما يجيش فى صدورهم ولا يستطيعون البوح به(٤١).

وكان قد سبق تحذير لبابكر كرار من قبل الرشيد الطاهر بأن نميرى لن يسمح له بالوصول إلى مجلس الشعب. وهذا ما قد كان، فقد حدث تزوير فى نتائج الانتخابات أذت لسقوطه وفوز مساعد عبد الخالق بالرغم من وقوف أبناء مدنى بجانبه وفوزه فى الانتخابات. وفى سؤال لنميرى عن هذا التزوير قال "وما الغريب فى ذلك فإن كل الحكومات تقوم بالتزوير، ثم أن بابكر قد أخذ فرصته بحرية تامة وشتمنا كما يريد".

ومهما يكن الامر فقد ظل الصراع بين الرجلين إلى ان انتقل بابكر كرار إلى رحمة مولاه.

مراجع الفصل الرابع

١. تشايليدز، أيرسكين. الحقيقة عن العالم العربى. ــ مصدر سابق. ــ ص ٨٠.
٢. ــــــــــــ . المصدر السابق. ــ ص ٨١.
٣. كريم مروة. "كلمة فى ملتقى الفكر العربى بالخرطوم في الفترة من ١٥-٢٢ مارس١٩٧٠م.
٤. فوزى الكيالى. كلمة فى ملتقى الفكر العربى بالخرطوم فى الفترة من ١٥-٢٢ مارس ١٩٧٠.
٥. بابكر كرار. كلمة فى ملتقى الفكر العربى بالخرطوم فى الفترة من ١٥-٢٢ مارس ١٩٧٠م
٦. ميرغنى النصرى. مبادئ القانون الدستورى والتجربة الديمقراطية فى السودان. ــ مصدر سابق. ــ ص ٣٥٥.
٧. بابكر كرار. ميثاقنا والنهوض الثورى ببلادنا. ــ ط٢. ــ ١٩٨٦م. ــ ص ١٦٤.
٨. ميرغنى النصرى. (مقابلة شخصية معه بمنزله بالطائف يوم ٢٠٠٤/٧/٦).
٩. بابكر كرار. نظرات فى التنظيم العمالى الجديد. ــ الخرطوم : المطبعة الحكوميةن د.ت. ــ ص (ب).
١٠. ــــــــــــ . المصدر السابق. ــ ص٢.
١١. الحزب الاشتراكى الاسلامى (السودان). ماذا بعد الحل : بيان . ت ١٦ نوفمبر ١٩٦٥م.
١٢. ــــــــــــ . أضواء حول الميزانية الجديدة : بيان. ــ ٢٧ سبتمبر ١٩٦٦م.
١٣. ــــــــــــ . الازمة الراهنة أزمة قيادة سياسية : بيان. ــ ١٩٦٦/١٢/٢١م.
١٤. بابكر كرار. كلمة فى ملتقى الفكر العربى بالخرطوم فى الفترة من ١٥-٢٢ مارس ١٩٧٠م.
١٥. ــــــــــــ . (مخطوطة لم تنشر، بدون عنوان أو تاريخ).
١٦. محمد إبراهيم نقد. "كلمة فى ملتقى الفكر العربى بالخرطوم فى الفترة م ن ١٥-٢٢ مارس ١٩٧٠م.
١٧. مصطفى أبو العزائم. (مقال بجريدة الوطنى يوم ٢٠٠٢/٤/٢٤)
١٨. بشير إبراهيم اسحق. (مقابلة شخصية معه بمنزله بالخرطوم يوم ٢٠٠٢/٣/٢).
١٩. جعفر محمد نميرى. (مقابلة شخصية معه بمكتبه بشركة نميرى للتنمية والاستثمار المحدودة ببحرى يوم ٢٠٠٢/٣/١٣).

٢٠. بابكر كرار. ميثاقنا والنهوض الثورى ببلادنا. ـ مصدر سابق. ـ ص ٤٢-٤٣.
٢١. بشير إبراهيم إسحق. ـ مصدر سابق.
٢٢. بابكر كرار. ميثاقنا والنهوض الثورى ببلادنا. ـ مصدر سابق. ـ ص ٢٣.
٢٣. بشير إبراهيم إسحق. ـ مصدر سابق.
٢٤. عمر نور الدائم. (مقابلة شخصية معه بمكتبه بدار حزب الأمة بأم درمان يوم ٢٠٠٢/٥/١٣.
٢٥. مجدى سليم عبد الله. مصدر سابق. (مقابلة شخصية معه منزله بمدنى يوم ٢٠٠٤/٣/٢٨).
٢٦. عمر نور الدائم. مصدر سابق.
٢٧. مجدى سليم. مصدر سابق.
٢٨. عمر نور الدائم. ـ مصدر سابق.
٢٩. مجدى سليم. ـ مصدر سابق.
٣٠. عمر نور الدائم. ـ مصدر سابق.
٣١. مجدى سليم. ـ مصدر سابق.
٣٢. ــــــــ . المصدر السابق.
٣٣. عمر الحامدى. (مقابلة شخصية معه بمكتبه بالسفارة الليبية بالخرطوم يوم ٢٠٠٤/١١/١٣).
٣٤. مجدى سليم. مصدر سابق.
٣٥. سمية سيد. المصالحة الوطنية. ـ الخرطوم : دار السودان الحديثة، د.ت. ـ ص ٢٥-٢٦.
٣٦. فتح الرحمن البشير. ـ مصدر سابق.
٣٧. سمية سيد. ـ مصدر سابق.
٣٨. ــــــــ . ـ المصدر السابق.
٣٩. مجدى سليم. ـ مصدر سابق.
٤٠. بابكر كرار. التسويات : مادة مسجلة. ـ طرابلس، ١٩٧٧م.
٤١. بشير إبراهيم إسحق . ـ مصدر سابق.

الفصل الخامس

بابكر كرار وقضايا الثورات الثلاث
السودانية، العربية، الأفريقية

المبحث الأول

قضايا الثورة السودانية

تناول الاستاذ بابكر كرار الكثير من قضايا الثورة السودانية التي عاشها الشعب السوداني منذ فجر الاستقلال وحتى حكومة ٢٥ مايو ١٩٦٩م مساهما في تطوير وتقدم الحركة الوطنية السودانية وطارحا في نفس الوقت الحلول العملية والبديلة التي يراها لكل مشاكل وقضايا الشعب الملحة.

ونعرض فيما يلي نماذج من هذه القضايا:

أولاً: الثورة المهدية

يرى الأستاذ بابكر كرار أن حركة الثورة المهدية هي إلى حد ما، حركة طلابية لانها تعبر عن ثورة الطلاب الذين تلقوا تعليمهم وثقافتهم في الخلاوي والطرق الصوفية. وتلك هي المؤسسات التعليمية والتربوية التي كانت منتشرة في السودان.

لقد ثار محد احمد المهدي ومن معه ضد افكار وقيم اجتماعية سائدة عند بعض العلماء. ونجد ذلك واضحا في منشوراته إلى علماء السوء الذين اتخذوا غردون اماما.

وايضا في المجادلات التي كانت بينهم - باعتبار ان هناك علماء اشتروا الدنيا بالاخرة وارتبطوا بالمؤسسة الحاكمة القائمة وبالمصالح السائدة في المجتمع(١).

لقد كانت الثورة المهدية من اكبر الثورات الشعبية الظافرة فى القرن التاسع عشر فكراً ونضالا وتطلعا وانجازا. وان الشعب السودانى فى تكوينه الحديث هـو ثمرة هذه الثورة الكبرى التى قامت على الايمان بالله ورفع رآية الجهاد والاستشهاد من اجل تغيير حالة الخنوع والاستسلام(٢).

وان ثورة المهدى تقف فى طليعة التـراث الانسـانى الملـئ بالمجاهـدات الانسانية والذى تغذية القومية السودانية.

ذلك لان ثورة المهدى فى حقيقتها دعوة للقرآن الكريم ولم تكن ثورة عمياء إلى سفك الدماء بل كانت دعوة إلى تحرير النفس وإلى تحرير الأوضاع الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وصياغتها صياغة اسلامية جديدة. فهى اذا ثورة انسانية لـم تعرف قبيلة دون قبيلة ولا امه دون امة وانما كانت دعوة انسانية تخترق الحـواجز القبلية والحدود الاقليمية لتجمع الناس جميعا فى امة واحدة وقلب واحد.

والشعب السودانى لا يعرف تراثا انسانيا رفيعا حافلا بالمجاهدات الانسـانية وغنيا بالدراسات الانسانية والفتوحات النفسية غير دعوة الامام المهدى فى جهـادة وابتلائه وانتصاراته فدعوة الامام المهدى منتزعة من اعماق هذا الشعب ونفسيته.. ومن عقيدته .. ومن تقاليده ومن صميم واقعه السياسى والاقتصادى والاجتمـاعى . ومن ثم استجابت له القبائل وتوحدت من حوله فى امة واحدة ولأول مرة فى تاريخ السودان.

كانت الدعوة المهدية ومازالت هى "قلب" هذا الشعب ومفتاحه ولـن تفهـم خصائص هذا الشعب وتكوينه النفسى الا من وعى الدعوة المهدية وادركها ادراكـا صحيحا وسليما.

نعم سالت فى دعوة المهدى دماء كما سالت فى مسيرة الـدعوة الاسـلامية الأولى دماء. وأين دعوة السلام التى لم تسل فى غضونها الدماء.. لقد ظهـر فـى منتصف القرن المتمم للعشرين من يدعو للكفاح السلمى ومقابلـة القـوة بـاللين..

والحرب بالسلام ومع ذلك فلم تكف الدماء من ملاحقته اينما وضع رجلاً على بقعة من الارض. واخيرا سفك دمه هو وعلى يد احد أصحابه وطائفته ومات غاندى مضرجًا فى دمائه.

إن دعوة السلام لا تعنى اطلاقا تمجيد الاستعمار ومهادنة الاحتلال ومعاونة سدنة الاستغلال والاسترقاق . لقد اندلعت دعوة المهدى سلاما للانسانية لانها نبعت من دعوة الاسلام ولكنها اندلعت ثورة حمراء على قوى الاحتلال والاستعمار والاسترقاق ولذلك سفكت الدماء، دماء اعداء الانسانية الذين سفكوا دماء الملايين فى ظلمات التاريخ وما زالوا يسفكونها إلى كتابةهذه السطور وما بعد كتابة هذه السطور.

اننا عندما نتحدث عن المهدية لا نتحدث إلى طائفة دون اخرى ولا إلى رجال دون رجال وانما نتحدث إلى هذه الامة جمعاء التى جاءت الدعوة المهدية من اعماقها ومن صميم واقعها.

اننا نفهم لماذا حاول الاستعمار ان يغض من دعوة الامام المهدى ومن امجاد هذا الشعب ومن تراثه القومى الثورى .. إننا نفهم جيدا ولا نستطيع ان نفهم للاستعمار البريطانى اتجاها غير هذا الاتجاه . ولكننا نستغرب من هذه الاصوات النشاز التى لا تذكر دعوة المهدى وتراثنا القومى الثورى الا وتلطخه بعبارات من الافك والافتراءات(٣).

ويقول الاستاذ بابكر كرار ان ثورة المهدى كانت تندلع وتسير فى خط مضاد للاتجاه العالمى فى ذلك العصر – ومن ثم فهى ثورة عامة ملتهبة على قوى الاحتلال والاستعمار وخطراً داهما على الامبراطوريات المتسعة وعلى رأسها الامبراطورية البريطانية التى لا تغيب الشمس عن ممتلكاتها.

ولا نريد أن نمحص ونتابع حقيقة الدوافع التى جعلت الاستعمار فى السودان يكبح بقوة اى اتجاه لدراسة الثورة الشعبية بقيادة الامام المهدى دراسة

موضوعية علمية، وينشط فى وضع برامج دراسية ونشر ثقافة معينة تشوه هذه الثورة وتلطخها بالكذب والافتراء بغير بينة ولا حياء .

ولكننا نكتفى هنا باتيان بعض الحقائق عن ثورتنا الكبرى التى تفضح عن خسة الاستعمار وبرامجه الدراسية وثقافته الحقيرة المتداعية التى ما زالت تهيمن على مدارسنا وعلى رؤوس الكثير من المتعليمن والخريجين.

والحقيقة الكبرى الاساسية ان تاريخنا القومى الثورى الحى ومجاهدات شعبنا الامامية المجيدة تبدأ وترتفع وتتسع وتتركز اساسا فى دعوة الامام المهدى وثورته وهذه الحقيقة تنطوى على عدة معانى سياسية خطيرة:-

- إن وحدتنا القومية كحقيقة واقعية وكوسيلة عملية لمقاومة قوى الاحتلال والاستعمار لم تعرفها بلادنا الا مع ثورة الامام المهدى. فعلى يد الامام المهدى اجتمعت القبائل لأول مرة فى امة واحدة، وعلى يديه دخل شعبنا التاريخ كأمة واحدة. فمنابع وحدتنا القومية ما زالت فى منابع دعوة الامام المهدى وهذه حقيقة تاريخية لمن يمؤمنون بقيمة التاريخ .
- ان ثورة الامام المهدى كانت نتيجة اساسا وفى كليتها لتعبئة الشعب السودانى تعبئة عقدية واقتصادية واجتماعية وسياسية لمقاومة قوى الاحتلال والاستعمار.. رفع رأية الجهاد لتحرير العالم الاسلامى من الظلم والاستعمار.

هذه مقدمات لابد منها. فلابد من وضع ثورة المهدى فى وضعها الاصيل واثبات قيمتها الحيوية فى تاريخنا وواقعنا الماثل الملموس قبل استعراض اى تفصيل من تفاصيلها أو جزء من جزئياتها.

ولاشك ان دعوة المهدى ما زالت مجهولة مطمورة لا من أوساط عامة الشعب بل فى محيط المثقفين والخريجين بل وحتى مدرسى التاريخ فى مدارسنا. وقد كان السبب واضحا يفقأ العين وهو الكبح الاستعمارى وها هو

الاستعمار قد اخذ فى التناثر والتبدد والفناء فعلى طليعة المثقفين أن يحضروا وينقبوا عن منابع ثورتنا الكبرى وان يزيلوا عنها الاتربة ويهتكوا عنها الاستار.

إن هذا التاريخ قوة ضخمة وسلاح رهيب فى تدعيم وحدتنا القومية وتحررنا وتحقيق شخصيتنا الاصيلة بين الشعوب.

إننا نطالع بين الفينة والفينة فى صحافتنا المحلية موضوعات عن تراثنا القومى ولكنها تعالج بأقلام مرتعشة ورؤوس ملتوية وهذا اثر واضح من آثار الثقافة الاستعمارية الملتوية المتداعية والكبح الاستعمارى.

أين التحرر؟ واين الاحرار اذا لم تقو اقلامنا وتستقيم سطورنا ونحن نعالج تاريخ آبائنا واجدادنا الذى سجلوه باموالهم واعصابهم ودموعهم.. سجلوه بالتضحية والثبات والدماء.. سجلوه ضد قوى الظلم والاحتلال والاستعمار سجلوه فى سبيل بناء مجتمعنا على دعائم راسخة من الايمان والاخوة والكفاح فى الحياة(٤).

ثانياً: جنوب السودان

يقول الاستاذ بابكر كرار.. ان قضية الجنوب فى جوهرها وعل مستوى الجماهير الشعبية هى قضية التخلف بسبب الجغرافيا والتاريخ. إنها ليست قضية عنصرية ولا قضية عرقية ولا قضية تفاوت فى الحضارات والثقافات ، وإنها ليست قضية ظلم اقترفة الشماليون ضد الجنوبيين كما يزعم الاستعماريين وركائبهم فى المؤسسات التبشرية المسيحية الاستعمارية.

ومن هذا المنطلق فإن قضية الجنوب هى امتداد لقضايا الثورة السودانية التى تستهدف استخلاص الارادة الوطنية من كل الضغوط الاجنبية المباشرة وغير المباشرة وتحقيق مصالح الجماهير العريضة فى الحرية والتقدم والوحدة.

يجب ننبذ الطرح الاستعمارى لقضية الجنوب وتحرير ابناء الجنوب من سيطرة الثقافات الاستعمارية التى جلبت اليهم البؤس والموت ولم تفتح لهم ابواب

التحرير والوحدة والامل. بل اتخذت من بعضهم ادوات لخدمة الاهداف الاستعمارية المعادية لكل اهداف قارتنا الناهضة ولعرقلة تطور الاقتصاد السودانى ولاضعاف الاستقلال الوطنى والسيادة القومية .

يجب طرح قضية الجنوب طرحا موضوعيا وثوريا يعبر عن تحرر الفكر السودانى والارادة السودانية السياسية من سيطرة النفوذ الاستعمارى. يجب طرح كل مشاكل الجنوب فى إطار مهام الثورة السودانية باعتبارها قضية تخلف، بسبب الجغرافيا والتاريخ وبسبب السياسة البريطانية الاستعمارية التقليدية التى كانت تقوم على تمزيق وحدة الشعوب وحرمانها من فرصها الجغرافية والحضارية فى التحرر والتقدم. وذلك بتزييف الحقائق التاريخية وتربية الشعوب على روح القبلية والعشائرية مما يؤدى بها إلى الانغلاق الفكرى والجمود الاجتماعى والعزلة عن معطيات الحضارة وحركة التاريخ.

وقضية الجنوب فىالاساس هى قضية التخلف والعزلة بسبب التاريخ والجغرافيا ثم تحولت إلى قضية الغزو البريطانى ثم إلى قضية التدخل الاستعمارى الاجنبى المسلح فى بلادنا.

لقد عزلت السدود فى مجرى النيل والمستنقعات الواسعة الانتشار وكثافة الاحراش والأوبئة مناطق شاسعة فى الجنوب عن المناطق الاكثر تقدما. ومن ثم عزلت الجنوب عن العالم كله.. وبقيت القبائل الجنوبية فى تلك المناطق الشاسعة قرونا طويلة فى عزلة تامة عن بعضها بعضا ومنعزلة جميعا عن الشمال.

واذا كانت قضية الجنوب فى جوهرها قضية تخلف فإن الادعاء بأنها قضية الفوارق العنصرية والحضارية فيه من السفه اكثر مما فيه من السخف، ولكنه سفه ادى فى الماضى إلى مآسى دموية ذهبت ضحيتها ارواح عزيزة من ابناء شعبنا فى الجنوب والشمال واكتوت بها جماهير عريضة بؤسا وضياعا رجالا ونساء واطفالا فى الجنوب والشمال على السواء.

واليوم تجتاح الجنوب المجاعات القاتلة وتمتد المجاعات إلى الغرب وتشتد وطأة البؤس على كل جماهير الشعب السودانى ومازالت الدوائر الاستعمارية والكنسية ترفع رآية الفوارق العنصرية والحضارية لتحطيم قدرات الشعب السودانى وتبديد كل فرص وحدته ونهوضه وتقدمه.

وموقفنا الفكرى والنضالى فى القارة الافريقية يتبلور ويتحدد على نحو قاطع فى موقف عجزنا من قضية الجنوب. فلو عجزنا عن تفهم قضية الجنوب فنحن اعجز فهما لكل قضايا القارة الافريقية التى تقع فى وسط القارة وجنوبها وشرقها.

ولو عجزنا عن تفهم قضية الجنوب فإن الامة العربية كلها اعجز عن تفهم قضايا الشعوب والاقطار الافريقية.

ان قضية الجنوب هى قضية "اختبار" بقدر ما هى قضية مصير. ونحن لا نستطيع ان نخطو خطوة راشدة وظافرة خارج حدودنا إن لم نستطع ان نحقق النصر الشامل والنهائى لهذه المنطقة التى تكتوى بويلات الجغرافيا والتاريخ وفساد العناصر الطفيلية والانتهازية.

اننا مطالبون بالاعتراف بأننا فى هذه القضية ننطلق من الفشل. وحتى نبدأ من جديد.

- يجب نبذ الماضى بكل سلبياته والعمل بوعى وبروح المسئولية للنهوض بأبناء الجنوب فكرياً وروحياً وخلقياً ونضالياً واقتصادياً واجتماعياً وان نبذل فى سبيل ذلك كلما نستطيعه ونملكه من قدرات فالاقربون أولى بالمعروف.
- ان استنهاض القاعدة الشعبية كلها ثوريا يتحقق بثورة فكرية وخلقية فى قيادة العمل السياسى أولا وقبل كل شئ إن فاقد الشئ لا يعطيه.. ولا يمكن لقيادة الثورة السودانية ان تستنهض الجماهير السودانية كلها الا اذا استطاعت ان تكتشف مواقع الضعف والنقص فى تكوينها الفكرى والنضالى

والتنظيمى وان تستكمل مواقع الضعف والنقص بروح المسئولية والمعاناة الفكرية والاستعداد للبذل والتضحية ونكران الذات(٥).

ثالثا: الجنوب واتفاقية اديس ابابا

لقد واجهت مشكلة الجنوب كل الحكومات المتعاقبة على السودان وبذلت جهودا عملية لحل هذه المشكلة بدءاً بتوصيات مؤتمر جوبا "يونيو ١٩٤٧" واقتراحات مجلس النواب "ديسمبر ١٩٥٥" والحلول التى تمخض عنها مؤتمر المائدة المستديرة وقرارات لجنة الاثنى عشر "مارس ١٩٦٥" ثم كانت اتفاقية اديس ابابا فى فبراير ١٩٧٢م والتى ابرمت فى عهد جعفر نميرى كحل لمشكلة الجنوب.

وقد كان من اهم بنود هذه الاتفاقية الاتفاق على وحدة السودان ومبدأ الحكم الذاتى الاقليمى كأساس لاى حوار .

وعلى الرغم من الترحيب الذى وجدته اتفاقية اديس ابابا داخليا وخارجيا فقد كان للاستاذ بابكر كرار رأيا مغاير لهذه الاتفاقية.

وفيما يلى نتعرف على رأيه فى تلك الاتفاقية حيث يقول:- فى البدء يجب التفريق بين اتفاقية اديس ابابا والحكم الذاتى كشكل ادارى.

- ان القوى التى احتشدت فى اديس ابابا كانت كلها قوى اجنبية تتبلور فىالاساس فى الدوائر الإنجلو امريكية الاسرائيلية
- ان الشعب السودانى كله.. كان غائبا تحت وطأة القمع الدموى والمعتقلات والتشريد والتجسس والتعتيم الاعلامى.
- وفى غيبة الشعب السودانى وقع الرئيس جعفر نميرى على الوثيقة التى قام بتحضيرها وصياغتها سير "دنقل فوث" البريطانى.

لذلك فالاتفاقية هى وثيقة سياسية .. "برنامج سياسى" تهدف إلى تحطيم الكيان العربى الاسلامى فى السودان ومن ثم تصفية القاعدة الروحية والنضالية التى ترتكز عليها الحركة الاستقلالية الثورية فى البلاد.

وان الاتفاقية هى " الحل" الإنجلو امريكى الاسرائيلى لما يجب ان يكون عليـــه التكوين القومى فى السودان والاطار الذى يجب ان يدور فى نطاقه الســـودان. وان الذين حاولوا ان يفهموا اتفاقية اديس ابابا فى النطاق الضـــيق وبـــالنظرة المحليـــة المغلقة سقطوا فى الغموض والتناقض والاضطراب.

فالاتفاقية مشحونة بروح العداء والحقد على الشعب الســـودانى والتـــآمر علـــى وحدته ومقومات حريته وتقدمة.

هذا عن اتفاقية اديس ابابا. اما عن الحكم الذاتى الاقليمى :-

أولا: ان الحكم الذاتى الاقليمى يتخذ عدة اشكال ولا ينطوى على شكل واحد.

ثانيا: ان اتفاقية اديس ابابا توارت وراء ما يسمى بالحكم الذاتى الاقليمـــى.. وتـــري الدوائر الإنجلو امريكية الاسرائيلية ان تتخذ من الحكم الذاتى الاقليمى أداة لتحقيـــق اهدافها الاستعمارية والصهيونية(٦).

ويمضى الاستاذ بابكر كرار قائلا:

ان اتفاقية اديس ابابا قد اتسمت بالسرية. فالمحادثات الأولى كانت فى لندن وفى اديس فى نهاية ١٩٧١ كانت سرية والتحضير لمؤتمر اديس كان كله سريا.. والحشد الاستعمارى العالمى لكل المؤسسات والهيئات والوفود والشخصيات كان حشدا سريا والجلسات والمباحثات كانت مغلقة وسرية.. ومحاضر الجلسات والوثائق التى سبقت انعقاد المؤتمر والاتفاقيات والبروتوكلات التى وقع عليها اللواء جعفر نميرى كانت ومازالت سرية المنشورات المالية البالغة الخطورة التى صدرت من وزارة المالية إلى الجهات الحكومية المتعددة بعد تخلف وعود الدوائر الغربية والامريكية والهيئات المسيحية التبشيرية ما زالت كلها سرية.

والسرية هنا على الشعب السودانى وحده.. وعلى كافة مستويات مسئولياته العسكرية والقضائية والادارية والمالية والسياسية.

ولم يصدر من الاتفاقية الا ذلك القدر الذى صدر بأوامر جمهورية والذى وضع موضع التنفيذ الفورى.

وبقيت كل وثائق اتفاقية اديس ابابا سرية على الدول العربية وان هذه الوثائق كانت تحت يد النظام الامبراطورى الاثيوبى وهى اليوم تحت يد الدوائر الإنجلو امريكية الاسرائيلية ومجلس الكنائس العالمى الوثيق الصلة بهذه الدوائر. وقد كان الغرض من السرية فى المرحلة الأولى هو مفاجأة الرأى العام السودانى وصدور الأوامر الجمهورية تباعا دون متابعة ودون مراقبة ودون مراجعة من الرأى العام السودانى.

والسرية فى المرحلة الثانية كانت لاخفاء الاهداف السياسية الاجرامية البالغة الخطورة من وراء الاتفاقية والتى تكشفت بوضوح فى التغييرات الاساسية والجذرية فى اهداف السياسة الخارجية ووسائلها وادواتها.. وفى الدستور الجديد وفى هذه المرحلة رفع شعار " الوحدة الوطنية" لارغام الشعب السودانى كله على ممارسة العمل السياسى فى اطار " قواعد اللعبة" وذلك بقبول الامر الواقع الجديد وهو " التركيبة الاجتماعية والقومية" على نحو مشابه للتركيبة الاجتماعية والقومية للمجتمع فى لبنان والوضع الدستورى فى لبنان.

لكل ذلك يرى ان الثورة الشعبية السودانية على مختلف مستوياتها مطالبة برفض التعتيم الاعلامى.. والمطالبة بطرح كل وثائق ومحاضر واتفاقيات اديس ابابا على الرأى السودانى كله(٧).

ويذهب الاستاذ بابكر كرار إلى القول: بأن فصل الجنوب لم يكن واردا فى المخططات الاستعمارية وابعد ما يكون ورودا فى اتفاقية اديس ابابا، ذلك لان الدوائر الاستعمارية تستهدف تحطيم الكيان العربى الاسلامى فى السودان ويكون ذلك باحتواء هذا الكيان أولا ثم تحطيمه ثوريا وقوميا.

ثانيا: ان الدوائر الاستعمارية والاسرائيلية تريد ان تتخذ من الجنوب أداة لهذا الاحتواء أولا.. آداة لتحطيمه ثانيا.

ويقول الاستاذ بابكر كرار : ان هناك اخطاء شائعة كثيرة فى السودان تجاه قضية الجنوب منها.

- الخلط بين القومية وبين العنصرية. وفى افريقيا يحاول الاستعماريون دائما ان يطرحوا العنصرية فى مكان القومية. فالعنصرية فى أوربا تستخدم ضد السامية وفى طليعتها الامة العربية .. وفى الولايات المتحدة الامريكية تستخدم العنصرية ضد الزنوج وفى افريقيا تستخدم العنصرية ضد الاغلبية فى روديسيا وجنوب افريقيا وفى إثارة الزنوج ضد العرب. وفى الوطن العربى تستخدم العنصرية ضد العربى ومن اجل توطيد الغزو الصهيونى فى فلسطين وطرد العرب الفلسطينين من وطنهم وهكذا نجد ان رآية العنصرية تستخدم حيثما ارتفعت فى مصلحة الاستعمار والصهوينية. ومن الاخطاء الشائعة ان الجنوب لا يحتوى الا قبائل زنجية وهذا خطأ كبير فالجنوب يحتوى قبائل حامية وهى الدينكا والشلك والنوير وهى القبائل النيلية التى تشكل اغلبية سكان الجنوب وتملك اكثر من نصف الثروة فى الجنوب.

ومما يزيد الطين بلة أن المثقفين السودانيين على وجه عام ينظرون إلى الجنوب نظرة عنصرية اى بنفس المنظار الاستعمارى فيخطرف كثير من المثقفين السودانيين عن الشمال العربى المسلم وعن الجنوب الزنجى الوثنى.

وهذه النظرة الجامدة الرجعية سقطت فيها الدوائر الحاكمة فى الاحزاب التقليدية بعد الاستقلال وعلى وجه خاص بعد ثورة اكتوبر وسقط معهم فيها الشيوعيون تحت تأثير الضغط الاستعمارى والتبشيرى. وهذه النظرة الجامدة الرجعية هى التى تتخذ من الاختلافات فى البيئة واللون والعادات أداة للتصادم

والتنازع والتناحر والفناء بدلا من ان تتخذ من الاختلافات أداة للتمازج والتطور والتكامل والنماء(٨).

ومن الواضح ان الاتفاقية لاتهدف إلى وحدة ابناء الجنوب ذلك لانها لم تتصد إلى القضايا الاساسية فى الجنوب .. قضايا التخلف والخلافات القبلية والعشائرية وانما عمدت الاتفاقية إلى توحيد النظام السياسى فى الجنوب وفرقة "كوادره" من اجل هدف واحد.. هو تصعيد روح الكراهية والعداء لابناء الشمال واجلائهم بالقوة من الجنوب وتحويل الجنوب إلى بؤرة للتآمر الاستعمارى ضد القوى التقدمية والسياسية والاقتصادية التى تربط بين الجنوب والشمال فى كيان قومى واحد(٩).

ومن خلال الاتفاقية سعى الاستعمار العالمى واسرائيل وادواتها المتمثلة فى مجلس الكنائس العالمى ان يفتعلوا لسكان جنوب السودان حيث الفراغ الحضارى.. وعلى قبائل جنوب السودان العشائرية قومية واحدة ولغة واحدة " الإنجليزية ودين واحد "المسيحية" بهدف احتواء الشمال العربى سياسيا وعسكريا وذلك بإنشاء قومية مصطنعة لمواجهة القومية العربية فى السودان تتخذ أداة للعدوان عليها ويتخذ من الجنوب قاعدة عدوانية للانطلاق ضد بقية السودان واستعماله كحاجز عازل لامتداد الوجود العربى والاسلامى فى القارة الافريقية.

ان اتفاقية اديس ابابا تكشف فى حد ذاتها عن ادراك الاستعمار العالمى واسرائيل خطورة زحف القومية العربية فى افريقيا وفى السودان بالذات لموقعه الفريد كحلقة وصل وتفاعل حضارى بين القومية العربية فى افريقيا ومناطق جنوب الصحراء والجبهة الجنوبية المتحركة للامة العربية تنتقل عبرها إلى جنوب وشرق وغرب افريقيا المؤثرات الحضارية العربية إلى شعوب افريقيا(١٠).

ولان الهدف من الاتفاقية هو تحطيم الكيان العربى الاسلامى فى القارة الافريقية وتصفية الثورة العربية فقد تم عزل الدول العربية والاسلامية عن

المشاركة فى هذه الاتفاقية، ولكن إلى اى مدى تؤثر اتفاقية الديس ابابا على مسار الثورة الشعبية فى السودان.

وهنا يمكن القول بطمأنينة تامة بأن اتفاقية اديس ابابا قد ساهمت بدور اساسى فى توحيد الشعب السودانى وحركته الشعبية الثورية. والتحرك الطلابى التاريخى الباسل المعروف " باحداث شعبان" هو التعبير الاقوى عن وحدة الثورة الشعبية السودانية وهى الاثر المباشر لاتفاقية اديس ابابا.

وهناك الكثير من طلائع ابناء الجنوب تقف ضد الاتفاقية لاسباب كثيرة أهمها.:-

أولا: ان طلائع ابناء الجنوب هم جزء لا يتجزأ من الشعب السودانى ومن حركة نضاله ضد الاستعمار والتخلف . وهم امتداد لنضال ابناء الجنوب البطولى فى الثورة المهدية وفى ثورة ١٩٢٤ القومية الوحدوية بقيادة البطل القومى على عبد اللطيف وهو من صميم ابناء الجنوب.

ثانيا: ان الاتفاقية قد فرضت على ابناء الجنوب حكومة طائفية عنصرية من الطغمة التى كانت ترتبط طوال تاريخها بالتيارات الرجعية والاستعمارية.

ثالثا: لقد عزلت الاتفاقية القوى الوطنية والوحدوية والتقدمية عن المشاركة فى القيادة السياسية والسلطات الاقليمية.

رابعا: ان الحكومة الاقليمية تتجه نحو مزيد من الارتباط بالدوائر الاستعمارية والمؤسسات الامريكية بغرض تعزيز الجبهة الرجعية من ابناء الجنوب واستبدالهم بصغار التجار من ابناء الشمال وانشاء طبقة جديدة من البرجواية الصغيرة (١١)

حول استراتيجية جديدة للعلاقات المصرية السودانية فى ضوء اتفاقية اديس ابابا.

إن الهدف الاساسى من الاتفاقية هو تغيير الواقع السودانى الا ان الاهداف العليا والبالغة الاهمية والخطر من وراء الاتفاقية هو تطويق مصر العربية الاسلامية من الجنوب قوميا ودينيا وسياسيا ومن ثم ارغام القيادة السياسية فى

القاهرة على التراجع وقبول الحلول الامريكية الاسرائيلية لقضايا المجتمع المصرى والشرق الأوسط.

والوسائل الاساسية لتحقيق الاهداف العليا فى الاتفاقية تتبلور على النحو التالى:-

- **أولا:** تحطيم الكيان العربى الاسلامى فى السودان وبعبارة اخرى تحطيم مقومات القومية العربية فى السودان.
- **ثانيا:** نقل مركز الثقل إلى الجنوب
- **ثالثا:** جعل طريق التطور السياسى والاجتماعى فى السودان متعارضا مع القاهرة.
- **رابعا:** إنشاء مؤسسة سياسية جديدة معادية للقاهرة.

ويمكن التعرف على هذه الوسائل الاساسية بسهولة من نصوص الاتفاقية وملحقاتها " القوانين الاربعة " التى صدرت بأوامر جمهورية بعد التوقيع على الاتفاقية والتى جاء الدستور الجديد متضمنا وضامناً لها.

- **أولا:** فيما يتعلق بتحطيم الكيان العربى الاسلامى فإن اتفاقية اديس ابابا ترفض الانتماء السودانى إلى الامة العربة وتقوم على اساس ان السودان موطن "لقوميات عديدة وان القومية العربية هى احدى هذه القوميات.. وانها ليست الاكثر عددا وليست هى القومية الاكثر نفوذا.

كما ان الامر الجمهورى الذى صدر فى صورة "قانون الحكم الاقليمى الذاتى" للجنوب يهدف إلى صناعة قومية زنجية ووطن زنجى وكيان سياسى مستقل لهذه القومية وذلك بالنص فى هذا القانون علىالاتى:

- جمع المديريات الجنوبية الثلاث فى كيان اقليمى واحد يسمى الاقليم الجنوبى.
- جعل جوبا عاصمة هذا الاقليم.
- جعل اللغة الإنجليزية هى اللغة الرسمية ولغة الكنيسة.

- جعل المسيحية هى الدين الرسمى فى الجنوب
- جعل الاحد هو العطلة الرسمية والاعياد المسيحية هى الاعياد الرسمية
- قيام برلمان وحكومة فى الجنوب على اساس عنصرى بحت وحرمان الشماليين من المشاركة فى الحكم الاقليمى.
- وضع كل سلطات التعليم وخطط التنمية وتنفيذها ومتابعتها فى يد الحكومة الاقليمية كما جعل الاعلام مستقلا فى الجنوب.
- اجلاء كل الشماليين من الجنوب اجلاء تاما وفوريا
- اعطاء الحكم الاقليمى الحق فى "تجارة الحدود" اى التجارة الدولية عن طريق وسط وشرق افريقيا وميناء مومباسا.
- قيام تنظيم سياسى مستقل عن التنظيم السياسى فى الشمال.
- جعل ميناء مومباسا هى الميناء الرئيسية للاستيراد للجنوب بدلا من ميناء بورتسودان
- النص فى الاتفاقية على اجراء استفتاء فى الاقاليم المجاورة للاقليم الجنوبى فى شرق السودان وغربه لتقرير مصير السكان فى هذه الاقاليم اما بضمهم للاقليم الجنوبى أو للاقليم الشمالى وهذا يعنى تقرير مصيرهم العربى بعبارة اخرى.

بما أن الاتفاقية قد حققت اجلاء العرب المسلمين فى المديريات الثلاثة فإن مجلس الكنائس العالمى قد نقل نشاطه على نحو ضخم وكثيف فى منطقة جبال النوبة وشرق السودان بغرض ضمان انتصار المسيحية والتعبئة العنصرية عندما يجرى الاستفتاء المنصوص عليه فى الاتفاقية.

كما تبين ان الهجرة العظمى لابناء الجنوب لم تكن إلى خارج السودان وانما كانت إلى شمال السودان، ومن ثم فإن فريقا ضخما من المبشرين قد خصص للعمل فى شمال السودان للتمكين من التهيئة والتنصير للاعداد الضخمة من ابناء الجنوب التى استقرت فى شمال السودان.

ويتضح من هذا القانون ان الهدف هو تصفية الوجود العربى الاسلامى فى الجنوب وانشاء مقومات جديدة لقومية مصطنعة وتحديدوطن لها ودين رسمى ولغة رسمية واقتصاد مستقل وكيان سياسى مستقل لها.

- ثانيا: قانون استيعاب الانانيا (المتمردين) فىالقوات المسلحة السودانية بأمر جمهورى.. وقد استهدف الامر الجمهورى تحطيم الكيان العربى الاسلامى للقوات المسحلة السودانية على هذا النحو:-

١. اعتبار المتمردين مناضلين شرفاء واطلاق "جيش الانانيا" عليهم واستيعابهم فى القوات المسلحة باعتبارهم جيشا نظاميا فى كافة الرتب العسكرية ونصت الاتفاقية على بقائهم فى الجنوب ولا يسمح بانتقالهم للشمال وبذلك احتفظ لهم باستقلالهم داخل القوات المسلحة السودانية.. وبما انهم جميعا كانوا يتلقون تدريبهم وتمويلهم وتزويدهم بالاسلحة من اسرائيل ومن مجلس الكنائس العالمى فإن ولاءهم ما زال قائما لهذه الدوائر.

٢. التوسع فى الحاق العناصر الرجعية من ابناء الجنوب المسيحية فى القوات المسلحة السودانية فى الشمال وذلك فى أعداد كبيرة حتى يغلب العنصر المسيحى الرجعى على العنصر العربى المسلم.

٣. طرد وتصفية الضباط والجنود الذين عرفوا بالولاء لانتمائهم العربى.

ثالثا: صدور الامر الجمهورى المنظم لقيام لجان للاشراف على عمليات الاعادة والتوطين لابناء الجنوب وتلقى الاعانات والمساعدات من مجلس الكنائس العالمى ومن المنظمات الدولية.

وقد شكلت هذه اللجان من العناصر التى يريدها مجلس الكنائس العالمى.. وذلك بغرض استبعاد الحكومة المركزية من ناحية وحماية اللجان من رقابة الامن العام السودانى .

رابعا: الامر الجمهورى بتنظيم العلاقة المالية بين الحكومة المركزية والحكم الاقليمى فى الجنوب على النحو الذى يجعل الحكومة المركزية تتولى الاعباء المالية لاتفاقية اديس ابابا دون ان يكون لها حق الرقابة على أوجه الصرف.

وهذه الأوامر الجمهورية الاربعة قد استهدفت تحطيم الكيان العربى الاسلامى سياسيا وعسكريا وانشاء كيان رجعى قادر على احتواء الشمال العربى الاسلامى .

إن اتجاه الدوائر الامريكية والاسرائيلية ومجلس الكنائس العالمى أن ينقلوا مركز الثقل السياسى فى الجنوب إلى جوبا العاصمة الجديدة للاقليم الجنوبى وتسمى العاصمة الثانية. وذلك بتوحيد الجنوب سياسيا وتمزيق الشمال سياسيا والنهوض باقتصاديات الجنوب مع وضع كل العقبات فى طريق التنمية فى الشمال وجعل تنفيذ اتفاقية اديس ابابا استنزافا مستمرا لقدرات الشمال(١٢).

التلاحم الامريكى الاسرائيلى فى الاتفاقية

ويمكن التعرف على هذا التلاحم من خلال :-

أولا: علاقة اسرائيل بالانيانيا

ثانيا: الاساليب الاسرائيلية فى تنفيذ الاتفاقية

ثالثا: الطريقة التى اعيدت بها العلاقات الدبلوماسية مع امريكا

رابعا: قبول مشروع الملك حسين

خامسا: قطع العلاقات مع مصر وليبيا.

استمدت الدوائر الاسرائيلية والامريكية وسائلها وادواتها فى تحطيم الكيان العربى الاسلامى واحتوائه سياسيا من التصور الخاطئ البالغ الخطورة الذى طرحت به سلطة مايو قضية الجنوب فى بيان ٩ يونيو ١٩٦٩ والذى انزلقت فيه إلى اعادة وتأكيد الاسس الفكرية لحل مشكلة الجنوب على نفس الاسس الفكرية التى ظل الاستعمار البريطانى وحملات التبشير المسيحى الاستعمارية، ومن بعدها

حركات التمرد على تأكيدها وادعائها، وصلاحيتها أن المديريات الجنوبية تحتوى قوميات وثقافات تختلف عن القوميات والثقافات فى الشمال.

وفى الايام الأولى لثورة مايو ١٩٦٩ وتحت سيطرة الشيوعيين ومن سموا انفسهم بالقوميين العرب وعلى رأسهم بابكر عوض الله، التقى الشيوعيون مع اهداف الاستعمار البريطانى وحركات التبشير المسيحى فى تحطيم الكيان العربى الاسلامى واستطاعوا ان يعلنوا بيان ٩ يونيو ١٩٦٩ باسم " مشكلة الجنوب" يزعمون فيه ان الجنوب كيان قومى وحضارى مستقل ومتميز عن الشمال الذى تستوعبه القومية العربية وحدها.

ويتضح ان الدوائر الامريكية والاسرائيلية اعتمدت اساسا على بيان ٩ يونيو ١٩٦٩ وعلى " القوى الاجتماعية" التى يمكن تجميعها وتعبئتها ضد الكيان العربى فى السودان.

والوسيلة الاخرى التى تنشدها الدوائر الامريكية والاسرائيلية لقومية لا وجود لها هى صيغة الاتحاد الاشتراكى السودانى فى الجنوب لالغاء التكتلات القبلية والعشائرية وإنهاء الحزبية التى كانت تصل الجنوب بقيادة الحركة السياسية فى الشمال ووضع العمل السياسى كله فى يد الجناح السياسى "الانانيا" التى ترتبط ارتباطا وثيقا بالدوائر الإنجلو امريكية اسرائيلية.

وبما ان "الانانيا" قد انضمت للقوات المسلحة السودانية كوحدة مستقلة ووضعت فى الجنوب فإنها قد وضعت فى خدمة الجناح السياسى والجناح التنفيذى ومن ثم اصبحت وحدة الجنوب امرا قهريا لا امرا يبرره تعدد القبائل والعشائر واللغات وتباعد المسافات ووعورة الطرق وانقطاع وسائل الاتصال والمواصلات الجوية والنيلية بين اطراف المديريات الجنوبية.

وفى ضوء المتغيرات الاساسية التى قد تطرأ على الواقع السياسى السودانى. لابد من ان تكون هناك أهداف استرتيجية عليا للتحرك العربى فى

السودان على النحو الذى يحسم عروبة السودان ويجعله قوة اضافية فعالة للنضال السودانى والعربى على السواء.

وهذه الاستراتيجية تتطلب بالضرورة ان يكون التحرك العربى تحركا عاجلا وشاملا ومتخذا وسائل محددة ومتوسلا بأدوات معينة حتى يمكن تغيير توازن القوى الاجتماعية للمصلحة العربية ويكون ذلك عن طريق:-

- أولا: ان يكون المدخل قائما على الاسس الانسانية التى قامت عليها اتفاقية اديس ابابا لا علىالاسس الاستعمارية الانفة الذكر وذلك بأن يكون المدخل هو التنمية الاقتصادية والاجتماعية والنهوض بأبناء الجنوب.
- ثانيا: ان يكون لمدخل عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية طابع عربى.
- ثالثا: ان يكون الجنوب هو ساحة عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية
- رابعا: ان يكون الهدف لمدخل التنمية الاقتصادية والاجتماعية هو وضع العرب فى قيادة عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وبما ان التنمية الاقتصادية والاجتماعية فى واقع متخلف تتطلب قدرات مالية وفنية ضخمة فإن القدرات العربية هى وحدها القادرة والمؤهلة للاضطلاع بهذه المهمة المصيرية وذلك لاعتبارات اهمها.

- ان الصراع يدور حول الوجود العربى فى السودان.
- ان الصراع يستهدف تحطيم القدرات العربية فى معركة المصير مع العدو الصهيونى.
- ان القدرات المالية والفنية العربية متوفرة.

واختيار الجنوب مركزا للتحرك العربى فى مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية له مبررات سياسية غاية فى الاهمية منها:-

- **أولا:** الجنوب "فراغ حضارى" وساحة للتخلف والعزلة لاعتبارات جغرافية حضارية ومن ثم فإنه اليوم اضعف حلقة فى حركة النضال الافريقى.

- **ثانيا:** من واقع التخلف والعزلة والفراغ الحضارى استطاعت الدوائر الاستعمارية والكنائسية والاسرائيلية ان تحوله إلى بؤرة ضد الكيان العربى الاسلامى والحركة التحررية والتقدمية والثورية فى السودان.
- **ثالثا:** ان اتفاقية اديس ابابا اتخذت الجنوب ساحة لتغيير الطابع السياسى السودانى كله، وهيأت الجنوب للاضطلاع بدور كبير فى تحطيم الكيان العربى الاسلامى وافراغه من محتواه وقدراته السياسية.
- **رابعا:** ان التطور الناجم عن اتفاقية اديس ابابا يجعل من الجنوب خطرا مباشرا على الانظمة السياسية الصديقة للعرب فى وسط وشرق افريقيا وعلى الجماعات الاسلامية فيها.
- **خامسا:** ان التطور العنصرى والتبشيرى المعادى للامة العربية ستستخدمه الدوائر الامريكية والاسرائيلية غداً فى تحطيم الكيان العربى المصرى بخلق النعرات العنصرية والدينية واثارتها وذلك فى عملية تطويق القاهرة من الفاتيكان فى الشمال واثيوبيا فى الجنوب واسرائيل فى الشرق.
- **سادسا:** ان خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية التى تطرحها الدوائر الامريكية الاسرائيلية وتستخدم البنك الدولى وصندوق النقد وبعض الاحتكارات فى آن واحد وفى تعاون منسق وفى نشاطات متكاملة.. على المستوى الذى تعمل فيه الدول الغربية والامريكية فى طرحها وتنفيذها يمكن ملافاتها منذ البدء قبل ان يكون لها نفوذ متحكم، وذلك بالتحرك العربى الاقتصادى على النحو الذى يلغى تلك الخطط ويصفى آثارها الضارة.
- **سابعا:** ان التحرك العربى الاقتصادى فى الجنوب ضرورة اقتصادية وعسكرية وحضارية ملحة لمصر على نحو خاص وللسعودية لان التكامل الاقتصادى والحضارى يتحقق على نحو مثالى ونموذجى فى الجنوب

باعتباره فراغا حضاريا وساحة للتخلف المتعطش للتنمية الاقتصادية والتلقى الحضارى وساحة للصراع والسباق الحضارى(١٣).

رابعاً: فى السياسة الخارجية

استعرض الاستاذ بابكر كرار السياسة الخارجية للسودان منذ الاستقلال وحتى ٢٥ مايو ١٩٦٩م.

قائلا: خلال مراحل هامة تطورت الساسية الخارجية السودانية أولها كانت بعد الاستقلال مباشرة والتى طرحت فيها السياسة الخارجية على اساس مبدأ عدم الانحياز سواء كان داخل الاقطار العربية أو خارجها فى العالم وقد طرح هذه السياسة المرحوم مبارك زروق والمرحوم محمد احمد محجوب. بمعنى ان السودان سلك طريق الحياد الايجابى وعدم الانحياز ، وتلك كانت سياسة القوى الجديدة لبلدان العالم الثالث.

وأعقب ذلك فترة الحكم العسكرى فى ١٧ نوفمبر فكانت مرحلة ثانية طرح فيها السيد احمد خير وزير خارجية السودان آنذاك ان السودان ليس لدية سياسة خارجية وانما تجارة خارجية.. وظل يكرر هذا الاتجاه.

وقد وضع احمد خير فى الاعتبار ان مصلحة السودان هى الاساس وهى المصلحة التجارية وان الذى يهم هو توسيع حجم التجارة الخارجية مع البلدان فى الخارج وتوسيع حجم تجارة الاخرين معنا.

فالمصالح الاقتصادية هى الاساس وليست الشئون الخارجية الداخلة فى العمليات السياسية.

وهذا القول فيه شئ من الحق وكثير من الباطل لان السياسة الخارجية تجلب كثيرا من الفوائد الاقتصادية وغيرها . فقد تكون هناك مصلحة اقتصادية لا يمكن تحققها الا بتحقيق المصلحة السياسية وبالعمل السياسى. والعكس صحيح فهناك مسائل سياسية لا يمكن تحقيقها الا بوسائل اقتصادية.

وتركيز احمد خير على الجانب التجارى بجانب انه يمثل نظرة جزئية ففى نفس الوقت فيه ضياع كبير لفرص السودان فى استخدام مركزه العام وانتمائه العربى وموقعه الجغرافى ودوره الحضارى التاريخى.

والمرحلة الثالثة هى بعد ثورة اكتوبر ١٩٦٤ فكان شعار الحياد الايجابى وعدم الانحياز ايضا هو السائد فى السياسة الخارجية بالنسبة لكل بلدان العالم والبلدان العربية وتحت هذا الستار "عدم الانحياز" سارت السياسة السودانية لكن فى اتجاه الدوائر الرجعية العربية والدوائر الرجعية العالمية.

اما مرحلة حكم نميرى فقد كانت المرحلة الرابعة وفى هذه المرحلة وقعت احداث وتطورات كبيرة وهى مرحلة تغير فيها وجه السودان الحقيقى وقلبت فيها موازين القوى الاجتماعية والقومية ويرى ان ذلك قد حدث فى اطار التسوية الاستعمارية الصهيونية فى منطقة الشرق الأوسط وكل البلدان المجاورة وان كلما حدث فى هذه المرحلة هو جديد فى تاريخ السودان.

وان السياسة الخارجية فى عهد مايو كانت سياسة متناقضة وقد ظل هذا التناقض يحسم دائما بأعمال دموية ولا يحسم بالنقاش ولا بالحوار ولا بالمدارسة والمراجعة.

ونجد ان السياسة الخارجية عام ١٩٧٠/٦٩ اخذت شكلا وعام ١٩٧٢/١٩٧١ اخذت شكلا آخر. وقد حصل هذا التحول بشكل دموى فبعد عام ١٩٧٢ اصبحت السياسة الخارجية تفرض فرضا وبالقوة والعنف من ناحية داخلية وبالنسبة للدول المجاورة.

ويذهب الاستاذ بابكر كرار إلى القول بأن اهداف السياسة الخارجية تتمثل أولا فى العمل على دعم الاستقلال الوطنى والعمل على د عم الديمقراطية لان حرية الانسان هدف اساسى.. والعمل على النهوض الاقتصادى وبث الثقافة الوطنية والاسراع بالتنمية الاقتصادية.

ولتحقيق اهداف السياسة الخارجية لابد ان تكون الحكومة هى نفسها حرة لان الحكومة تعكس حرية الشعب نفسه. ولكن اذا كان الشعب مقهورا فإن الحكومة نفسها تكون مقهورة لا محالة من طرف آخر وقوى أخرى. وان الصراع الدولى والانفتاح الحتمى لكل الانظمة فى العالم يجعل الضمانة لحرية اى حكومة هى حرية شعبها لا غير ... فإذاً لابد من التأكد من ان السودان تحكمه حكومته. وأن يكون التحرك سليما منذ البداية لتحقيق اهداف داخلية صحيحة ومرتكزات خارجية سليمة من خلال التعامل مع العالم تعاملا ناضجا ورشيدا ومبصرا بالمصالح الوطنية وبوسائل وأدوات تحقيقها وذلك من خلال مرتكزات محددة هى:-

- الانتماء القومى
- والمصالح الاقتصادية المشتركة
- والجوار الجغرافى
- والموقع الاستراتيجى أو أمن الشعب والوطن(١٤)

وحتى يتمكن السودان من ان يضع خطوطا جديدة للسياسة الخارجية ويعيد اجهزتها وفرقها من جديد فى اطار الاستقلال الوطنى والسيادة القومية ينبغى ان تخطو هذه الخطوات:

- أولا: ان نمارس الاستقلال الوطنى والسيادة القومية منذ البدء فى سياستنا الداخلية كلها وذلك في اطار المبادئ الدستورية وحكم القانون واستقلال القضاء دون السماح لإى تدخل اجنبى، وفى هذا ينبغى تأكيد سيادة الشعب السودانى التامة وحريته التامة فى اتخاذ السياسات الخارجية والاجتماعية والتعليمية، وفى اختيار الاشكال الدستورية لانظمة الحكم والادارة التى تتفق مع مصالحه.
- ثانيا: رفض استمرار الضغوط الاجنبية التى فرضت فى حكم مايو بغرض اكتساب مواقع نفوذ ثابتة داخل البلاد سواء كانت هذه المواقع تحت واجهات عربية أو افريقية أو أوربية أو امريكية، هذه الضغوط لا يمكن الاستسلام لها

فضلا عن الاستسلام للتدخل الاجنبى السافر ورفض التدخل والضغوط الاجنبية فى كافة اشكالها. وتلك هى مسئولية كل المنظمات الديمقراطية والسياسية. ومنذ اعلان الاستقلال لم يكن الشعور بالكرامة الوطنية والسيادة الشعبية وحرية الارادة السياسية عميقا لدى الدوائر الحاكمة فى الاحزاب التقليدية وباسم المنافسات الطائفية والقبلية والاقليمية والحزبية كان التفريط فى الكرامة الوطنية والسيادة القومية ومصالح الجماهير العريضة. بل ان بعض العناصر فىهذه الدوائر الحاكمة فى الاحزاب التقلدية كانت تجاهر بترحيبها بالتدخل الاجنبيى.. وكان التدخل الاجنبى يتخذ ذريعة بين الاطراف المتنافسة لتبرير سياسات التبعية فى الخارج والسياسات الاستسلامية فى الداخل امام النعرات العنصرية والقبلية والطائفية والاقليمية، والسياسات الاقتصادية الضارة بالجماهير العريضة.. والفقيرة. (١٥)

وحتى لا تستمر البلاد فريسة للدوائر الاستعمارية والصهيونية ولكل هذه المؤسسات الدولية ينبغى ان تتخذ الحركة الجماهيرية ومنظماتها الديمقراطية والسياسية مواقف استراتيجية ثابتة وأن تعيد النظر من جديد فى الفرق السودانية التى تعمل فى هذه المنظمات الدولية وتطهيرها من العناصر الانتهازية.. ومن العملاء والجواسيس المحترفين السودانيين.

ويمكن إخراج نشاط المؤسسات الدولية من الظلام إلى دائرة الضوء عن طريق:-

١. توزيع الوثائق والتقارير على فرق الخبراء والفنيين فى مختلف وزاراتهم ومواقعهم فىالعمل ومطالبتهم بالتدقيق فى دراستها وكتابة وجهة نظرهم لجهاز التخطيط الاعلى.
٢. عقد مؤتمرات دراسية دورية منتظمة لتبادل الدراسات والحوار حول الوثائق والتقارير وتقديم توصيات جماعية.

٣. وضع هذه التوصيات الجماعية موضع الدراسة الجادة من القيادات السياسية واتخاذ قرارات سياسية بصدد الاتجاهات الاستراتيجية العامة حول هذه الوثائق والتقارير.

وبذلك يكون هذا الاتجاه الديمقراطى المسئول هو الذى يمكن من الاستفادة من الانخراط فى هذه المنظمات الدولية ويكون أداة لخدمة أمن ووحدة الوطن بدلا من ان تكون هذه المنظمات أداة لاختراق النظام السياسى والاجتماعى والتحكم فى اتجاهات التطور الاقتصادى والاجتماعى والسياسة الخارجية(١٦).

خامساً: جهاز الدولة "الحكم"

يقول الأستاذ بابكر كزار.

منذ الاستقلال والبلاد لم تحقق تقدماً فى دعم الاستقلال السياسى وفى التطور الاقتصادي وفى رفع مستوى الجماهير.

منذ سقط النظام الحزبى بعد ثلاث سنوات من ممارسة الحكم وبدأ السقوط بالمساومة فى الأستقلال وقبول شروط الاستعمار البريطانى، فأعلن الاستقلال مشروطا بقيود تقبلة مباشرة وغير مباشرة كان من نتائجها الاضطرابات الدموية التى ما زالت مستمرة فى المديريات الجنوبية.

وفى خلال الأربع سنوات الأولى وحتى نوفمبر ١٩٥٨ اجريت عدة تعديلات وزارية، وتغيرت الوزارات عدة مرات وقامت ائتلافات وسقطت ائتلافات فكانت السنوات الاربع الأولى مسرحاً للصراعات الجزبية والطائفية والاقليمية ومنطلقا للصراعات الداخلية التى شهدتها البلاد منذ عام ١٩٥٤ إلى اليوم.

وفى السنوات الأولى بدأت العناصر الطفيلية والانتهازية والعميلة تتسلل إلى قيادة الاحزاب السياسية وإلى الطائفية ومن ثم استطاعت ان تسيطر على مراكز التحكم فى الاقتصاد السودانى والسياسة الخارجية والأتجاه بجهاز الدولة والاقتصاد الوطنى فى خدمة الدوائر الإستعمارية ومصالحها الأنانية غير المشروعة.

ومنذ السنوات الأولى قبل الاستقلال وفيما بعده برز التناقض بـين الاتجـاه العام للحركة الجماهيرية الوطنية وبين قيادة النظـام الحزبـى ورفعـت الجمـاهير الوطنية شعار "التعمير" لحياة الجماهير، فرفضتها العناصر الطفيلية والانتهازية فى قيادة الاحزاب ورفت شعار "التحرير" وكأنما شعار التحرير يتنـاقض مـع شـعار التعمير، وكانت النتيجة أن فشلت قيادة الاحزاب فى انجاز مهام التحرير. واستمرت الجماهير السودانية تحت وطأة البؤس منذ الاستقلال.

وفى السنوات الاربع الأولى من الإتفاقية المصـرية البريطانيـة ظهـرت بوضوح هذه العناصر وهى تأخذ مكانها بقوة وجرأة فى قيادة النظام الحزبى وجهاز الدولة.

وهذه العناصر هى التى أفسدت الحياة السياسية فى البلاد وهى التى اتخذت من نضال الجماهير وتضحيات الجماهير سلعة للمتاجرة والمغامرة حيـث صـارت البلاد مسرحا للصراعات الحزبيـة والطائفيـة والإقليميـة ومسـرحاً للمغـامرات العسكرية الرجعية والدموية(١٧).

ولتصحيح هذه الأوضاع وقيامها على أسس صحيحة يرى الاسـتاذ بـابكر كرار انه فى البدء يجب الوقوف بقوة ضد عودة هـذه العناصـر الانتهازيـة إلـى السيطرة على التنظيم السياسى والإقتصادى والوطنى، ويتم ذلك من خلال:-

١. أن لا تترك الحياة السياسية للأفراد مهما كان وزن هؤلاء الافراد.
٢. ترويض انفسنا على العمل الجماعى، العمل الديمقراطى وعلى الوضوح الفكرى والصراحة العلنية. وهذه هى مهمة المنظمات الجماهيرية الديمقراطية المسئولة.
٣. اقتلاع القاعدة الاجتماعية والاقتصادية التى يقوم عليها النظام الحزبى، ذلك لان النظام الحزبى التقليدى ليس هو الافراد وحدهم وانما هو فى الاسـاس القاعـدة الاجتماعية والاقتصادية التى يقوم عليها.

والذين يطالبون اليوم بانهاء النظام الحزبى عليهم أن يحددوا أخطـــاء الماضـــى وإنحرافات القيادات وسطحية الشعارات التى تـــرفض النظـــام الحزبـــى وتطالـــب بتصفيته.

ومن جهة اخرى يقول انه من الاخطاء البالغة الخطورة والتى يجب التنبية اليها ان قطاعا من ابناء هذا الجيل يتوهم ان النهوض الثورى وتجديد الحيـــاة الســـودانية يمكن ان يتحقق بمصادرة الحريات العامة وقمع الحركـــة الجماهيريـــة ومنظماتهـــا الديمقراطية والسياسية تحت قوانين واحكام حالة الطوراى.

ولقد أكدت تجربة مايو ان التفريط فى الحريات العامة والحقـــوق الديمقراطيـــة يؤى إلى العنف الدموى ضد الشرفاء ويؤدى إلى انتشار الفساد وســـيطرة العمـــلاء والدوائر الاجنبية على جهاز الدولة والاقتصاد الوطنى والسياسة الخارجية.

كما أن الانفتاح والوضوح الذى تدعو إليه لا يعنى قبـــول فوضـــى الاحـــزاب واضمحلال الشعور بالمسئولية وانما يعنى الديمقراطية المسئولة والعمـــل الموحـــد والعلاقة العضوية بين القيادات والقواعد الجماهيرية وانتهاء شخصية "البطل" ونبـــذ مفاهيم العمل الوطنى تحت رآية التفويض العام، والحكم من وراء رقابة الجمـــاهير ويقظتها ومبادرتها ومشاركتها فى الحكم.

ولتصحيح أخطائنا الفكرية والنضالية والتنظيمية يجب أن لا نقفز نحو تطهير جهاز الدولة والؤسسات العامة والحياة الاجتماعية الا اذا قمنا بتطهير انفسنا ابتداءاً وتصحيح مفاهيمنا وتوضيح برامجنا السياسية والاقتصادية(١٨).

ونسبة للمهددات الخارجية التى تهدد هوية الشعب السودانى، فقد نادى الأستاذ بابكر كرار إلى تجميع الشعب السودانى فى تنظيم سياسى واحد، ويكون تنظيما مقاتلا ضد الإستعمار فى كل أشكاله قديمة وحديثة خاصة وان الشعب السودانى يناضل ضد التدخل المسلح فى الجنوب والوجود الاستعمارى الاسرائيلى فى المنطقة العربية.

ومن خلال نضال الشعب السودانى ضد الوجود الاستعمارى يمكن تذويب الفوارق بين الجماهير السودانية ويأتى هذا التذويب عن طريق القوانين وعن طريق الخطة الاقتصادية والاجتماعية وعن طريق الثقافة الوطنية. كل تلك ادوات لانهاء التصادم بين الطبقات وبين الفئات. والاهم من ذلك أن تكون للشعب السودانى ايديولوجية اساسية وهى الايديولوجية القومية والمقصود بالقومية هنا الأمة العربية، فلا بد من نشر الثقافة العربية ونشر كل المؤسسات التى تضطلع بتأكيد وتحقيق الانتماء السودانى للامة العربية.

وهذه مسألة هامة لأنها من المسائل الرئيسية التى تواجه الشعب السودانى وهى حسم عروبة السودان من الداخل وذلك لأن هناك الكثير من المهددات التى تواجه الهوية نفسها(١٩).

ولتفادى ذلك لابد من أن تكون هناك رؤية استراتيجية مستقبلية لما يمكن أن يحدث.

وبنظرة مستقبلية للسودان. يجب ان نضع فى الاعتبار تأمين مسيرة الشعب السودانى ويكون ذلك من خلال الاهتمام بالطرح الايديولوجى لان الطرح الايديولوجى ينقى القاعدة الفكرية ولا يجعلها عرضة لاى ايديولوجية اقليمية أو ايديولوجية طائفية. ويمكن ملاحظة ذلك من خلال مناداة جمال محمد احمد بأن هناك كيان قومى لابد من تطوير ثقافته وابرازه بحيث يكون كيانا قوميا قائماً بذاته وهنا يكمن الخطر لأن مثل هذا القول الغرض منه ان يكون هناك قومية معادية للكيان العربى. لذا لابد من نقاش واضح فى هذه المسائل ولابد من وجود استراتيجية تعتز بالوجود العربى لان هذا الوجود ليس متطفلاً ولا هامشيا بل أن الوجود العربى هو أصل الاصول. وان هذا الوجود العربى لديه القدرة على استيعاب الكيانات الاخرى وتطويرها من سلبياتها واعادة تكوينها انسانياً.

ونجد ان الفجوات العقائدية والايديولوجية هى التى استطاع الاستعمار من خلالها ان يتسلل ويطرح ايديولوجياته ويبنى على هذه الايديولوجيات مواقف سياسية وعسكرية...الخ.

وهذه الصورة نشاهدها فى لبنان والسودان. لذلك فإن استكمال الفكر العربى وخصائصه والتعمق فى خصائص وتكوين الامة العربية وتكوين الشعب السودانى تاريخيا ومراجعة التاريخ بدقة ليس ترفاً وانما عملية ضرورية لسد الثغرات الفكرية التى يمكن أن ينفذ منها الاستعمار.

والحديث عن تجويد تاريخ السودان وتأمل تكوين الشعب السودانى من ناحية تاريخية وتكوينه الاجتماعى والقومى، كل هذه المسائل تعتبر بالغة الاهمية لانها تقى السودان فتن قادمة مستقبلية. فالنظرة المستقبلية المدروسة تجعلنا نرى المستقبل بوضوح لا غموض فيه. فلا نتصور مثلا ان اسرائيل بعد اتفاقيات السلام والاعتراف الشرعى بوجودها سوف تزرع البرتقال ويرقص العرب على أراضيها، بل سوف تعمد إلى القضاء على الامة العربية من الداخل بطرح ايديولوجيات تبنى على اساسها المواقف العسكرية والسياسية.

والآن هناك موجة من الانكار للوجود العربى تظهر فى اشكال متعددة من الموسيقى واللبس إلى الطرح التاريخى للسودان من قبل عناصر غير عربية تتولى قيادة العمل التاريخى، إلى مؤسسات علمية مثل معهد الدراسات الافريقية الاسيوية، لماذا الافريقية الاسيوية؟ لان المقصود من ذلك أن يكون هناك انقسام منذ البداية فنعتبر الاسيويون هم العرب والافارقة أفارقة ومن هنا يخرج جيل مشبع بفكرة ان السودانيين العرب هم الآسيويون والافارقة افارقة. ونجد ان هذا العمل يسير بصورة هادئة وتسامح تام وغدا تراق الدماء بسبب التفريط فى المسائل الفكرية . ومن الناحية الاخرى نجد ان التسامح الدينى قد يؤدى إلى اخذ المسلمين على غرة وهذا يقود إلى اضعاف الكيان العربى لانه قد تطرح ايديولوجية دينية معينة ويكون

الهدف من ورائها ضرب الكيان العربى نفسه والدليل على ذلك ان المارونيين بلبنان عرب باللسان فقط وليس وراء اللسان شئ من تاريخ الامة العربية ومحتوى الامة العربية، فأصبحت هذه الطائفة من المارونيين بمساعدة الاستعمار واسرائيل أداة لضرب الامة العربية كلها، فما بالك بكيانات اخرى قائمة اليوم فى المغرب والسودان ومصر وسوريا.

فالاستعمار اذا لم يجد اقليات يتجه إلى الطوائف والمذاهب واذا لم يوجد ذلك كله اتجهوا إلى الماركسية كما حدث فى الصومال التى لا يوجد بها مسيحى واحد. حيث تزرع الماركسية وتفتعل افتعالا ثم تنزع بها السلطة ومن ثم يضرب بها الكيان العربى بعد ذلك.

وهذه مسائل لابد من وضوحها ومناقشتها لان التسامح يأخذ صورة انهزامية اذا أخذ شكل الخنوع والاستسلام، كذلك لابد من أن نفرق بين التسامح والاستسلام ، والتسامح يكون عندما يأتى من موقف قوة ولكن ما يحدث اليوم فى الامة العربية هو الخنوع والاستسلام وباسم التسامح القوى الاخرى تتجرأ وتضرب الكيان العربى وهذا ما يحدث فى السودان ايضا لكل ذلك لابد من مواجهة هذه الامور بمعرفة فكرية صارمة(٢٠).

والعمل من اجل قاعدة فكرية ونضال موحد لبرنامج سياسى، عمل طويل وشاق ويحتاج إلى مواصلة بالرغم من الصعوبات التى تواجهه.

والعمل الديمقراطى هو الاساس للشعب السودان لاسباب موضوعية منها، أن الشعب السودانى فى عزلة تامة عن ما يجرى داخل بلاده من احداث كبيرة نسبة لان الاحزاب السياسية أحزاب طائفية، والطائفية قائمة على التبعية، ويدار العمل السياسى فى القمة بالاتصال بالدوائر الاجنبية ثم تنزل الشعارات بعد ذلك للجماهير بشكل معين به نوع من الدغدغة العاطفية ونوع من التوازن الطائفى والعشائرى والقبلى.

وما يحدث فى السودان هو تعاون عناصر فى القمة للنظام السياسى مع القوى الاجنبية، دون التفات لقضايا الجماهير على مستوى القاعدة سواء كانت قضايا معيشية أو قضايا النظام السياسى أو القضايا المصيرية، كل ذلك لم يحدث لذا حدث تبلد فى الحياة السياسية نتيجة لسيطرة الاحزاب وعدم تقبلها للعمل الديمقراطى.

لذلك فنحن فى مرحلة جديدة لابد ان يكون العمل فيها عملا ديمقراطيا، وأن لا يكون العمل الديمقراطى مجرد شعارات بل يجب ان تناقش كل القضايا ديمقراطيا وان يكون الحوار هو سلاحنا مع اى شخص مهما كان مركزه كما ان اى شخص يتوهم ان لديه مركز مقدس يجب ان يدار معه حوار مفتوح حتى يعرف انه ليس فوق الحوار.

وان كل فرد من واجبه ان يجادل ويقنع الطرف الاخر بحقيقة موقفه وافكاره.

وبالطبع فإن مثل هذا الاسلوب يعتبر جديدا على الواقع السودانى ولا يمكن تقبله بسهولة ويسر، لان مثل هذه المراكز قد صارت وراثية من الناحية الدينية. فالذى تجادله فى الدين كأنك تريد أن تنازعه فى مركزه الذى وصل اليه عن طريق استغلال النفوذ وعن طريق السرقات والنهب.

لذلك فإن اى حوار مع هؤلاء يعنى لهم التعرية وسلبهم المراكز التى استولوا عليها كما أن الحوار يؤدى إلى زحزحة هذه العناصر فى القيادة من مراكزها سواء كانت مراكز سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية.

فالحوار الايجابى المفتوح هو المطلوب وليس الحوار الغرائزى أوالحوار الانفعالى. ومن هنا يجب السعى لان يكون العمل الديمقراطى هو النواة أو المعبر عن الصورة المستقبلية للسودان. ولكن لابد من أن تكون صورة المستقبل الذى نريده واضحة امامنا وليس مجرد احلام وشعارات. ولابد أن نعيش المستقبل ونعمل له منذ اليوم لان المستقبل نتاج عمل اليوم والغاية نفسها وليدة الوسيلة، ولسيت هناك غاية تولد من لا شئ. لذا فالغاية لا تبرر الوسيلة لان الوسيلة نفسها هى التى تولد

الغاية، ولا يوجد فصل بين الغاية والوسيلة ""كبر مقتاً عند الله أن تقولوا مالا تفعلون".

وما نقوله يجب ان نفعله وأن نعيشه، لا أن نعيش حياة وندعو لغيرها، وأن يكون هناك التزاما للقضايا التى ندعو لها حتى يعيش الناس حياة طاهرة ومتقدمة عاطفيا وشعوريا، وان لم يحدث ذلك تكون أداة من أدوات هدم وافشال الاهداف التى ندعو لها، لان الذى لا يعيش المبادئ لا يستيطع ان يدعو لها.

ويجب ان نكون هناك وحدة فكرية ووحدة عمل، والتنظيم يكون عبارة عن عملية لوحدة هذا العمل، ولكن لابد أن يكون هناك عمل والتنظيم ينظمه، ذلك لان التنظيم لا يخلق العمل فالتنظيم يتبع الوحدة الفكرية ووحدة العمل، ويكون التنظيم السياج الذى يربط العمل وينسقه ويساهم فى دفعه إلى الامام.

والحوار هو السلاح الذى نقتحم به المجتمع السودانى فى كل المواقع ابتداء من الاسرة أو المدرسة أوالنقابة أو اى موقع من مواقع العمل، حتى يستطيع الانسان ان يطور مجتمعه بالحوار الايجابى المفتوح العلمي، بمعنى أن تجرى حواراً فى كل القضايا دون اى حساسيات، لأن الشعب السودانى ظل منذ الاستقلال لا يحاور فى اى موضوع بحرية، فإذا أردت أن تناقش الشيوعية مثلا فلابد من المناقشة على اساس أن هناك شخصا اخا مسلما أو اتحاديا ديمقراطيا، اى تحديد مواقف مسبقة وهذا ينطبق على جميع قضايا الاسلام، الاشتراكية، الجنوب الاقليات. اذاً كل التفكير السياسى كان تفكيرا ذرائعيا مما أدى إلى جمود الحياة السياسية فى السودان.

لذلك لابد من ادارة الحوار حول كل القضايا المصيرية دون تحرج، والجام الناس وترويضهم على قبول الكلمة دون السماح لهم بالثرثرة السياسية أو الهروب من المواجهة وعلى الطرف الآخر أن يتقبل الحوار باعتباره الطريق الوحيد لبناء مجتمع جديد. وهذه يمكن إعتبارها مقدمات للديمقراطية(٢١).

سادسا: الطائفية:

يرى الاستاذ بابكر كرار أن الطائفية واقع تاريخى واجتماعى لذلك يجب رفض الصدام معها والعمل فى ذات الوقت على احداث تغيرات ايجابية فى وظيفة الطوائف الدينية.

لذلك لابد من تحول ثورى فى جماهير الانصار والختمية وتطوير مؤسساتهم الدينية إلى مؤسسات تبشيرية تضطلع بمسئولياتها التاريخية فى خدمة انتشار الاسلام داخل البلاد خصوصا فى أوساط ابناء الجنوب وفى جبال النوبة والانقسنا(٢٢).

ويقول: ان فترة الحكم المايوى قد كشفت عن خطورة انعزال القوى الوطنية التقدمية عن جماهير الانصار والختمية، وترك هذه الجماهير العريضة الشريفة والمناضلة بلا تغطية من الحركة الوطنية التقدمية، وأن العدوان على جماهير الانصار وقيادتهم الدينية فى عام ١٩٧٠ كان بلاشك يستهدف القاعدة الوطنية الصلبة التى تضطلع بدور تاريخى فى الدفاع عن الكيان العربى الاسلامى وتشكل درعاً قويا للاستقلال الوطنى والسيادة الوطنية اضافة إلى ان العدوان على جماهير الانصار كان يعنى ارهاب جماهير الختمية والتحضير لقمعهم بالوحشية ذاتها.

ومن منطلق الدور التاريخى لهذه المؤسسة الدينية "الطائفية" يقول: نحن أول من يرفض القول بأن هذه المؤسسة الدينية "الطائفة" قد انتهى دورها.

ونرفض بقوة استقلال العناصر الانتهازية والعميلة فى النظام الحزبى للطائفية وجماهيرها لتحقيق المصالح الاجنبية والمصالح غير الشرعية لهذه العناصر.

نرفض وندين الجرائم الوطنية ضد الانصار عام ١٩٧٠ ونطالب بتشكيل محاكم عادلة وعلنية للنظر فى كل الجرائم التى ارتكبت فى هذه الفترة المظلمة من تاريخنا الحديث.

وللنهوض بجماهير الطائفية يجب العمل على:

١. اخراج الطائفية إلى دائرة الضوء ويتحقق ذلك بالكشف عن التطور التاريخى لنشوء الطائفية وادوارها التاريخية المتعددة وازالة الغموض والقداسة عن نشأتها وتطورها التاريخى وتحليل علاقاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية بالنظام الحزبى وبجهاز الدولة واتجاهات التطور الاقتصادى والاجتماعى.

٢. مخاطبة جماهير الطائفية مخاطبة مباشرة بالحوار الايجابى المفتوح معهم فى مواقع العمل والخدمات ومن خلال منظماتهم النقابية حول القضايا الاساسية وموقف الاسلام من هذه القضايا. وهذه المخاطبة المباشرة هى التى تؤدى إلى زحزحة الجماهير من مواقعها التقليدية والاقتراب بها من مواقع الفكر الثورى والتحرر نهائيا من سلبيات الطائفية ومن سيطرة العناصر الانتهازية التى تتاجر بالدين وتستخدم الطائفية فى تحقيق مصالحها الانانية وغير الشرعية.

٣. العمل على اكتشاف وتحديد ما تبقى للمؤسسة الطائفية من دور تاريخى وتقدمى فى هذه المرحلة والضغط عليها ديمقراطيا للاضطلاع بدورها التاريخى والتقدمى.

ويكون هذا الدور التقدمى من خلال الاضطلاع بمسئوليات التبشير الاسلامى على مستوى جماهيرها وذلك لاسباب موضوعية وتاريخية منها أن الجماهير العريضة للشعب السوداني تعيش فى الاقاليم مختلطة اختلاطا تاريخيا واجتماعيا بأبناء القبائل والعشائر الجنوبية وفى جبال النوبة والانقسنا.

وهذا الاختلاط يساعد على تنشيط التبشير الاسلامى فى أوساط هذه القبائل والعشائر(٢٣).

إن حركة التبشير الاسلامى فى الماضى كانت حركة شعبية وطنية ومن ثم كانت حصيلتها كبيرة وذات أثر عميق فى مسار الحركة الوطنية.

وعن السياسات الحزبية التقليدية والطائفية، يذهب الاستاذ بابكر كرار إلى وجود ثنائية نشأت منذ الاستقلال بين الدوائر القيادية فى الاحزاب السياسية وبين الحركة الجماهيرية الديمقراطية، حيث حاولت الدوائر القيادية فى الاحزاب السياسية أن تقمع الحركة الجماهيرية الديمقراطية منذ البداية تحت شعار "تحرير لا تعمير" نجد أن فشل هذه الأحزاب فى تحقيق التحرر الاقتصادى قد كشف الزيف فى ذلك الشعار واخذت الشقة تزداد بين قيادة الاحزاب التقليدية وبين الحركة الجماهيرية الديمقراطية.

ومن نتائج هذه الثنائية أن اتجهت قيادة الاحزاب التقليدية نحو مجتمع جماهير الشعب من الباب الخلفى باب الطائفية والقبلية والعشائرية والنعرات الاقليمية فى الوقت الذى أخذت فيه حركة الجماهير تستقطب جماهير غفيرة تحت لواء الاحزاب العقائدية والنقابات المهنية والعمالية وإتحادات المزارعين والطلاب.

وهذه الثنائية هى التى جعلت الأحزاب التقليدية والحركة الجماهيرية الديمقراطية وجهين لكيان واحد. كما ان هذه الثنائية قد انعكست بوضوح فى الصراع الخفى المستمر والعلنى فى كثير من الاحيان بين المواقف التقدمية العديدة للقضاء والخدمة المدنية والقوات المسلحة السودانية وبين الدوائر الحاكمة فى الاحزاب السياسية. مما جعل هذه الدوائر فى مناسبات عديدة تجأر بالضجر من القضاء والخدمة المدنية والقوات المسلحة وتحاول فى كثير من الاحيان ممارسة أنواع من الضغط العنيف والارهاب الناعم الخفى على هذه الاجهزة.

وان الدوائر الحاكمة التقليدية ظلت منذ الاستقلال تتطلع إلى الثروة وإلى السيطرة السياسية على حساب الجماهير وتطلعاتها الشرعية فى التحرر والتقدم والرخاء.

وقد وجدت هذه النزعة الإستحوازية إشباعها فى أهداف الاحتكارات العالمية التى ترمى إلى إنشاء طبقة رأسمالية حديثة قوية ومسيطرة سيطرة فعالة على أجهزة الدولة والمؤسسات الدستورية وذات قدرة على إفراغ الحركة الجماهيرية الديمقراطية من مضمونها النضالى وتحويلها إلى حركة جماهيرية فى خدمة تأسيس الرأسمالية المحلية المرتبطة والتابعة للإحتكارات العالمية(٢٤).

المبحث الثانى

قضايا الثورة العربية

تحتاج الأجيال الصاعدة من أبناء الأمة العربية إلى مزيد من الجهود الفكرية والأيديولوجية والنظرية، بغرض تعميق الثورة الفكرية حتى تستطيع أن نستنهض الجماهير العربية ثوريا وفكريا وقوميا، للاخذ بزمام المبادرة والمشاركة الفعلية فى مسار الثورة العربية(٢٥).

هذا ما قاله الاستاذ بابكر كرار ومن هذا المنطلق نتعرض لبعض مساهماته فى قضايا الثورة العربية.

أولا: الافاق المتحركة للقومية العربية

يذهب الاستاذ بابكر كرار إلى القول بأن مناقشة الآفاق الجديدة للقومية العربية تهدف إلى الارتقاء بمفهومها إلى مستوى فكر الثورة العربية حتى يكتمل جانب مهم وأساسى فى فكر الثورة العربية الشاملة.

ويمضى قائلا: ان القومية العربية تمتاز على سائر القوميات بأنها وحدها القومية ذات الحدود المتحركة أو الديناميكية، انها القومية الوحيدة التى تتحدى حواجز الجنس واللون والحدود الجغرافية.

ومن الملاحظ أن المفكرين العرب فى تفسيرهم للقومية العربية انما يقفون فى نقطة تاريخية معينة وهى اللحظة الحاضرة وكأن جميع العوامل التى أدت إلى

تكوين القومية العربية وانتشارها فى الوطن العربى المعروف حاليا قد توقفت تماما ولا يستطيع احد ان يقنعنا بأن العوامل التى أدت إلى انتشار العرب فى آسيا وافريقيا قد توقفت فجأة فى الوقت الحاضر، ويبدو أن تأثير المفكرين الغربيين هو المسئول عن محاولة المفكرين العرب فى تحديد القومية العربية ضمن اطار الحدود الجغرافية الصارمة.

ويقول: أن العروبة بلغتها ودينها تمتلك قوة جذب ومقدرة فريدة فى أن تمتص فى كيانها شعوبا وقبائل غير عربية "سامية" فتندمج فى الكيان العربى وتكتسب وحدة التكوين الحضارى المتبلور فى التراث الواحد النابعة من وحدة اللغة.

وتتضح مقدرة العرب الفريدة فى امتصاص واستيعاب شعوب وقبائل غير عربية فى بوتقة الامة العربية، اذا ما قارنا تجربة الامة العربية بتجربة قوميات اخرى استطاعت ان تبسط نفوذها على شعوب وقبائل مغايرة لها عرقياً وتفرض عليها لغتها ودينها وحضارتها وتراثها التاريخى ولكنها عجزت عن أن تصهرها فى قومياتها، ولعل أوضح مثال لذلك هم زنوج امريكا ومستعمرات أوربا الافريقية.

وعن الآفاق الانسانية للقومية العربية يقول، أن العلاقة بين القوميات الأوربية والامريكية وبين الملونين كانت ولا تزال علاقة استغلال واستعمار بينما نجد أن العرب كقومية يتحدون تصنيفات الاجناس اللونية، والتقسيمات اللونية الصارمة لا تنطبق على العرب الذين تتوزع الوانهم من العرب البيض فى سوريا ولبنان إلى العرب السمر فى حضرموت إلى العرب السود فى السودان.

وفى افريقيا نفسها تتنوع الوان العرب من الابيض إلى الاسود فى تمازج فريد يجعل من غير الممكن تحديد اى لون بمساحة جغرافية معينة(٢٦).

والعرب كقومية يتحدون الفواصل القارية اذ ينتشرون على جانب الفواصل بين قارتى آسيا وافريقيا. ففى بداية انتشار العرب فى القرن السابع الميلادى كان شبه الجزيرة العربية هو مهد العرب، وانتشر العرب من شبه الجزيرة العربية إلى

الهلال الخصيب ومنه إلى افريقيا فأصبح الوطن العربى يضم قطاعا اسيوياً وافريقياً.

واذا كان العرب يمثلون اهم حلقة وصل بين آسيا وافريقيا، فالسودانيون يمثلون اهم واخطر نقطة التقاء بين افريقيا العربية وافريقيا الزنجية علىطول جبهة عريضة تمتد من الحبشة وارتريا شرقا إلى افريقيا الوسطى غربا، وتضم هذه الجبهة قبائل حامية ونيلية، ونيلية حامية وسودانية وبانتوية اختلط فيها العرب فى الانساب والارحام فاختلطت لهجاتها وحل اللسان العربى محلها نهائيا فاستعربت هذه القبائل.

اما القبائل التى لم تدخل الدين الاسلامى مثل بعض قبائل الانقسنا فى شرق السودان وبعض قبائل النوبة فى وسط غرب السودان والقبائل النيلية والسودانية فى جنوب السودان فقد اصبحت اللغة العربية هى لسانها الوحيد، فانتشار اللسان العربى مرهون بالتفاعل الحضارى بعد تحطيم كافة الحواجز.

ويقول: أن اتفاقية اديس ابابا تكشف فى حد ذاتها ادراك الاستعمار العالمى وإسرائيل لخطورة زحف القومية العربية فى افريقيا وفى السودان بالذات لموقعه الفريد كحلقة وصل وتفاعل حضارى بين القومية العربية فى افريقيا ومناطق افريقيا جنوب الصحراء والجبهة الجنوبية المتحركة للامة العربية تنتقل عبرها إلى جنوب وشرق وغرب افريقيا المؤثرات الحضارية العربية إلى شعوب افريقيا.

لذلك فإن المعركة الحقيقية فى القارة الافريقية هى المعركة بين الحضارة الأوربية الاستعمارية الدخيلة وحضارة العرب الأفارقة الذين يكونون أكبر قومية فى افريقيا.

فالواقع الافريقى بحدوده السياسية الراهنة هو نتاج عوامل معروفة من خارج القارة الافريقية، فقد قطع الاستعمار قبائل افريقيا إلى وحدات سياسية دون مراعاة

حتى بوحدة القبيلة، هذا إلى جانب تعدد اللغات الأوربية والمذاهب المسيحية كل ذلك بغرض تفتيت افريقيا إلى دويلات وتفتيت هذه الدويلات المصطنعة من الداخل .

ومن هنا فإن مسئولية الامة العربية تجاه شعوب وقبائل افريقيا مسئولية تاريخية، والامة العربية عندما يكتمل بعثها ثوريا لقادرة باذن الله وبفضل الامانة التى حملتها أن تمد كيانها فى افريقيا بأسرها(٢٧).

ثانيا: مفهوم الوحدة العربية

يقول الاستاذ بابكر كرار: ان هناك ثلاث اتجاهات لمفهوم الوحدة العربية:

١. الاتجاه الأول يرى أن الوحدة العربية حركة سياسية تهدف إلى انجاز مهام التحرر القومى الكامل من الاستعمار بشكليةالقديم والحديث، والتخلص من التبعية والانطلاق لبناء التقدم العربى بالارادة العربية الحرة.
٢. الاتجاه الثانى يرى أن هذه الوحدة العربية وجدواها الأوحد هو التصدى لدولة اسرائيل.
٣. الاتجاه الثالث يقول بأن الهدف الاساسى لحركة الوحدة العربية هو بناء الاشتراكية فى الوطن العربى.

وفى اعتقاد الاستاذ بابكر كرار أن مفهوم الوحدة العربية لا يعنى بأى حال من الاحوال جمع شتات الامة العربية بطريقة حسابية آلية بضم قطر عربى إلى قطر عربى فثالث ورابع... الخ. فى وحدة فدرالية أو اتحادية أو دستورية أو اندماجية دون مراعاة لحقائق الجغرافيات والتاريخ.

إن هذا المفهوم الخاطئ فى رأيه يسعى للوحدة فى اسرع وقت وبأى ثمن وبأية كيفية. ولا يهم أن تكون الوحدة العربية وحدة تقدمية ام رجعية كما لا يهم التقارب الجغرافى ورواسب التاريخ الحديث كعوامل تدخل فى صميم البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والاستراتيجية العسكرية.

وان هذا المفهوم يستند على أن " التجزئة" هى مصدر مآسى الامة العربية. وهذا المفهوم بقدر ما هو خطير فى مضمونه، فإن تحقيقه عمليا يؤدى إلى تصفية الإنظمة التقديمة. وبالتالى تصفية ثورة القومية العربية الشاملة .

ان شعارا مماثلا، ولكنه اقل طموحا، وهو شعار "وحدة الصف العربى" والذى يعتبره البعض شعارا وحدويا وتطورياً قد نجح إلى حد ما فى الآونة الاخيرة لإرضاخ انظمة تقدمية لمخططات الرجعية العربية والامبريالية العالمية.

ويرى الاستاذ بابكر كرار أن الوحدة بأى ثمن ومع اى قطر أو مجموعة من الاقطار مستحيل تحقيقها، لتعارضها مع مصالح الطبقات الحاكمة فى الاقطار العربية، والتى تمتلك من دساتيرها وقوانينها سلطات "شرعية تمكنها من استعباد وقهر الجماهر العربية" كما تسعى الاقليات الطفيلية الحاكمة، ماوسعها جهدها فى ان تغذى "الشعور الوطنى" داخل حدودها وتعمقه عقليا ونفسيا بالشعارات التى تستهدف الفتك بالوعى القومى بتعميق شعارات "السيادة الوطنية" و"الكرامة الوطنية" و " الشخصية الوطنية"(٢٨).

إن المفهوم الصحيح للوحدة العربية هو النهوض الثورى الشامل فى مواجهة جبهة عريضة من العداوات.

ويوضح الاستاذ بابكر كرار مفهوم النهوض الثورى الشامل بقوله: هو الثورة الاجتماعية التى تتناول كل المجالات الحيوية فى المجتمع، الحياة الفكرية، والثقافية والاخلاقية والروحية. والأوضاع التشريعية والدستورية والادارية.. والعلاقات الانتاجية بين ابناء الشعب.. وتحرير وتطوير الثروة الوطنية، وتطوير المؤسسات المالية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والاعلامية والمنظمات الجماهيرية الديمقراطية والتنظيمات السياسية.. واهداف ووسائل وأدوات السياسة الخارجية.

هذا التغيير الثورى الشامل فى الواقع الوطنى يؤدى بالضرورة إلى تغيرات واسعة فى مستوى الوعى القومى والنضال القومى. وبالتالى فإن ذلك يقود إلى

تقريب الجماهير العربية والجهود العربية إلى مواقع الوحدة العربية بين الاقطار العربية جميعا(٢٩).

ويفسر ما يقصده بحقائق الجغرافية والتاريخ بقوله: ان وحدة مصر وليبيا والسودان وحدة طبيعية ومنطقية بل وحتمية تاريخيا وجغرافيا. كما ان اى وحدة جزئية فى العالم العربى تمثل ارادة شعبين أو اكثر من شعوب الامة العربية هى خطوة وحدوية متقدمة تقرب من يوم الوحدة الشاملة وهذه الوحدة الجزئية تكون اكثر واقعية وصلابة اذا استندت لحقائق الجغرافيا والتاريخ حسب الحدود المشتركة وسهولة سد الفجوات الناشئة من اختلاف مراحل التطور(٣٠).

اذاً فالمشكلة كما يرى هى تسوير الامة العربية حتى تستطيع ان تغير الواقع العربى، واقع التجزئة وليس العكس.

ثالثا: ازمة العمل العربى

على ضوء الواقع العربى فى الفترة ما بين عامى ١٩٦٧ - ١٩٧٧ يمكن اعتبار تلك الفترة هى المرحلة التى سيطرت فيها لاستراتيجية الامريكية فى المنطقة.

وهى الفترة التى تبدأ عقب انتهاء حرب يونيو ١٩٦٧م وبصورة عملية منذ ١٩٦٩م ابتداء بانقلاب مايو فى السودان مروراً بمجزرة أيلول فى الأردن عام ١٩٧٠م إلى انتهاء هذه المرحلة فى فبراير ١٩٧٧م.

فى هذه الفترة استطاعت السياسة الامريكية أن تتحكم فى الشرق الأوسط، واتسمت السياسة الامريكية بصفتين رئيسيتين هما:-

١. السرية.
٢. العنف أو "اللا أخلاق"

إن هذين العنصرين لهما آثارهما الضارة فى حياة السودان السياسية وفى الساحة العربية ككل.

فالسرية تتطلب بالضرورة ان يكون العمل السياسى منحصرا فى مراكز قوة معينة، لأن السرية لا يمكن أن تتم داخل نظام ديمقراطى منفتح على كل القوى الإجتماعية.

والسرية فى السياسة تتطلب ابعاد الاجهزة المختصة من المشاركة بما فيها وزارة الخارجية نفسها والدبلوماسيين.

اما الجانب الآخر وهو العنف أو "اللا أخلاق" فهو نتاج طبيعى وملازم للسرية ويمكن أن نجد صورته واضحة فى السودان ابان حكم نميرى، ذلك إن العنف فى الحياة السياسية دخل السودان لأول مرة ابتداء من عام ١٩٦٩م وهى الفترة التى سيطرت فيها السياسة الامريكية على السودان.

والعنف يعتبر شيئا جديدا على الواقع السودانى سواء فى ادارة الصراع السياسى أو فى تحقيق أهداف السياسة الخارجية السودانية. وقد أخذ السودان كمثال باعتباره جزء من الأمة العربية.

ونتيجة لذلك لابد من أن تكون هناك نظرة استراتجية للواقع، لأنها بجانب أنها تكسبنا قدرةعلى الأستمرار فى مواجهة كل الضغوط والهجمات الاستعمارية والصهيونية والرجعية فهى أيضا تستهدف الكشف عن الأخطاء التى حدثت وتعريتها، لأن كشفها يساعد على تقييمها ومراجعتها حتى يكون العمل قائما على أسس علمية سليمة ولا يكون قائما على أسس خاطئة(٣١).

وفى الحديث عن أزمة العمل العربى نجد أن الحقائق تؤكد على أن جبهة الاستعمار والصهيونية قد أخذت بزمام المبادرة فى اختراقاتها المستمرة لقوى الثورة العربية والأنظمة العربية.

إن الهزائم المتكررة والمتلاحقة التى تعيشها الأمة العربية هى فى الأساس حصيلة سياسات الأنظمة العربية فى محاولاتها لايجاد تسويات سياسية تؤمن بقاء هذه الأنظمة فالسياسات عندما تعبر عن وجهة نظر النظام القائم، بدون وضع اى

اعتبار لما تمثله حركة الجماهير وقواها الاجتماعية المختلفة تصبح سياسات راضخة للضغوط الاجنبية ومشروطة بتصورات خاصة لهذه الضغوط مما يؤدى فى النهاية لتجريد النظام من قوته الذاتية وذلك بعزله عن القاعدة الشعبية العريضة. وعكس ذلك ما نلاحظه فى التحرك السياسى للعدو الاسرائيلى الذى يؤكد على الدوام استناده على توازن القوى السياسية الداخلية فى مساوماته مع الاطراف الاخرى العربية والدولية.

كذلك لا يمكن تجاهل ازمة القوى التقدمية بشكل خاص وهى ازمة داخل كل الاقطار العربية وعلى المستوى القومى، علما بأن القوى التقدمية هى المعنية باحداث انفراج فى صور واشكال العمل العربى، فالجبهة الاستعمارية وهى تأخذ بزمام المبادرة قد خطت خطوات عريضة لاحداث ردة سياسية واسعة فى مواقع الثورة العربية، فى حين تحولت قوى الثورة العربية إلى مواقع الدفاع وسياسات ردود الفعل مما اضاع الكثير من الفرص المتاحة للتقدم العربى بوجه عام.

وأن تأزم قوى الثورة العربية وعجزها عن تحريك العمل السياسى لاكتساب مواقع جديدة ناتج فى الاساس من عدم وضوح الاهداف الاستراتيجية والرؤية المستقبلية بشكل قاطع وانغماس فصائل قوى الثورة العربية فى الصراعات الحزبية الضيقة فيما بينها، وعدم قدرتها على بناء حركات شعبية وجماهيرية وتعبئة الرأى العام الوطنى والقومى فى مواجهة السياسات والاختراقات الاستعمارية، مما أدى إلى عزلتها وشعورها باليأس فى مواجهة الخط الاستعمارى الصهيونى الرجعى(٣٢). وهذه الاختراقات من قبل جبهة الاستعمار والصهيونية والرجعية قد شكلت الواقع العربى الراهن بما يخدم مصالحها الذاتية القائمة على معاداة تقدم وتطور الشعب العربى على النحو الاتى:-

١. بعد غياب عبد الناصر - برز بصورة واضحة تزايد سيطرة الدوائر الاستعمارية والرجعية على اجهزة الدولة وعلى المؤسسات الاقتصادية عن

طريق تقوية المراكزالاقتصادية للرجعية المحلية بجانب التحكم فى "اتجاهات" التطور الاجتماعى والاقتصادى بحيث يخدم مصالح القوى التقليدية اليمينية والطفيلية داخل المجتمعات العربية اضافة إلى التحكم فى اتجاهات السياسة الخارجية.

٢. انحسار وانعدام الحريات الديمقراطية وحكم القانون قد اتاحا لاعداء الحرية والتقدم والوحدة الوطنية فى الاقطار العربية فرص التسلل والسيطرة على مراكز التحكم فى الانظمة العربية.

٣. ومن نتائج انعدام الديمقراطية والمنظمات الديمقراطية وغياب الحركة الشعبية الديمقراطية هبوط الوزن الدولى للامة العربية وتزايد العجز فى القدرات الدفاعية العسكرية وبالتالى التدهور التام والتنصل من القضية الفلسطينية.

٤. تزايد سيطرة الدوائر الراسمالية العالمية على الثروات العربية النفطية.

٥. تمزيق وتصديع وحدة الامة العربية واسقاط كل المقومات لتحرير الارض وبناء تقدم حقيقى لمصلحة شعوب الامة العربية. وذلك من خلال ضرب جذور مقومات القومية للامة العربية من داخلها تحت شعار ضرورة "انفتاح" الامةالعربيةعلى الاقليات القومية والدينية داخل الوطن العربى، ليس بقصد تثبيت حقيقة وحدة الامة العربية ودعم مقوماتها القومية، بل بغرض اذكاء النعرات الطائفية والاقليمية وتكريس العنصرية العرقية.

ان التلاعب بالمشاعر الدينية لدى الكثرة الغالبة من ابناء الامة العربية فى قضايا لا تمت للدين بصلة بواسطة قيادات طائفية ليس لديها ارتباط عميق بالمشاعر الدينية قد ادى إلى التناحر الدموى والعزلة بين ابناء الامة العربية ومكن فى نفس الوقت قوى الاستعمار والصهيونية.

٦. توطيد دولة اسرائيل وجعلها مركز الثقل العسكرى والسياسى والاقتصادى وتطويع الانظمة العربية وارغام القوى الاجتماعية بالتكيف على مقتضى القبول بمركز الثقل الاسرائيلى كحقيقة استراتيجية فى المنطقة العربية(٣٣).

أما الادوات الاستراتيجية لجبهة الاستعمار والصهيونية والرجعية فإنها تتمثل فى الاتى:-

١. الاعتماد على الأنظمة الرجعية العربية فى تنفيذ الاهداف الاستراتيجية فى الوطن العربى.
٢. اقامة محور عربى – اسلامى رجعى.

وهذا تم بعد القمع المتزايد للقوى الوطنية التقدمية داخل الاقطار العربية والاسلامية وتحت السيطرة التامة على جهاز الدولة.

٣. الاعتماد على نشاط اجهزة المخابرات الاجنبية.
٤. الاعتماد على نشاط الخبراء والاختصاصيين الاجانب فى المجالات العسكرية والاقتصادية والمالية والتجارية.
٥. الاعتماد على المؤسسات التعليمية والثقافية والفنية والاقليمية والقومية والدولية(٣٤).

وللخروج من الازمة يمكن اتباع العديد من الخطوات الحاسمة منها:-

أولا: اكتساب الرؤية الاستراتيجية المستقبلية المشتركة لكل فصائل قوى الثورة العربية.

ثانيا: التعامل مع الواقع العربى استراتيجيا عن طريق تاسيس "مركز قوة" لحركة الثورة العربية.

ثالثا: التحرك فى جبهة عريضة فى الوطن العربى من "مركز قوة" فى مواجهة المخططات الاستعمارية المستقبلية وتصفية كل المواقع التى اكتسبتها جبهة الاستعمار والصهيونية والرجعية والسير فى طريق انجاز مهام الثورة العربية.

رابعا: ضرورة ربط كل هذه الخطوات بجدول زمنى. (٣٥)

ولتأسيس "مركز قوة" تكون البداية بالخطوات التالية:

أولا: انضاج الفكر والعمل الثورى داخل كل قطر عربى

انضاج الفكر الثورى يتم باستكمال البرنامج السياسى انضاج العمل الثورى يكون بالنضال اليومى المستمر بهدف اعادة ترتيب القوى الاجتماعية من جديد على ضوء البرنامج السياسى.

ثانيا: تفجير طاقات الشعب العربى بتحرير الارادة ورفع القدرات الوطنية.

ثالثا: العمل على كشف "الازمة السياسية" داخل كل نظام عربى.

رابعا: تعرية الأزمة الاساسية بطرحها بصورة جديدة من موقع الالتزام الوطنى والقومى وربط كل اطراف الازمات الثانوية بالازمة الاساسية على النحوالذى يجعل تصور امكانية حسم كل المهام الوطنية والقومية داخل اى قطر عربى فى حدود الممكن وبالتالى فى حدود امكانية العمل السياسى(٣٦).

خامساً: ثورة يوليو والتيارات السياسية داخل مصر

تباينت وجهات النظر حول ثورة يوليو فالبعض يذهب إلى القول بأن الثورة كلها خراب كما يدعى توفيق الحكيم، فى حين يرى البعض الآخر بأن الثورة لا يشوبها شئ.

وبين هذين الرأين كان للاستاذ بابكر كرار رأيه الخاص فى ٢٣ يوليو حيث يقول:- لا نستطيع أن نعطى ثورة يوليو وزنها الحقيقى إلا إذا أحطنا بالظروف التى نبتت فيها الثورة والصعوبات التى واجهتها.

ذلك لان هناك ظروفا خارجية وأخرى داخلية قد واجهت الثورة منذ قيامها فإذا نظرنا إلى الموقف العالمى فى ذلك الوقت نجد أن الثورة قد قامت أثناء فترة الحرب الباردة والصراع المحتدم بين المعسكرين الامريكى والسوفيتى مما أدى لأن تضع الحرب كل ثقلها على الوطن العربى، اضافة إلى أن الموقف كان يقتضى من بقية

الدول الوقوف مع أحد المعسكرين، أما الانفتاح على العالم الثالث وتأكيد اســتقلاله، وعدم الانحياز، وحركات التحرر الوطنى، فإن كل ذلك قد جاء نتاج لنضال شعوب العالم الثالث وفى مقدتها ثورة ٢٣ يوليو.

الناحية الثانية والتى جاءت كنتيجة لافرازات الحرب الباردة هى قيام دولة اسرائيل كحقيقة واقعة حيث اصبح الخطر الصهيونى ماثلا أمام أعين العرب وامام مصر. ومن هنا كان ضياع القضية الفلسطينية بعد اعتراف المعسكرين بالوجود الاسرائيلى.

ومن جهة ثالثة فإن ثورة يوليو عند قيامها كانت مصر نفسها والاقطار العربية والاسلامية تحت السيطرة المباشرة للاستعمار بجميع اشكاله سواء كان احتلالاً عسكرياً او استيطانياً.

ووسط هذا الجو المظلم لم تجد الثورة لها حليفاً غير الشعوب المبعثرة والمقهورة، على خلاف ما حدث بعد ذلك حيث قام عبد الناصر بمساندة كل الثورات التى اندلعت فى الاقطار العربية وفى آسيا وافريقيا.

أما الصورة الداخلية لمصر فيرى الاستاذ بابكر كرار أن الثورة لم تنتزع السلطة من الاحزاب لأن السلطة اساسا كانت متمركزة فى يد البريطانيين والاقطاع ورأس المال ولم تكن فى يد الاحزاب أو القيادات السياسية أو الشعبية ومن الخطأ القول بأن السلطة قد انتزعت من الاحزاب، بل انتزعت من الاحتلال البريطانى بدليل أن الصراع كان مع بريطانيا وأن القضية لم تحسم نهائيا الا عندما تم جلاء القوات البريطانية بمعركة عالمية فى عدوان ١٩٥٦م والذى تواطأت فيه دول عظمى وبأندحار قوات الاحتلال تم الاستقلال.

أما التيارات السياسية والتنظيمات السياسية فجميعها لم تكن السلطة بيدها وانما كانت تتصارع فى اطار سلطة محدودة لذلك لا يصح القول بأن عبد الناصر قد كان

فى صراع مع الاحزاب مع نسيان ان الاحتلال كان موجودا وأن الملك كان مستندا على الاحتلال نفسه ولم يكن الاحتلال مستنداً على الملك.

ويمضى قائلا: عند قيام ثورة يوليو كان داخل مصر ثلاثة تيارات أساسية.

١. التيار الاسلامى. والذى أخذ مصر الاسلامية كأساس لاسترداد مصر واستقلالها. وهذا التيار لا يرى عظمة مصر وامجادها الا فى تأكيد اسلامية مصر هذا التيار أخذ أشكال متعددة على رأسها حركة الاخوان المسلمين.

٢. التيار الثانى هو التيار الوطنى وبدأ منذ ثورة عرابى إلى ثورة ١٩١٩م . هذا التيار أخذ أشكالا متعددة على رأسها حزب الوفد المصرى الذى كان يحظى بشعبية واسعة. نادى وأكد على مصرية مصر بمعنى استرداد السيادة للشعب المصرى لأن السلطة فى يد الحكم العثمانى وفى يد الاتراك.

٣. التيار الثالث. التيار الاشتراكى أو التيار الاجتماعى يرى هذا التيار أن القضية فى جوهرها تخلف مصر ويدعو للتغيير الاجتماعى ويمثل هذا التيار الحزب الشيوعى وهناك شكل اشتراكى متطرف كحركة مصر الفتاة.

وهذه التيارات الثلاثة الاسلامى والوطنى والاشتراكى لم يكن لديهم بعد سياسى اكثر من بعد وحدة وادى النيل هذا الشعار يرفعه الوفد المصرى كما يرفعه الحزب الوطنىكما يرفعه الاخوان المسلمون والشيوعيون. اى انه لم يكن هناك بعد للوطنية المصرية بشكل مشترك ومتفق عليه غير بعد وحدة وادى النيل، كما أن الرؤية القومية لدى هذه التيارات قد كانت متخلفة، لذلك عند مجئ عبد الناصر وجد صداما من هذه التيارات فالحزب الشيوعى مثلا انتقد ثورة يوليو ولكن ليس بمنطقهم فى عام ١٩٥٢م وماقبلها، فالاحزاب الشيوعية كانت تسير فى خط معاداة القومية العربية بل يذهبون إلى تقسيم الاراضى الفلسطينية ولكن وبعد ثورة ٢٣ يوليو أصبح الحزب الشيوعى من الداعين لتحطيم الدولة

الاسرائيلية. وهذا الموقف المتقدم قد اكتسبه الحزب الشيوعى بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو .

كذلك التيارات الاسلامية كان طرحها للبعد القومى متخلفا حتى العمق وكذلك البعد الاسلامى فيما يتعلق بالتغير الاجتماعى كان متخلفا فى شكل السلطة والدولة. علما بأن الشيخ حسن البنا كان يدعو لنظام الحزب الواحد فى كتاباته، وعندما حطمت ثورة يوليو الاحزاب ودعت إلى فكرة التنيظم الواحد، دعا الأخوان المسلمون فى مصر إلى قيام الأحزاب.

لذلك عند النظر لتلك التيارات يجب النظر اليها بما كانت تطرحه قبل قيام ثورة يوليو.

وعند مجئ عبد الناصر ورث هذا الوضع الداخلى، فاستطاع تجاوز السلبيات والاخذ بايجابيات تلك المرحلة وأكمل فكر الثورة العربية بشكل رائد وفريد ومن هنا كان تأكيد عروبة مصر وربطها بالثورة العربية. وينتهى الاستاذ بابكر كرار إلى القول: بأنه فى حالة تقيمنا لثورة يوليو لابد من النظر إلى انجازاتها وتطلعاتها. فهناك انجاز وتطلعات ولكن هذه التطلعات يحول بينها سلبيات المجتمع المصرى نفسه، فيحدث خلط بين نقص وتغييرات فى الثورة وبين سلبيات المجتمع المصرى(٣٧).

ثالثاً: مكاسب العرب من شخصية عبد الناصر

يعتبر الأستاذ بابكر كرار من المعجبين بشخصية جمال عبد الناصر وقد كتب فى جريدة الاخبار السودانية مقالا تعرض فيه لشخصية عبد الناصر واصفا اياه بالمكسب بالنسبة للعرب وذلك لاعتبارات عدة من بينها:- أن شخصية عبد الناصر قد أصبحت ثروة قومية للشعوب العربية بأسرها لا الشعب المصرى وحده وذلك لاعتبارات جغرافية وتاريخية ولإعتبارات شخصية ذات ارتباط بشخصية عبد الناصر.

فشخصية عبد الناصر قد نبعت من مصر. ومصر ذات حضارة قديمة وتاريخ عريض عنى وخصب تتطلع اليه أفئدة البشرية اينما كانت. ومصر هى المدخل للشرق والعربى وآسيا من الغرب وهى اليوم المدخل الطبيعى لافريقيا. بجانب أن الشعب المصرى هو طليعة الشعوب العربية والافريقية التى تناضل من أجل التحرر والعمار وأن الحركة الوطنية المصرية حتى اليوم هى أنضج واخصب وأصلب الحركات الوطنية فى الشرق العربى.

لذلك فإن الاساس فى زعامة عبد الناصر للنضال العربى الأفريقى مستمد من الواقع الطليعى .

أما المزايا الشخصية التى توافرت فى جمال عبد الناصر وجعلت منه ثروة قومية ضخمة للعرب جميعا هى:-

١. قيادته لثورة ١٩٥٢م من أخطر قلعة من قلاع الاستعمار والرجعية فى الوطن العربى وهى القوات المسلحة المصرية.
٢. إستمساك عبد الناصر بالمنهاج الثورى المتطور ضد الاستعمار والرجعية العربية الخائنة(٣٨).
٣. وعى عبد الناصر بوحدة نضال الأمة العربية والشعوب الأفريقية ضد الإستعمار والإحتكار والصهيونية وتأمين تطورالشعوب العربية والأفريقية تطورا حرا مستقلاً.
٤. الانتصارات التاريخية المجيدة الخالدة التى حققها عبد الناصر فى جميع معارك الشعوب العربية والافريقية ضد الاستعمار.
٥. الصفات الخلقية والذهنية العالية التى يتمتع بها عبد الناصر فى توجيه الحركة الثورية التحررية فى الشرق العربى وافريقيا
٦. الثقة المطلقة التى أولتها الشعوب العربية والافريقية لجمال عبد الناصر.

هذه الاعتبارات كلها جعلت شخصية عبد الناصر شخصية عربية افريقية وذات مدلول سياسى ونضالى فى العالم بأسره حتى أطلق الغرب والشرق عبارة "ناصر زم" وهى فى الشرق والغرب تعنى "المعجزة" التى أخذت تلقف كل مطامع الطامعين فى الشعوب العربية والافريقية. ومن ثم كان هذا الهجوم المسعور المجنون على عبد الناصر وعلى قاعدته مصر من الاستعمار والاحزاب الشيوعية المغامرة العدوانية ومن الرجعية العربية الخائنة.

وشخصية فى قامة جمال عبد الناصر كان لابد من أن تتعرض للكثير من الهجوم والنقد. وقد هاجمه خالد محى الدين بقوله: إن فكرة الانتقاء هى عقدة جمال عبد الناصر وانه ينتقى الافكار ليتميز.

هذا الهجوم قد قادنا لالقاء مزيد من الضوء على شخصية جمال عبد الناصر من خلال رد الاستاذ بابكر كرار على هذا الهجوم حيث يقول: إن هذا التحليل فيه شئ من الحق لأن عبد الناصر كان ينتقى ولكن لا ليتميز وانما ليميز الامة العربية والثورة العربية من الثورات الأخرى.

وإن عبد الناصر لا ينتقى الافكار حرفيا وانما ينتقى الافكار التى تسير فى خط الثورة العربية. ومن هنا يمكن اعتباره مفكرا من الطراز الأول لأنه ينتقى الافكار ويمضى قائلاً: لو أخذنا بمنطق خالد محى الدين فإن كارل ماركس لم يأت بفكرة جديدة بل هو نفسه كان ينتقى من هذا وذاك، وان من يقرأ تاريخ الفكر الاشتراكى يجد أن ماركس لم يأت بشئ جديد بل كان ينتقى أيضاً. فكيف يكون المنتقى كارل ماركس مفكراً ولا يكون عبد الناصر مفكراً.

اذاً فإن عبد الناصر ينتقى ليبحث ويقبل ويرفض على حسب ما يتفق مع هذا الكيان العربى وينبذ ما لا يتفق معه(٣٩).

سابعاً: الحركة الفدائية الفلسطينية

ما زال الاحتلال الصهيونى قائماً على ارض فلسطين والشعب الفلسطينى مطروداً من وطنه. وما زال فشل الانظمة العربية فى تحقيق انتصار عسكرى حاسم قائماً.

ومن هنا نشطت الأعمال الفدائية داخل الاراضى الفلسطينية فى محاولة منها لتأكيد قضيتها.

ويعرف الاستاذ بابكر كرار الهدف من العمل الفدائى بقوله: ان العمل الفدائى يستهدف اشاعه الذعر والاضطراب فى صفوف الاعداء بالقتال المسلح وأعمال التخريب والتدمير والحرب النفسية على النحو الذى يجعل الكيان السياسى والاجتماعى والاقتصادى والعسكرى للاعداء يتزعزع ويتزلزل كله فلا يقوى على الإستقرار وتوفير الطمأنينة الكافية لعمليات الانتاج والامن للسكان.

كما أن العمل الفدائى يجعل انتصار العدو انتصاراً حاسما ونهائيا أمراً صعباً ومستحيلاً. اضافة إلى أن العمل الفدائى يطرد روح اليأس فى صفوف المناضلين ويحفظ جذوة الامل مادام العمل الفدائى متصلا ومتلاحقا (٤٠).

وعن الحركة الفدائية كتب الاستاذ بابكر كرار بجريدة الصحافة عن الحركة الفدائية والدروس التى استفادتها اسرائيل من عدوان ١٩٥٦م وعدوان ١٩٦٧م حيث ذهب إلى القول: بأن اهداف العدوان الثلاثى على مصر كانت تتضمن :

- انهاء الحركة الفدائية.
- ضمان حرية الملاحة فى خليج العقبة.
- انهاء التهديد بهجوم عربى من القيادة العسكرية الموحدة للجمهورية العربية المتحدة وسوريا والأردن.

كما أن عدوان يونيو قد وقع ليحقق أهداف الاعتداء الثلاثى وتوسيع خريطة اسرائيل.

وهنا يمكن عقد مقارنة بين معركة ١٩٥٦م و ٥ يونيو ففى الاعتداء الثلاثى واجهت مصر وحدها ثلاثة دول فانهزمت عسكريا ولكنها انتصرت انتصاراً سياسياً وانتصارا تاريخيا كان عميق الأثر على حركات الشعوب المناضلة ضد الاستعمار العالمى فى القارات الثلاث وعزز من المركز الدولى لمصر على النطاقين الرسمى والشعبى.

وفى عدوان ٥ يونيو كانت الهزيمة عسكرية وسياسية على العرب واستمرار الاحتلال العسكرى وتصاعد مكانة اسرائيل فى العالم.

هذه المقارنة قاسية ولكنها الحقيقة التى تقوم كل الشواهد على صدقها.

وهنا يطرأ سؤالان هما:-

أولا: ما هى الدروس التى أستفادتها إسرائيل من غدوان ١٩٥٦م وعدوان ١٩٦٧م.

أولا: إن استمرار وجود إسرائيل يتوقف على إستعدادها للعمل المتواصل لزيادة قوتها الإنتاجية وقدراتها العسكرية وقدراتها السياسية فى الإرتباط بمراكز القوى فى البلدان الصديقة لها. واستعدادها الدائم للتضحية والموت فى سبيل البقاء.

ثانيا: أن لا تثق فى الامم المتحدة وأن لا تحترم قراراتها بعد أن تجرعت "الفيتو" السوفيتى عشرات المرات فى مجلس الامن.

ثالثا: الاعتماد على الولايات المتحدة كلية.

ما هى الدروس التى لم تستفدها الامة العربية فى عدوان ١٩٤٨م -١٩٥٦ – ١٩٦٧م؟

أولا: الإعتماد على القوة.

ثانيا: عدم الثقة كلية فى الأمم المتحدة.

ثالثا: التضامن مع كل مراكز التحرر والثورة والتقدم فى العالم.

رابعا: اعتبار امريكا هى العدو الأول للعرب.

والسؤال الآخر ماذا يعنى استمرار الحركة الفدائية الفلسطينية؟

يعنى استمرار الحركة الفدائية عدواناً رابعاً أكثر وحشية وتخريباً من العدوان فى ٤٨-٥٦-١٩٦٧م وأن شواهد التاريخ الحديث لا تدع مجالا للشك والاختلاج فى هذا.

إن الذين يتحدثون عن تصاعد الحركة الفدائية عليهم أن يضعوا فى الاعتبار – رغم أنوفهم – ضرورة تصاعد القوات العربية على الصمود وعلى التصدى والردع ازاء اى عدوان جديد. بكل ما يحمل العدوان الجديد من توقعات ومفاجئات فى الخطط. وفى الاسلحة وفى الدمار.

اذاً ما هى الضمانات لاستمرار الحركة الفدائية؟

١. الاعتماد على القوة الذاتية للامة العربية.
٢. الادانة الشاملة لحكومة الولايات المتحدة وقطع العلاقات الدبلوماسية والاقتصادية معها على كل مستوى الاقطار العربية واعتبارها العدو الأول للعرب.
٣. تحويل كل الارصدة العربية إلى داخل البلدان العربية فوراً واستخدامها فى تنمية الاقتصاد العربى.
٤. عدم الثقة كلية فى الأمم المتحدة والإعتماد على صداقة الدول المعادية للاستعمار وحركات التحرر والثورة والتقدم فى العالم كله.
٥. دعم القوة العسكرية العربية من الدول الصديقة والمعادية للإستعمار العالمى.
٦. توجيه الاقتصاد العربى كله من أجل المعركة ومن أجل تعزيز الجبهات التى تواجه اسرائيل لردع العدوان الإسرائيلى.
٧. تزويد الفدائيين الفلسطينيين بكل متطلبات تحقيق النصر .
٨. الضمانات العضوية بين ضمانات النصر وحركة التحرر الوطنى.

الضمانات التى يجب توافرها فى معركة الصمود وتزويد الحركة الفدائية بمتطلبات النصر هى فى ذات الوقت شروط التحرر الوطنى فى كل قطر عربى من التبعية ومراكز النفوذ الإستعمارى.

إن الحركة الفدائية ليست المغامرة بالدماء ولا تستهدف تسجيلا لبطولات فردية وانما هى حركة طليعية تستهدف النصر النهائى لامة بأسرها ومن ثم لا يمكن النظر إلى الحركة الفدائية منفصلة عن جذورها فى الواقع العربى.

أن العدوالاسرائيلى لا ينظر إلى الحركة الفدائية ولا إلى العمليات الفدائية باعتبارها مقطوعة الجذور عن العالم العربى كله وعن حركة النضال العربى من المحيط إلى الخليج.

وعن العلاقة بين ألسياسة والحرب يقول الاستاذ بابكر كرار. السياسة هى اعمال العقل والحرب هى أداة من أدوات السياسة ولا يمكن تصور العكس ومن هنا تتضح العبارة المشهورة "ان الحرب هى امتداد للعمل السياسى" والذين يجهلون هذه العلاقة يتوهمون أن العمل السياسى شئ والعمل العسكرى شئ آخر ومن ثم فإنهم يندودن بالعمل السياسى باعتباره نقيض الحل العسكرى. فى الوقت الذى تستقيم فيه مفاهيم العدو الاستعمارى الاسرائيلى لهذه التبعية.

إن المفاهيم السياسية الحديثة للسياسة لا تحصر العمل السياسى فى تحديد الاهداف الاستراتيجية فقط وانما ينسحب العمل السياسى بالضرورة على التخطيط الشامل الذى يضع كل الطاقات البشرية والقدرات المادية فى خدمة هدف واحد هو توفير كل عوامل النصر فى العمل العسكرى(٤١).

وعن الصراع العربى الاسرائيلى يرى أن الامة العربية اذا استطاعت استغلال مواردها فى مواجهة العدوان الاسرائيلى والتى تتمثل فى مواد الطاقة والمواد الخام والاسواق الكبيرة حينها ستكون فى مركز طليعى يمكنها من محاصرة اسرائيل التى تواجه مأزقا حضاريا. ذلك لأن الايديولوجية الاسرائيلية ايديولوجية عنصرية

تواجهها ايديولوجية اممية هى ايديولوجية الامة العربية القائمة على الاسلام والذى يدعو للانسانية جمعاء وهذا الحصار يتوقف على رفع قدرات مصر وتمكينها من اداء دورها المستقبلى.

فالصراع الاسرائيلى العربى فى جوهره صراع حضارى وليس صراعاً عسكرياً ويكون ذلك من منطلق أن الصراع العسكرى نتاج للتقدم الحضارى والا فلماذا انهزم العرب؟ فقد انهزم العرب لأنهم لا يملكون صناعة متقدمة للأسلحة الحربية مما يجعلهم دائما فى حالة بحث عن السلاح من الدول الداعمة لاسرائيل. اذاً السلاح هو وليد الحضارة ومن هنا فإن شعار تصنيع السلاح شعار قوى ولابد من مساندته وبحثه بجدية فى اطار النهوض باقتصاديات الامة العربية ورفع قدرات الامة العربية الإنتاجية .. الخ. مما يؤدى بالضرورة إلى رفع القدرات الدفاعية والقتالية .

ومن ناحية أخرى يقول أن استراتيجية الصراع العسكرى مع اسرائيل استراتيجية خاطئة، فقد كان من الممكن ارجاء الحل العسكرى لحين رفع القدرات العسكرية كما حدث فى الصين التى ارجأت خلافاتها إلى أن استطاعت صناعة القنبلة الذرية ومن بعدها صارت قوة دولية.

وان المنطق الذى يدعو لحسم الصراع عن طريق البندقية لا يفهم القضية فهماً صحيحاً لأن هذا المنطق نفسه هو الذى قاد إلى هذه الهزائم المتلاحقة.

ولكن البندقية تكون عندما تكون بندقية عربية صناعة والذى يحملها عربيا، ولا يمكن مصارعة اسرائيل ببندقية روسية أو فرنسية لانها فى النهاية بندقية الاجنبى الذى يؤمن بوجود اسرائيل وشرعية اسرائيل ويحول دون استخدام هذه البندقية لازالة هذا الوجود(٤٢).

إن العمل على إعداد القوة العسكرية الذاتية للامة العربية أمر بالغ الأهمية وكثير من العناصر الوطنية والتقديمة تخشى التوسع فى القدرات العسكرية خوفاً

على الديمقراطية من المغامرين العسكريين والمؤامرات الاستعمارية ضد الانظمة الديمقراطية ومكتسبات الجماهير.

أن الضمانة الوحيدة ضد التغول العسكرى أو التدخل الاجنبى هو تطوير الحركة الجماهيرية الديمقراطية وتدعيم منظماتها السياسية وتحرير وتطوير الاقتصاد الوطنى على النحو الذى يجعل التغول العسكرى والتدخل الاجنبى أمراً مستحيلاً(٤٣).

المبحث الثالث

قضايا الثورة الافريقية

وعن قضايا الثورة الأفريقية يذهب الأستاذ بابكر كرار إلى أن هنـــاك حقـــائق أساسية فى كل دراسة تتناول قضايا الثورة الأفريقية على أى نحـــو مـــن الأنحـــاء وهى: -

١. ان القومية العربية هى أكبر قومية فى القارة الافريقية.
٢. ان القومية العربية هى أوسع القوميات اختلاطا وتمازجا بالشعوب والقبائـــل والعشائر الأفريقية.
٣. ان الوطن العربى فى أفريقيا هو أوسع الأوطان سعة واتساعا .
٤. ان الثورة العربية هى طليعة وقاعدة الثورة الافريقية فى كل اقطارها.
٥. ان الاسلام هو أوسع الاديان انتشاراً فى القارة الأفريقية.
٦. ان اللغة العربية هي أوسع اللغات انتشاراً فى القارة الأفريقية.
٧. ان اللغة العربية هي أوسع اللغات اختلاطاً باللغات الأفريقية.
٨. ان اللغة العربية هى الأساس العريض للأمهرية والسواحلية والهوسة وهـــذه هي اللغات الأفريقية الأساسية بعد اللغة العربية.

ونجد أن هذه الحقائق الأساسية جاءت وليدة الاختلاط والتفاعل والتمازج والتزاوج بين العرب وبين القبائل والعشائر الافريقية فى هذا الحزام العريض خلال القرون.

وقد جاء هذا الاختلاط والامتزاج لأن هذه المنطقة، منطقة الحزام الجغرافى العريض هى منطقة فراغ حضارى بسبب الجغرافيا والتاريخ.

فى هذا الفراغ الحضارى حدث وتطور ذلك الاختلاط والتمازج والتزاوج على النحو الذى نراه اليوم فى نيجيريا بين العرب والقبائل والعشائر التى كانت تسكن ذلك الاقليم.

وفى تزاوج اللغة العربية بلغات تلك القبائل والذى اعطانا اليوم لغة الهوسة الواسعة الانتشار فى القارة الافريقية.

وهذا اللون الفريد فى التزاوج الأخوى والسلمى نراه بوضوح فى كل الاقطار الافريقية التى تمتد من شرق القارة وجنوب الصحراء إلى غرب القارة .. ولم يقف فى وجه هذا التزاوج إلا عقبات الجغرافيا.

والتواجد العربى منذ فجر التاريخ فى القارة الافريقية كان تواجداً ايجابياً جلب معه كل ما وصل اليه العرب من حضارة ونقلوا إلى القارة الافريقية لغتهم ودينهم العالمى والانسانى الذى حطموا به كل معتقدات الجاهلية وفى طليعتها العنصرية بكل ما تحمل العنصرية من مفاهيم الاستغلال والاستعباد والاسترقاق وبذلك قامت حضارات اسلامية وممالك وسلطنات فى أطراف القارة ووسطها(٤٤).

ان الوجود العربى الاسلامى هو الحقيقة الكبرى فى افريقيا، هذه الحقيقة التى يبذل الاستعماريون والصهاينة كل جهودهم لحجبها عن الرأى العام العالمى.

لذلك فإن المعركة القادمة فى القارة الافريقية هى المعركة بين الحضارة الأوربية الاستعمارية الدخيلة وحضارة العرب الافارقة.

شعار الافرقة فى السودان

يقول الاستاذ بابكر كرار لقد درجت بعض العناصر فى السودان على تصوير افريقيا بأنها قوة لا تتوحد الا لمناهضة الثورة العربية ولمناهضة الوجود العربى والاسلامى، وترفع هذه العناصر شعار " الانتماء الافريقى" للسودان كلما اتجهت الحركة الوطنية نحو تأكيد انتمائها العربى والاسلامى، وكلما رفعت راية النضال ضد الاستعمار والانظمة الرجعية.

ولقد تم طرح شعار أن " السودان قطر عربى اسلامى افريقى، من قبل النظام الحزبى وواصل هذا الطرح النظام المايوى. وتأكيدا للاستمساك بهذا الشعار اضافت حكومة مايو ان "السودان بوتقة للحضارات وللثقافات وللقوميات" وفسرت هذه العبارة على أساس أن السودان ليس عربيا صرفا ولا اسلاميا صرفا ولا افريقيا صرفا. علما بأن هذا هو نفس الطرح الذى تبناه الاستعمار لخلخلة المجتمع السودانى.

ويمضى قائلا: ان العروبة قومية، والاسلام عقيدة، وافريقيا اقليم. فكيف يقع التناقض والتضاد بين هذا الوضع العقائدى والقومى والاقليمى، وكيف يمكن وضع معيار واحد للقومية وللعقيدة وللاقليمية؟

ويضيف ان هذا اللغط والغموض فى هذا الشعار تبنته الدوائر الاستعمارية لحجب حقيقة التكوين العقائدي للشعب السودانى(٤٥).

وقد كان من آثار هذا الطرح السلبى للشعار تحطيم مقومات الوحدة الوطنية فى الداخل واستعلاء العنصرية والنعرات الاقليمية والطائفية المصطنعة بواسطة الكنيسة فى المديريات الجنوبية وفي الحكومة المركزية وفى القوات المسلحة السودانية وذلك بمقتضى اتفاقية اديس ابابا.

ومن هذا الطرح السلبي للشعار يمكن أن نستخلص ما يعنيه وهو: -

أن القومية العربية تعني معاداة الإسلام والوحدة الأفريقية.

- ان الافريقية تعنى معاداة الاسلام والوحدة العربية.
- ان الاسلام يعنى معاداة القومية العربية والوحدة الافريقية.

اذاً ما هو الطرح الايجابى والموضوعى لهذا الشعار ولهذا الثالوث؟

يقول: يعنى هذا الشعار اننا عندما نتحرك فى افريقيا فإنما نتحـــرك ونحـــن مدعمون ومسلحون بكل الثقل العقائدى والحضارى والاسلامى وبكل القوى الثورية لحركة النضال العربى ومبادراتها ومنجزاتها التاريخية والمعاصرة.

واننا حينما نتحرك عربيا فإنما نتحرك من المركز الجغرافى وما يعطيه لنـــا هذا الموقع الجغرافى من معطيات خاصة ومن مزأيا خاصـــة. معطيـــات ومزايـــا التجربة التاريخية الحية الغنية المتشبعة بحيوية الأمة العربيـــة وحركتهـــا القوميـــة والحضارية فى الحزام الأفريقى حيث تلتقى الشعوب العربيـــة بالشـــعوب والقبائـــل والعشائر الأفريقية وحيث يتحقق أعظم تمازج افريقى عربى.

وعندما نتحرك اسلاميا فإنما نتحرك من قاعدة أوسع هى الأمة العربية بكل ثقلها النضالى وبكل قدراتها وامكانياتها.

ومثل هذا الطرح الايجابى يساهم فى توطيد الوحدة الوطنية ويوفر لنا مزيدا من عوامل الامن والدعم لاستقلالنا الوطنى وسيادتنا القومية.

كما أن هذا الطرح الايجابى يساعد على صنع الأسس الفكريـــة والنهـــوض بالبلاد وبالتالى تجديد الحياة السودانية(٤٦).

افريقيا والاسلام

ان التطور الحر المستقل للشعوب الافريقية يتجه نحو المزيد من الارتبـــاط بالاسلام والثقافة العربية.

وفى اعتقاد الاستاذ بابكر كرار أن تطور الوعى العربى بخصائص الأمـــة العربية فى مقوماتها الامية وحدودها المتحركة سيكون هو المنطلق الجديد لوضـــع الخطوط العامة للسياسة الخارجية العربية تجاه القارة الأفريقية.

ويضيف ولتصحيح الأوضاع السياسية فى افريقيا يجب وضع شعار الديمقراطية. ذلك لان القضية الجوهرية فى القارة الافريقية هى قضية الديمقراطية، فى مواجهة الأنظمة الاستعمارية العنصرية التى ترفض حكم الأغلبية فى روديسيا وجنوب وغرب أفريقيا وتفرض حكومات الأقلية على الأغلبية من السكان فى كل الدول الأفريقية جنوب الصحراء .

وكل هذا بغرض قمع الوجود العربى الاسلامى الذى يشكل الاغلبية الساحقة فى كثير من هذه الدول(٤٧).

وانه فى سبيل توطيد الديمقراطية فى القارة الافريقية يجب أن نتجه بكل قدراتنا نحو توطيد العلاقات مع اثيوبيا بصرف النظر عن شكل النظام السياسى، وذلك على الاسس الثلاثة الاتية:-

١. دعم الديمقراطية ووقف النعرات الأمهرية العنصرية والعدوانية على القوى الاجتماعية الاخرى، وعلى نحو خاص المسلمين فى اثيوبيا والذين يشكلون قوة وطنية عريضة وضخمة.
٢. حق الشعب الارترى فى تقرير المصير بحرية تامة تحت اشراف هيئة دولية محايدة ووفق عمليات التصفية الدموية للشعب الارترى .
٣. الرفض التام وبكل قوة لإستخدام مشاكل التخلف تجاه قضية الحرية والتقدم للشعب الأرترى.

وفى تنزانيا يتخذ العداء للوجود الاسلامى صوراً متعددة تحت ستار التنظيم السياسى الواحد الذى يستهدف فى الاساس وضع الدوائر الطفيلية فى مراكز السيطرة فى جهاز الدولة والاقتصاد الوطنى والسياسة الخارجية، ويقوم النظام الحاكم فى تنزانيا بمناهضة الانظمة والقيادات المتحررة فى افريقيا وتشجيع النعرات العنصرية والقبلية والعشائرية فى قمع الوجود العربى الاسلامى وحركات التحرر الافريقية.

وفي تشاد يعمل الاستعماريون الفرنسيون والصهاينة على ابقاء الاغلبية العربية المسلمة والتى تشكل اكثر من ٩٥ فى المائة من سكان تشاد تحت سيطرة اقلية مرتبطة بالاستعمار وذلك تحت شعار التنظيم السياسى الواحد ورفع شعار " الأصالة الأفريقية" بغرض محاربة الثقافة العربية الإسلامية، ويسير الحكم العسكرى فى نفس الطريق الذى سار عليه تمبل باى فى إفقار الشعب ومصادرة الحريات العامة وعزل الشعب التشادى عن الأمة العربية والإسلامية.

ان شعوب الاقطار المجاورة لنا هى فى الواقع أمة واحدة، وان حركة التاريخ تتجه نحو المزيد من التقارب والوحدة بين هذه الشعوب، ومسئولية أبناء هذا الجيل هى إزالة كل الحواجز الجغرافية والفواصل التاريخية وتبرير كل المفاهيم الاستعمارية وتصفية النعرات الإقليمية والطائفية.

وأفريقيا المتحررة من العنصرية والسيطرة الإستعمارية والصهيونية تشكل واقعا مماثلا للواقع العربى في آسيا من حيث واقع التخلف والحاجة إلى النهوض الإقتصادى والإجتماعى بوسائل وادوات العصر الحديث وهى العلوم التقنية فى إجراء ثورة زراعية تشكل القاعدة الأساسية لتطوير الإقتصاد العربى والأفريقى مع وجود الثروة النفطية التى تفتح مجالات أوسع للتعاون العربى الأفريقى.

ان فرص "التعاون العربى الافريقى" تحتم العمل المستمر من أجل توطيد وتطوير عوامل الوحدة الجغرافية والتاريخية والاقتصادية بين الاقطار العربية والافريقية.

ونادى بتكون "مجلس أعلى" بين الجامعة العربية ومنظمة الوحدة الأفريقية والمؤتمر الإسلامى لوضع استراتيجيات عامة فى ضوء الرابطة الجغرافية والحضارية والإقتصادية التي تجمع بين هذه الاقطار وفى ضوء روح الوفاق الدولى والتغيرات الدولية المعاصرة بما يحقق مزيداً من الأمن والاستقلال والتقدم السريع لشعوب هذه الأقطار(٤٨).

مراجع الفصل الخامس

١. بابكر كرار. مادة مسجلة على شريط كاسيت . ــ ليبيا، ١٩٧٥م.
٢. بابكر كرار. ميثاقنا والنهوض الثورى ببلادنا. ــ مصدر سابق.ــ ص ٦.
٣. ـــــــ . "دعوة السلام ولا دعوة الدم" . ــ النيل. ــ ١٩٥٥/٣/٣٠.
٤. ـــــــ . هدم الثقافة الاستعمارية "المتوالية من روائع تراثنا الحى". ــ النيل. ــ ١٩٥٥/٦/١٢٩.
٥. ـــــــ . ميثاقنا والنهوض الثورى ببلادنا. ــ مصدر سابق. ــ ص ١١-١٤.
٦. ـــــــ . حسم عروبة السودان. ــ ط٢. ــ ١٩٧٥م. ــ ص ٥-٧.
٧. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ص ٨-١٠.
٨. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ص ١٣-١٤.
٩. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ١٧.
١٠. ـــــــ . ميثاقنا والنهوض الثورى ببلادنا. ــ مصدر سابق. ــ ص ٢٧.
١١. ـــــــ . حسم عروبة السودان. مصدر سابق. ــ ص ١٩-٢٠.
١٢. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ص ٢١-٢٦.
١٣. ـــــــ . ورقة عمل التحرك العربى فى السودان على ضوء المتغيرات الاساسية فى الواقع السياسى السودانى. ــ القاهرة . ــ اغسطس ١٩٧٧م. ــ ص ٣٤-٣٩.
١٤. ـــــــ . (مادة مسجلة أشرطة كاسيت بطرابلس) . ــ ١٩٧٧م.
١٥. ـــــــ . ميثاقنا والنهوض الثورى ببلادنا. ــ مصدر سابق. ــ ص ١٤٧-١٤٨.
١٦. ـــــــ . المصدق السابق. ــ ص ١٠٧.
١٧. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ١٥٤.
١٨. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ص ١٥١.
١٩. ـــــــ . (مخطوطة لم تنشر، بدون عنوان او تاريخ).
٢٠. ـــــــ . الحوار الفكرى التقدمى مع القوى التقدمية : مادة مسجلة بأشرطة كاسيت. ــ طرابلس ، ١٩٧٧/٨/٣م.
٢١. ـــــــ . المصدر السابق.
٢٢. ـــــــ . ميثاقنا والنهوض الثورى ببلادنا. ــ مصدر سابق. ــ ص ١٨٩.
٢٣. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ص ١٩٠-١٩٣.
٢٤. ـــــــ . "البرلمان طريق مقفول" . ــ صحيفة الصحافة. ــ ١٩٦٨/٥/٢٩م.
٢٥. ـــــــ . "مختلفون بلا خلاف" . ــ مجلة الشورى. ــ ع٥ (١٩٧٥). ــ طرابلس. ــ ص ٨٧.

٢٦. بابكر كرار. حسم عروبة السودان. ــ مصدر سابق. ــ ص ٩٠-٩١.
٢٧. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ص ٩٢-٩٥.
٢٨. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ص ٩٧-١٠١.
٢٩. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ص ١١٤.
٣٠. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ص ١١١.
٣١. مجدى سليم. أزمة العمل العربى. ــ ط١. ــ إصدارات الحزب الاشتراكى الاسلامى، ١٩٧٧م.ــ ص ٥-١٢.
٣٢. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ص ١٥-١٩.
٣٣. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ص ٣٦-٤٠.
٣٤. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ص ٤٣-٤٥.
٣٥. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ص ٦٠.
٣٦. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ص ٧٢-٧٣.
٣٧. بابكر كرار. التيارات السياسية داخل مصر : مادة مسجلة بأشرطة كاسيت. ــ ط١. ــ طرابلس، ١٩٧٧.
٣٨. ـــــــ . عبد الناصر والمناهج الثورية العربية. ــ صحيفة الاخبار. ــ ١٩٦١/١١/٦م.
٣٩. ـــــــ . التيارات السياسية داخل مصر. ــ مصدر سابق.
٤٠. ـــــــ . ماهو الهدف من العمل الفدائى. ــ الصحافة. ــ ١٩٦٨/٨/١٢م.
٤١. ـــــــ . حركة النضال العربى ضد الاستعمار. ــ الصحافة. ــ ١٩٦٨/٨/٦م.
٤٢. ـــــــ . خصائص المجتمع المصرى : مادة مسجلة فى أشرطة كاسيت. ــ طرابلس، ١٩٧٧م.
٤٣. ـــــــ . ميثاقنا والنهوض الثورى ببلادنا. ــ مصدر سابق.
٤٤. ـــــــ . حسم عروبة السودان. ــ مصدر سابق. ــ ص ٥٥-٥٦.
٤٥. ـــــــ .ميثاقنا والنهوض الثورى ببلادنا.ــ مصدر سابق. ــ ص ٣٦.
٤٦. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ص ٣٩-٤٠.
٤٧. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ص ١٤٣.
٤٨. ـــــــ . المصدر السابق. ــ ص ١٤٥-١٤٦.

الفصل السادس

الاجتهادات الدينية لبابكر كرار

النظر فى كتاب الله لا يفتح ذهن الانسان إلى القضايا الخالدة فى الحياة التى كثيراً ما يذهل الانسان عنها فى مضطرب الحياة فحسب، وإنما يشحذ أيضا ذهن الانسان إلى الابعاد البعيدة التى تمتد إليها هذه القضايا من الإبتداء حيث لا إبتداء وإلى الانتهاء حيث لا انتهاء. ومن ثم يزيل عن الانسان بالحق ضيق الأفق النظرى ويمنحه حركة التفكير وشمولها التى تتسق مع حركة الكون كله وشموله.

وللاستاذ بابكر كرار مبادرات واجتهادات دينية بدأت منذ السنة الأولى بالجامعة. حيث يقول الجزولى دفع الله: لقد تم تشكيل جمعية لتفسير القرآن الكريم بالسنة الأولى بالجامعة وقد كان كل أحد من اعضاء الحلقة موكل بتفسير موضوع معين فى القرآن الكريم والإجتماع لمناقشة التفسير من مصدره، وقد تم تفسير سورتى الأنفال والتوبة وكنا نتكلم عن تفسير الرازى وإبن كثير، ولكن بعد ذلك يكون لبابكر رأى مختلف ورأى جديد(١).

ويقول الاستاذ ميرغنى النصرى: لقد أمد الاستاذ بابكر كرار الفكر الاسلامى باجتهادات لم يسبقه عليها أحد فى إطار ربط الفكر الاسلامى بالفكر العالمى المعاصر. واجتهد فى هذا المجال اجتهادات كثيرة كان لها تأثيرها الكبير فى مجرى التفكير الاسلامى. وإننى أشهد له بأنه ليس فقط مفكراً اسلاميا وليس فقط مثقفاً من جملة المثقفين فى بلادنا ولكنه كان من العارفين بالله أيضاً وأنه ليتحدث فى تفسير القرآن بتفاسير لم سبقه عليها أحد. وأن الكشف عن معرفته بالله وعن معرفته بدقائق القرآن لم تأخذ مداها وإنما كانت فى أوساط ضيقه ولسوف ينشرها التاريخ(٢).

وفى ذات الموضوع قال خلف الله الرشيد: لقد كان بابكر كرار لا يقول برأى إلا بعد دراسة وتمحيص وقد قال رأيه فى تفسير الآية الكريمة "وإن خفتم الا

تقسطوا فى اليتامى فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع" وقال إن تعدد الزوجات كان بسبب اليتامى، فقد أفقدت الحروب كثيرا من المسلمين عائلهم وكان لابد من كفالة اليتامى، ولذلك أباح الله تعدد الزوجات حتى يجد الاطفال واليتامى من يعولهم، وقال أن حياة الرسول عليه الصلاة والسلام شاهد على ذلك، فالشاهد أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يتزوج ببكر غير السيدة عائشة رضى الله عنها. وكانت أغلب زيجاته عليه السلام من النسوة اللائى يحتجن إلى رعاية وكفالة .

وأن الشارع أباح تعدد الزوجات كمنهج انسانى رفيع من أنواع الضمان الاجتماعى. وكان يقول إن الذين يناهضون هذه الحجة يعتمدون على التفاسير التقليدية فقط ولا يقيسونها بالمعنى الصحيح الذى يتفق مع النهج الاسلامى الذى يهدف إلى كرامة الانسان وكفالة العيش الكريم له(٣)..

ونتناول فيما يلى بعض القضايا التى عالجها الاستاذ بابكر كرار مجتهداً فيها :

أولا: الله جل جلاله. وجود الله سبحانه وتعالى

يقول: تعتبر جميع الاديان المنزلة أن وجود الله سبحانه وتعالى هو الحقيقة الاساسية الكبرى التى لا مرية فيها والتى تقوم عليها كل الأديان.

والقرآن الكريم يطرح عديداً من الادلة على وجود الله الذى خلق الكون ويهيمن عليه.

ويمكن فى هذا البحث عرض للانماط الاساسية الثلاثة لهذه الادلة وهى:

١. الادلة المستمدة من الخلق والتى يمكن أن نسميها التجربة الانسانية السفلى أو التجربة الانسانية المادية.
٢. الادلة المستمدة من الفطرة الانسانية. ويمكن أن نطلق عليها التجربة الانسانية الداخلية.

٣. الادلة القائمة على الوحى الالهى للانسان والتى يمكن أن نسميها التجربة الانسانية العليا أو التجربة الانسانية الروحية.

وكما يتضح أنه كلما ضاقت حلقة التجربة الانسانية كلما اكتسبت الأدلة أثراً أعمق. فالأدلة المستمدة من الخلق تدل فقط على أنه "يجب" أن يكون لهذا الكون خالق والذىهو المهيمن عليه أيضاً. ولكن هذه الأدلة لا تذهب إلى مدى إقامة الدليل على "وجود الله".

والأدلة المستمدة من الفطرة الانسانية تذهب درجة أبعد إلى المدى الذى تقيم فيه الدليل على "وجود الله اذا إذ أنه فى فطرة الانسان "وعى" بوجود الله مع أن هذا الوعى يرتفع وينخفض من شخص لآخر على مقتضى التفاوت بين صفاء وذكاء فطرة كل انسان.

إلا أن الادلة المستمدة من الوحى الالهى وحدها هى التى تكشف عن نور الله وعن صفات الله الحسنى التى يجب على الانسان أن يتخلق بها اذا أراد أن يصل إلى الغاية من وجوده وهى - اى الادلة المستمدة من الوحى الالهى - التى تكشف طريق معرفة الله والاقتراب منه سبحانه وتعالى.

❖ **قانون التطور دليل على القصد والحكمة**

١. والأدلة الأولى المستمدة من الخلق ترتكز وتدور حول كلمة "الرب" ففى بداية الوحى الالهى للنبى عليه الصلاة والسلام قد أمر " اقرأ باسم ربك الذى خلق" وعلى مقتضى أوثق قواميس اللغة العربية تجمع كلمة "رب" بين معنيين
   - معنى التنشئة والتنمية والتربية، ومعنى الاستكمال والتمام.

ومن ثم فإن مضمون كلمة "رب" هو تنشئة وتنمية وتربية الشئ من حالته البدائية حتى يبلغ تمامه وكماله وبعبارة أخرى فإن جوهر مضمون الكلمة هو "فكرة التطور" ويزيد الراغب الاصفهانى هذه الحقيقة وضوحاً فى كتاب المفردات. فعند

الراغب أن كلمة الرب "فى الاصل هى التربية وهو انشاء الشئ حالاً فحالاً إلى حد الكمال".

ويترتب على هذا أنه فى استعمال كلمة "الرب" اشارة إلى أن كل شئ خلقه الله يحمل طابع الخلق الالهى بمعنى أنه يتميز بخاصية الحركة والنمو والإنتقال طوراً فطوراً من الحالة الدنيا إلى الحالات العليا حتى يبلغ كماله وتمامه وهذه الفكرة قد ازدادت وضوحاً فى آيات أخرى من الآيات التى نزلت فى بداية الوحى "سبح اسم ربك الأعلى الذى خلق فسوى. والذى قدر فهدى" ٨٧/١/٣.

فمضمون كلمة "الرب" هنا قد اتضح وضوحاً تاماً. إن الله يخلق الأشياء ويصل بها إلى كمالها. أنه يخلق الاشياء على مقتضى قوانين وسنن ويهدى هذه الاشياء إلى السبل التى تسلكها لتحقق كمالها وتمامها.

وفكرة التطور قد فصلت تفصيلاً تاماً فى العمليتين الأوليتين "الخلق والكمال" بمعنى أنه ما من شئ خلقه الله إلا وهو سائر إلى كماله "خلق فسوى" فكل شئ خلقه الله يجب أن يصل إلى الكمال الذى قدر له.

والعمليتان الاخيرتان توضح ان كيف يجرى تطور الأشياء وكيف يتحقق كمالها. فكل شئ قد خلق بقدر أى خلق على مقتضى مقياس وقوانين وسنن خاصة لتطوره. وهذه القوانين التى تحكم تطور الشئ كامنة فيه. وأن هذا الشئ قد هدى إلى الطريق. أى أنه يعرف السبيل الذى ينبغى أن يتبعه فىسيره لبلوغ كماله وتمامه. ومن ثم يتضح أن القوة الخالقة ليست قوة عمياء وانما هى مبصرة وتتصف بالحكمة وتعمل بقصد. وهذا القصد هو حركة الكون من الحالة الدنيا إلى الحالة الأعلى والقصد والحكمة تتضحان للعين العادية من خلال الخلق كله .. ومن أدق ذرات الغبار إلى الأفلاك الجبارة التى تدور فى الفضاء لأن كل شئ يتحرك فى الفضاء فى السبل المحددة له لبلوغ كماله وتمامه.

٢. كل شئ مخلوق من زوجين

وحقيقة أخرى تتعلق بطبيعة الخلق أو من خصائص خلق الله وهى أن الله خلق كل شئ من زوجين. يقرر القرآن الكريم أن الله خلق من كل شئ زوجين، أى كل شئ مخلوق. قال تعالى " والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون والأرض فرشناها فنعم الماهدون. ومن كل شئ خلقنا زوجين لعلكم تذكرون" ٤٧/٥١.

❖ **النمط الثانى من الادلة**

عند الانسان فى المكان الأول وعى بوجود الله. هذا الوعى الداخلى بوجود الله يبرز فى كثير من الاحيان فى صورة تساؤل ذاتى، وفى بعض الأحيان يترك هذا التساؤل بلا جواب وكأنما يدفع هذا التساؤل لمزيد من التأمل والتفكير " أم خلقوا من غير شئ أم هم الخالقون. أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون" ٣٦/٣٥/٥٢. وفى بعض الاحيان يجئ الرد على التساؤل " ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن خلقهن العزيز العليم" ٩/٤٣.

وفى موقع واحد فقط فى القرآن الكريم يطرح الله تعالى السؤال إلى نفس الانسان بصورة مباشرة "وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا بلى شهدنا. أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين" ١٧٢/٧.

وفى مواقع أخرى تحدث القرآن الكريم عن وعى النفس الانسانية بوجود الله من ناحية قربه إلى الله " ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد" ٨٥/٥٩.

وعبارة أن الله أقرب إلى الانسان من نفسه تعنى أن وعى الانسان بوجود الله أوضح من وعيه بوجوده ذاته.

فإذا كان وعى النفس الانسانية بوجود الله بهذا الوضوح فكيف تأتى لبعض الناس أن ينكروا وجود الله؟ . هنا لابد أن نضع فى الاعتبار شيئين أولا:- النور الداخلى في كل انسان والذى يجعله واعياً بوجود الله يتفاوت من واحد لآخر. فعند

بعض الناس يقوى هذا النور ويسطع سطوعاً تاماً. وعند كثير من الناس هذا النور خافت ومن ثم ينخفض وعيهم. وثانيا: حتى الملحد أو اللاأدرى يعترف بمسبب الاسباب أو "المسبب الأول" أو "القوة الاعلى" مع انه ينكر وجود إله له صفات معينة وفى بعض الاحيان يستيقظ هذا الوعى عنده وعلى نحو خاص فى حالات الضيق والشدة. ويبدو وكأنما الرخاء والراحة كالشر يصنعان هذا الحجاب ويزيحه الضيق والشدة وهذه الحقيقة يقررها القرآن الكريم فى مواضع عديدة " وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض وناء بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض" ٤١/٥١.

والانسان لا ينطوى على مجرد الوعى بوجود الله فحسب وإنما يصاحب هذا الوعى شوق للاتصال بخالقه. فتطلع الانسان بحكم الغريزة – إلى معونة الله، ففى داخل النفس الانسانية حب لله الذى فى سبيله يبذل الانسان كل التضحيات واخيرا فإن النفس الانسانية لا تجد كفايتها الا فى الله(٤)..

ثانيا: تكامل نظرية التطور فى القرآن الكريم

الأخذ بالاشتراكية العلمية يثير ويضاعف الاهتمام بقضايا التطور الاجتماعى ويساهم فى تفتح الذهن إلى فهم حركة التطور الشاملة فى الكون كله.

وكثير من الكتب الهامة التى تبحث فى تاريخ الفكر الاشتراكى العلمى وفى اصول هذا الفهم الحديث ومفاهيمه تتردى فى الخطأ كلما تطرقت إلى موقف الاسلام من حركة التطور والارتقاء فى الكون والحياة والمجتمعات الانسانية.

وهذا خطأ كبير.. وخطر كبير فنظرية التطور كما ارتآها "دارون" ومؤسسوا النظرية العلمية للتطور من بعده تجد فى " كتاب الله" امتدادها الزمنى "السرمدى" فى الازل والابد بلا انتهاء. وتجد فيه شمولها المادى والروحى على السواء وتجد فيه الحكمة القصد فى حركة التطور السرمدية التى تنبذ العبثية والبطلان ومن ثم يرفع "كتاب الله" عن الانسان حالة الضياع والبؤس والقنوط.

إن الانسان هو اعظم ثمرة لحركة التطور فى الكون وهو الكائن الأوحد الذى يعى حركة التطور فى داخله وفى الكون العريض الذى يحيط به ومن ثم فإن عجزه عن رؤية القصد والحكمة فى حركة التطور يورثه الضياع والبؤس والقنوط. ذلك بأن عجزه هذا يحول بينه وبين الاقتناع بالمسوغ لوجوده المسوغ للوجود كله.

❖ حركة تطور الانسان

يبين القرآن الكريم أن الكائنات الحية تبدأ الحياة من المادة الصماء "من التراب" ثم تأخذ فى حركة التطور على سنن مكتوبة. والانسان وهو أعظم ظاهرة فى حركة التطور يرضخ لقوانين حركة التطور والارتقاء التى يرضخ لها الكون كله.

أولا: نشأ الانسان من تراب الأرض. قال تعالى: "**هو الذى خلقكم من تراب**".

ثانيا: ثم من طين. قال تعالى: "**هو الذى خلقكم من طين**".

ثالثا: ثم من سلالة من طين. قال تعالى: "**ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين**".

وفى اللغة سل الشئ من الشئ نزعه كسل السيف من الغمد. وقوله تعالى من سلالة من طين اى من الصفو الذى يسل من الارض.

رابعاً: ثم كان الانسان فىحالة تشبه حالة النبات. قال تعالى: "والله أنبتكم من الأرض نباتاً".

يقول الراغب أن الانسان من وجه هو نبات من حيث أن بدأه ونشأه من التراب وأنه ينمو نموه وأن كان له وصف زائد على النبات. وعلى هذا نبه إليه تعالى وقوله: "**هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة**".

فالانسان خلق فى احسن تقويم اطواراً لا فى جملة واحدة. من التراب ثم من الطين ثم من سلالة من طين "**ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين**.

قال تعالى: **"لقد خلقنا الانسان فى احسن تقويم"**. وعبارة احسن تقويم فى هذه الآية الكريمة تعنى فيما تعنية القدرة الفائقة على التقدم والارتقاء وذلك بما تنزل عليه من الهدى الالهى.

❖ الصراع هو قانون التقدم والارتقاء

قال تعالى: " **كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض. كذلك يضرب الله الامثال**" الرعد ١٧. وقال تعالى: " ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض" البقرة ٢٥١. وقال تعالى: " وجاهدوا فى الله حق جهاده" الحج ٧٨.

فالقاعدة التى وضعها القرآن الكريم فى عدة مواضع أنه ما من غاية يمكن تحقيقها بلا عمل ومجاهدة فى سبيلها. " **لقد خلقنا الأنسان فى كبد**" البلد ٤. " **وأن ليس للانسان الا ما سعى وأن سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الأوفى**" النجم ٣٩-٤١. "**قل يا قومى اعملوا على مكانتكم انى عامل فسوف تعلمون**" الزمر ٣٩.

❖ حركة التطور دائمة فى الاخرة

أن حركة التطور والارتقاء لا تنتهى بموت الانسان وإنما تستمر بلا توقف فى حالة موته وفى حالة بعثه يوم يقوم الناس لرب العالمين.

فحركة التطور سرمدية صاعدة نحو الله خالق الانسان وواهب الحياة "**إنك** كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه" والانسان فى طريق تطوره وتقدمه نحو الله محكوم بقانون الجزاء الإلهى الذى وسع كل شئ.

"ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلماً" والقائم على الجزاء ترغيباً وترهيباً. وثواباً وعقاباً "إن الله لا يظلم مثقال ذرة وأن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً" . " فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره".

وحركة تطور الانسان فى "كتاب الله" لا تنتهى في الحياة الدنيا وانما تواصل سيرها بلا توقف بعد الموت فى الدار الاخرة فى مسار سرمدى.

قال تعالى فى وصف حالة المؤمنين فى جنات الخلود. " لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الانهار وعد الله لا يخلف الله الميعاد" الزمر ٢٠.

وهذه الآية الكريمة تبين أن فى الحياة الاخرى كما فى الحياة الدنيا – تجرى حركة التطور والارتقاء إذ أن الدرجات العليا التى يرتفع اليها المؤمنون فى الدار الاخرة توحد فوقها درجات أعلى منها حينذاك بلا انتهاء "فوقها غرف مبنية".

ويزيد القرآن الكريم هذه الحقيقة وضوحاً وجلاءً وتوكيداً فى دعاء المؤمنين وهم فى الجنة وهم يطلبون مزيداً من النور ويسألون الرسول أن يزيل العقبات من طريقهم. قال تعالى: " **يا أيها الذين امنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الانهار يوم لا يخزى الله النبى والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبايمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شئ قدير**" التحريم ٨.

إن الجنة ليست مجرد المكان الذى ينال فيه المؤمنون ثمرة أعمالهم فحسب وإنما هى بداية انطلاق التطور الروحى بلا توقف.. إن الدعاء من أجل مزيد من النور " أتمم لنا نورنا" هو تعبير عن تطلع ورغبة وشوق الانسان إلى الاتصال الروحى ذلك التطلع والشوق والرغبة التى لا تعرف حدوداً ولا انتهاء وهذا يكشف أن التطور الروحى فى الحياة الاخرة لا يتوقف. فكل حالة من حالات الكمال يبلغها الانسان تبدو حالة قاصرة بالنسبة للحالة الاعلى التى سوف تتعلق بها أشواق الانسان وتتطلع اليها.

ومن ثم فإن القرآن الكريم يعلمنا أن تطور قدرات الانسان لا تتوقف بموت الانسان. إن الحياة الاخرة هى فى الحقيقة بداية نحو عوالم أوسع بلا حدود. يبدأ الانسان رحلته بعد أن تتحرر الروح من ضيق جسمها المادى.

إن نظرية التطور تجد فى كتاب الله امتدادها الزمنى وشمولها المادى والروحى . وتجد الحكمة والقصد فى حركة التطور السرمدية فى الكون كله. وصدق الله العظيم " ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق واحسن تفسيراً"(٥).

ثالثا: الملائكة فى القرآن الكريم:

الملائكة فى اللغة من "ألك" والملائكة وملك أصله مالك وقيل هى مقلوب عن والمالك والمأكله والألوك الرسالة ومنه الكنى أى ابلغه رسالتى. والملائكة تقع على الواحد وعلى الجميع قال تعالى " **الله يصطفى من الملائكة رسلا**".

١. يبين القرآن الكريم أن الانسان خلق من تراب وأن الجن خلق من نار والقرآن لم يتحدث عن الاصل الذى خلقت منه الملائكة الا أن حديثاً شريفا عن عائشة رضى الله عنها بأن الملائكة خلقت من نور، هذا الحديث الشريف يدل أن الملائكة ليست كائنات مادية ومن ثم فإنهم والجن صنفان مختلفان عن الخلق، ومن الخطأ الظن بأنهم والجن من أصل واحد.

ويتحدث القرآن الكريم عن الملائكة كرسل ذوى أجنحة وصفتهم هذه تتصل بوظيفتهم الروحية فى حمل الرسالات الالهية. وكتب التاريخ المقدس "تاريخ الاديان" تعرض الملائكة بأنها ذوات اجنحة إلا أنه فيما يتعلق بالقرآن الكريم فالخطأ الفاحش الخلط بين جناح الطائر الذى يمكنه من الطيران، وبين جناح الملائكة. فالجناح فى اللغة رمز القوة وفى اللغة العربية تستخدم هذه الكلمة فى معانى عديدة. مثلا قوله تعالى: "لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين" ١٥/٨٨.

وقوله تعالى: " واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين" ٢٦/٢١٥. ففى الآية الكريمة الأولى تعنى عبارة " واخفض جناحك" اى تلطف والمثل العربى هو " مقصوص الجناح" أى فاقد للقدرة على عمل شئ. وهذا يوضح أن كلمة جناح تعنى فى اللغة العربية القوة. ففيما يتعلق بالكائنات غير المادية كالملائكة التى

خلقت من نور فإن الكلمة جناح لا تعنى الصورة المادية لجناح الطائر وانما تعنى القوة على فعل الشئ المناط بها.

٢. من المفاهيم الشائعة ان الملائكة تستطيع أن تتخذ من الاشكال والصور المادية ما تشاء به وهذا المفهوم لا سند له من القرآن الكريم. بل على النقيض من ذلك فإن القرآن الكريم يقرر فى مواضع عديدة فى سياق الرد على المشكرين الذين كانوا يطالبون برؤية الملائكة بأعينهم أو أن يروا ملاكاً يبعث فيهم رسولاً. "وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا" ٤٩/١٧.

ويذكر القرآن الكريم فى موضعين أن الملائكة التى بعث الله بها لنصرة المسلمين لم ترهم أعين الناس. " ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين" ٢٦/٩. وقوله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا أذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها وكان الله بما تعملون بصيراً" ٩/٣٣.

ويبين القرآن الكريم فى موضع آخر إن الشياطين والجن لا يمكن رؤيتهما. قال تعال: " يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون" ٢/٧

٣. مسألتان يجب بحثهما

مسألتان فى القرآن الكريم يجب بحثهما:

أولا: القصة التى رواها القرآن الكريم عن ضيوف ابراهيم ثم ذهبوا إلى لوط عليه السلام وأشاروا عليه بالخروج من المدينة هو واصحابه لأن عذاب الله محدق بها.

وهذه القصة وردت فى هذه السور:

- سورة هود الآية (٦٩) وما بعدها
- سورة الحجر الآية (٥١) وما بعدها
- سورة الذاريات الآية (٢٤) وما بعدها

والفهم العام أن هؤلاء الضيوف كانوا من الملائكة وانهم كانوا فى صورة رجال من البشر، لأن الملائكة وحدهم هم الذين يتخذهم الله رسلا لتبليغ رسالاته لانبيائه وإن الإنجيل يقول – بأنهم كانوا من الملائكة.

ولو كانوا انبياء لبلغوا رسالات ربهم إلى ابراهيم ولوط على النحو الذى تبلغ به الملائكة رسالات ربها وذلك بتبليغ رسالات الله إلى قلب النبى "قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقاً لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين" ٢/٩٧.

فالملائكة مع أنها يمكن أن تظهر فى صورة الانسان إلا أنها لا تظهر للعين المجردة، وإنما ترى رؤية روحية ومن ثم فإنه لو كان ضيوف ابراهيم كانوا من الملائكة فإن ظهورهم لابراهيم ولوط لابد أن يكون ظهوراً روحياً. وفى هذه الحالة فيكون هو الوحى الالهى الذى ينزل على الانبياء، ولو كان ظهورهم للعين المجردة فلابد أن يكونوا من البشر وليسوا من الملائكة.

أما واقعة أنهم لم يأكلوا من الطعام فقد يعنى أنهم لم يكونوا فى حاجة اليه أو انهم كانوا صائمين فى ذلك الحين.

لقد تلقى ابراهيم البشرى باسحاق من غيرهم وتلقى لوط عليه السلام نبأ العذاب الذى سيحيق بقومه من دونهم. "**وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين**" ١٥/٦٦.

المسألة الثانية هى: قصة هاروت وماروت ويهتم المستشرقون بصفة خاصة والمبشرون بصفة عامة بهذه القصة ويستخرجون مما أورده القرآن الكريم عن

هاروت وماروت أن الملائكة ليست كائنات غير مادية ومن ثم فللملائكة رغبات كالبشر ويرمون من وراء ذلك إلى تحطيم الاساس الذى تقوم عليه تعاليم القرآن الكريم عن طريق قصة لا تستند على اساس من القرآن الكريم . هذه القصة كانت شائعة بين المجوس واليهود عن هذين الملكين.

وهذه القصة عند المجوس واليهود تعزى بعض الاعمال السيئة إلى سليمان عليه السلام وهذه المزاعم قد وضحها القرآن الكريم فى قوله تعالى: "واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه" ٢/١٠٢.

ومجمل معنى هذه الآية الكريمة أن اليهود بدلا من اتباع كلام الله آثروا اعمال السحر التى عزوها إلى سليمان عليه السلام – والملكين زعما أنهما كانا ببابل. فالقرآن الكريم يعلن براءة سليمان عليه السلام من الاعمال السيئة ويكذب قصة الملكين بإعتبارهما من افتراء اليهود وبهذا المعنى أخذ كل الثقاة من المفسرين لهذه الآية الكريمة.

أما الحديث الذى رواه الامام أحمد فى سنده فهو حديث وصف بأنه فاسد ومردود.

❖ **طبيعة الملائكة**

مع أن القرآن الكريم يتحدث عن الملائكة باعتبارها كائنات حية إلا أنها ليست كالبشر لها القدرة على التمييز. وفى هذا الصدد يمكن أن يقال أن الملائكة أقرب إلى صفات الطبيعة منها إلى صفات الانسان. ووظيفة الملائكة هى الطاعة وليست العصيان. وفى هذا يقرر القرآن الكريم بوضوح "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" ٦٦/٦.

وما قرره القرآن الكريم فى هذه الآية الكريمة ينقض قصة هاروت وماروت التى يفترى فيها العصيان للملائكة. وبما أن الانسان قد وهب الارادة على التمييز بينما الملائكة لم توهب هذه الارادة فقد كان فضل الانسان على الملائكة. وفضل الانسان على الملائكة قد أبان عنه القرآن الكريم فى أمر الله للملائكة بالسجود لآدم (٣٤/٢).

❖ **وظيفة الملائكة:**

١. يتحدث القرآن الكريم عن الملائكة بصفتها كائنات حية ذات علاقة خاصة بحالة الانسان الروحية.

أن جبريل عليه السلام هو الذى يحمل الرسالة الالهية إلى النبى صلى الله عليه وسلم. "**قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين**" ٩٧/٢.

٢. ويذكر القرآن الكريم الملائكة بصفة عامة بأنها تنزل على المؤمنين بالسكينة. " إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون" ٣٠/٤١

٣. الملائكة هى الواسطة فى حمل الوحى الالهى لأولئك الناس من غير الانبياء كما فى قصة زكريا. "فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب إن الله يبشرك بيحى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصوراً ونبياً من الصالحين" ٣٨/٣.

٤. ترسل الملائكة بصفة عامة لمؤازة المؤمنين فى مجاهدة اعدائهم. "**إذ تقول للمؤمنين ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين ، بلى أن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين**" ١٢٤/٣.

٥. الملائكة تصلى على النبى عليه الصلاة والسلام. "إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً" ٣٣/٢٦.

٦. الملائكة تدعو بالمغفرة للناس جميعاً المؤمنين منهم والكافرين "تكاد السموات ينفطرن من فوقهن والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن فى الارض ألا إن الله هو الغفور الرحيم" ٤٣/٥.

٧. الملائكة هى التى تقبض الارواح. " الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم أدخلوا الجنة بما كنتم تعملون" ١٦/٣٢.

٨. والملائكة توجد مع الجنين فى بطن أمه: جاء فى البخارى عن النبى عليه الصلاة والسلام أن الله وكل فى الرحم ملكاً فيقول يارب نطفة، يارب علَقة، يارب مضغة، فإذا أراد الله أن يخلقها قال: يارب أنثى، يارب شقى أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الاجل؟ فيكتب كذلك فى بطن أمه".

٩. الملائكة هى التى تسجل أعمال الناس " وإن عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون" ٨٢/١٠.

١٠.الملائكة تشفع للناس يوم القيامة. " **وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى" ٥٣/٢٦.**

وما من إشارة واضحة إلى تدخل الملائكة فى حركة العالم إلا إذا اعتبرنا أن تسبيب الموت للانسان من هذا القبيل.

إلا أن الموت هنا يمكن إدخاله فى المجال الروحى للانسان باعتبار أن الموت يخرج الانسان من مرحلة روحية إلى مرحلة روحية أخرى.

وفى القرآن الكريم بعض الآيات الكريمة التى تبين أن للملائكة علاقة بالكون المادى. وأهم هذه الآيات الكريمة هى الآيات التى تتحدث عن خلق آدم وابلاغ الله إرادته هذه للملائكة "سورة البقرة **الآية** ٣٠ وما بعدها. سورة الحجر الآية ٨ وما بعدها. سورة ص الآية ٧١ وما بعدها، وهذه الآيات تبين إن الملائكة كانت

موجودة قبل خلق الانسان ومن ثم أن يكون لها علاقة بالكون المادى وقوى الطبيعة التى أدت إلى خلق الانسان وإن لم ينظر للملائكة باعتبارهما وسطاء تنفيذ إرادة الله، فإن تبليغ الملائكة بخلق الانسان يكون عمليا لا معنى له ومن ثم فإن هذه الآيات تؤدى بنا للاقتناع بأن قوانين الطبيعة تجد التعبير عن نفسها عن طريق الملائكة وبسبب وظيفة الملائكة هذه تسمى "الملائكة رسلاً". قال تعالى: " إن الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس إن الله سميع عليم" ٧٥/٢٢. (٦).

رابعاً: الاسلام والنظام الرأسمالى

ما هو موقف الاسلام من النظام الرأسمالى. بعبارة أخرى ما هو موقف الاسلام من الصراع بين العمل وبين رأس المال؟ والاجابة فى اقتضاب هى:-

حتى لا نقع فى الخطأ القديم ينبغى بادئ ذى بدء أن نفرق تفريقاً واضحاً وبيناً بين هذه الاسماء، رأس المال، الرأسمالية.

فالمال هو مطلق ما يحوزه الانسان من الاشياء لمنفعته، ويكون المال فى صور عديدة لا حصر لها. والنقود صورة واحدة من صور المال.

والمال وجد مع الانسان منذ وجد الانسان ورأس المال هو القيمة التبادلية التى تسعى بطبيعتها الخاصة إلى مزيد من مضاعفة القيمة. وبدأ راس المال نشأته الأولى فى مجتمع صغار منتجى السلع والخيرات فى صورة أصحاب النقود "المرابين والتجار" الذين يقبلون علىالسوق لشراء السلع بغرض اعادة بيعها مرة أخرى مقابل الحصول على ربح. والنظام الرأسمالى هو النظام الذى يسود فيه انتاج السلع الرأسمالى. أى الانتاج الرأسمالى للسلع والذى يسلب فيه المنتجون المباشرون مما لديهم من وسائل الانتاج، فيضطرون إلى بيع "قوة عملهم" وهى كل ما تبقى لهم من وسيلة للانتاج ، ومن ثم ينقسم المجتمع إلى قسمين أو طبقتين. طبقة تملك وسائل الانتاج الأساسية فى المجتمع وطبقة لا تملك وسائل الانتاج. بعبارة أخرى فى المجتمع الرأسمالى تكون "قوة العمل" الكامنة فى الانسان ووسائل الانتاج المادية

كلها سلعة تباع وتشترى ثم خطوة إلى الامام إن المال "مطلق المال" يمكن توظيفه فى الخير ويمكن توظيفه فى الشر.

وبعبارة أخرى يمكن توظيف المال فى التقدم ويمكن توظيفه فى التخلف وهنا نقرأ فىكتاب الله "إنما أموالكم وأولادكم فتنة" أى امتحان.

وفى كتاب الله "ولا تؤتوا أموالكم السفهاء التى جعل الله لكم قياما" أى جعلها لكم سنداً وعماداً لخيركم وصلاحكم وتقدمكم. وينبغى أن لا نخلط بين المال على النحو الآنف الذكر وبين رأس المال لما سبق أن عرفناه.

أن المال سابق لراس المال. وإن رأس المال هو وليد المال، الوليد غير الشرعى الذى ولد نتيجة للتراكم والتكاثر والقبض عن الانفاق. هو وليد الجهد الضرورى الأنانى.

❖ كيف ولد رأس المال

ولد من التراكم – من الربا والتجارة. ومن ثم فإننا نجد طبيعة رأس المال هى طبيعة إحتكارية توسعية وهذه الطبيعة الاحتكارية هى التى تحكم حركة رأس المال وتحدد اتجاهاته الاستحواذية والتوسعية. فى هذه الطبيعة تكمن " ديناميكية" رأس المال ونشأته الأولى وتفسر مراحله البدائية الأولى عندما بدأ بالتراكم والتكاثر، وتفسر لنا اليوم استمرار صورته الأولى المتخلفة جنبا إلى جنب مع التراكم الرأسمالى المتقدم، وهى صورة الأعمال التى تقوم بها اليوم فئات كثرة من الفلاحين والحرفيين والمهنيين وصغار التجار ورجال الخدمة المدنية وكثير من العمال المهرة. هؤلاء جميعا يحاولون أن يحبوا المال حباً جماً ويحاولون أن يتحولوا هم أنفسهم إلى رأسمالية وذلك باستغلال الاخرين وسرقة جهودهم وأكل أموالهم بالباطل بوسائل متعددة بالربا والسرقة والغش والاحتيال والمحسوبية والرشوة والقمار.. الخ. إن الاساليب القديمة المتخلفة التى أدت إلى نشوء رأس المال مازالت قائمة ومستمرة جنباً مع تطور النظام الرأسمالى وسط سلطاته وتحقيق

التراكم الرأسمالى من "فائض القيمة" التى تتضاعف اليوم أضعافاً مضاعفة. الفرق واضح بين المال على اطلاقه وبين رأس المال فى طبيعته الخاصة.

رأس المال هو حصيلة التراكم والتكاثر للاموال والنظام الرأسمالى هو ليد راس المال. هو حصيلة حركة رأس المال ونشاطه خلال قرون مديدة. وهو محتفظ بطبيعته الاحتكارية والتوسعية التى فطر عليها وهى روح الانانية والجشع والهلع التى كانت تسيطر على أصحابه أولئك الذين ألهاهم التكاثر والتراكم.

ثانيا: إن القرآن الكريم عندما نزل به الروح الامين على قلب النبى عليه الصلاة والسلام لم يكن النظام الراسمالى قد ولد بعد. كان فى الغيب إلا أن رأس المال هو بذرة النظام الرأسمالى. وإن توفر شروط حركة رأس المال هى التى تجعل النظام الرأسمالى فى حالة صيرورة حتى يصير "كائناً" قائما بذاته مستقلا بشروط وقوانين حركته وتطوره فيما بعد كما هو واقع اليوم فى عهدنا هذا.

وهنا الامر الذى يهمنا جميعاً ، لقد نزلت آيات محكمات فى هذا الامر.. وواجبنا جميعا ونحن على أبواب ثورة فكرية وروحية وأخلاقية وتشريعية عميقة وشاملة أن تتدبر كتاب الله تدبراً دقيقاً ومليًاً ويقظا ونقياً.

ماذا يقول كتاب الله ؟ لقد أبان عن بطلان الربا وحرمه وجرمه تجريماً مقرونا بأشد اصناف العقاب فى كتاب الله وهو الحرب. قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون".

وهنا يجب أن نقف متثبتين من هذه الحقائق:

١. إن المخاطبة للمؤمنين فيما بقى من الربا أى إن الآية الكريمة تتعقب بقايا الربا فى المعاملات بين المؤمنين وتطارده ولا تقرر الآية الكريمة تجريم الربا ابتداء.

٢. إن االآية الكريمة التى قررت التطهر من كل بقايا المعاملات الربوية هى الفيصل بين المؤمن حقا وبين المؤمن ضعفاً واستدلالاً. "إن كنتم مؤمنين".

٣. إن الآية الكريمة قد أبانت عن العقاب الذى يترتب على قبول بقايا الربا فى المجتمع الاسلامى. وهو "الحرب" وهذا العقاب هو العقاب الذى جعله الله للمعتدين من المشركين والكافرين.

٤. إن الآية الكريمة لم تجعل انزال هذا العقاب فى يد الجماعة المسلمة إن شاءت أقامته وإن شاءت عفت عنه. فلا عفو هنا ولا شفيع.. وهذا يعنى هنا أن تحريم الربا وتحريمه ومعاقبته أمر من أمور الدين لا محيص عنه ولا تفريط فيه .

٥. لقد أبانت الآية الكريمة أنه فى حالة التوبة والامتثال لأمر الله فى ترك الربا ونبذه فإن "رؤوس الاموال" تعود لاصحابها فلا تظلمون ولا تظلمون لأن للمال حرمته ولا حرمة لما فوق ذلكم عن زيادة أو تراكم من ربا.

نحن مطالبون هنا بالوقوف ملياً عند قوله تعالى " لا تظلمون ولا تظلمون" ٢٧٨/٢٠ لأن فى هذه العبارة القرآنية اسقاط واحباط الطبيعة الاحتكارية والتوسعية فى رأس المال الذى هو بذرة النظام الرأسمالى فيها كما ذكرنا آنفاً. وهنا تكمن الفكرة الجوهرية فى تحريم الربا وتجريمه وتشديد العقوبة فيه.

❖ **الربـــا**

١. إغاثة المحتاجين تشكل النظرة الاساسية للاسلام فى المجتمع الاسلامى. وتحريم الربا يستند على نفس هذا الأساس. ومن الآيات الأولى فى مكة " وما أتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما أتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون "٣٠/٣٩.

وهذا التنديد بالربا فى مكة قد جاء التشريع بتحريمه فى المدينة. "الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا

إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا. فمن جاءه موعظة من ربه فأنتهى فله ماسلف وأمره إلى الله ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون " بينما البر هو الاساس العريض للعطف الانسانى فإن الربا هو نقيض العطف الانسانى " وينهيه" ويقود إلى غاية الشح والبؤس العاطفى.

- المقابلة بين الربا والزكاة.

الربا يجعل الانسان أنانيا محبا للمال ومتعطلاً.

- المقابلة بين البيع والربا.

"يمحق الله الربا ويربى الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم" "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين .. الخ". ولهذه الآيات يمكن ضم آية مبكرة "يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون" ٣/١٢٩.

٢. إن تحريم الربا مرتبط ارتباطاً وثيقا بالاخوة الاسلامية فبينما يشكل البر القاعدة العريضة للتعاطف الانسانى يعمل الربا على هدم هذا الاساس . إن المرابى شبه بالذى يخبطه الشيطان من المس حتى أنه لا يستطيع أن يقوم وهذا هو أمر المرابى لا يتورع من إخضاع المحتاج حتى يستنزف منه آخر مليم لزيادة آلافه. ومن ثم فإنه ينمى الانانية فيه إلى أن تتمحى منه كل آثار الشعور التعاطف الانسانى، وبالاضافة إلى هذا فإنه ينمى فى المرابى روح التكاسل والتعطل لأن المرابى بدلا من القيام بأى عمل جسمانى أو ذهنى فإنه يعتمد على عمل غيره وبذلك يعيش طفيلياً على جهد غيره. ففى الصراع الكبير الدائر بين الرأسمالية والعمل فإن الاسلام يناصر العمل وفى تحريم الربا انتصار واضح وحاسم للعمل ومنع للراسمالى من الهيمنة على العمل. وفى معرض تمجيد العمل وتدعيم مركزه فى الاسلام جاء فى القرآن الكريم " **أحل الله البيع وحرم الربا**" لأنه بينما يحتاج البيع إلى استخدام العمل والمهارة فإن الربا لا يحتاج إلى

هذا. وإن نجدة المحتاج هى هدف الاسلام وارضاخه إلى مزيد من الحاجة والبؤس هى هدف الربا. ومن ثم وصف الربا بأنه "حرب" على الله ورسوله "والاسلام".

٣. **الفائدة**

بعض الكتاب يحصرون الربا فى المعاملات إلا أنها تنطبق على القروض بفوائد مهما كانت مدة هذه القروض وانخفاض سعرها.

وفى الحقيقة يصعب أن تضع حدا فاصلا بين الفائدة وبين الربا. بل أن كل فائدة تقود حتما إلى صورة من صور الربا وتنقلب حالة قهر للمدين والمحتاج وهذه حقيقة تشهد بها كل المعاملات فى كل الأمم.

ويقال أحياناً أن تحريم الربا يؤدى إلى نكسة فى المعاملات التجارية وسير الاعمال والعمليات الانشائية وايضا فى تنفيذ المشروعات الكبرى الوطنية وهذا القول قد يكون صحيحاً اذا نظرنا اليه من خلال النظام العالمى المعاصر. إلا إن هذا ليس بحجة على الاسلام الذى يدعو إلى مثل عليا كبرى وإن الحضارة الاسلامية التى قامت على أسس اسلامية متحررة من الربا تدحض هذا القول من اساسه.

إن الحضارة المادية التى قامت فى الغرب قد جعلت الربا والفائدة معاً جزءاً لا يتجزأ منها ومن ثم فيصعب تصور قيام حضارة مشابهة لها دون ان يكون الربا والفائدة حجر الزاوية فيها.

وحتى تقيم المجتمع القائم على الأسس الاخلاقية والتعاطف الانسانى بين الانسان واخيه الانسان لابد من حلول مؤقته وصولاً لهذا المجتمع المنشود(٧)..

خامسا: العقوبات في الاسلام "الحدود"

١. العقوبات في الاسلام يطلق عليها عبارة "الحدود" فى الحديث وفى كتب الفقه. والحدود جمع حد، والحد يعنى الحاجز بين الشيئين الذى يمنع اختلاط احداهما

بالآخر، وحد الزنا والخمر سمى به لكونه مانعاً لمتعاطيه عن معاودة مثله. ومانعاً لغيره أن يسلك مسلكه.

وحدود الله هى الفاصلة بين الحلال والحرام. وهى فى نفس الوقت تعنى العقوبات التى فرضت على من يعتدى على حدود الله ويقترف ما منع الله اقترافه وفى الفقه تقتصر عبارة "الحدود" على العقوبات التى وردت فى القرآن الكريم والسنة المطهرة . اما العقوبات الأخرى التى يحددها أولو الأمر فى الأمة فيطلق الفقه عليها عبارة "التعزير".

٢. وفى قانون العقوبات فى الاسلام فإن الاعتداء على حدود الله لا يقع تحت طائلة العقوبات وإنما يوجب العقاب فى الحالات التى يقع فيها الاعتداء على حقوق الناس الآخرين. فمثلا لا يقع تحت طائلة العقاب فى السهو عن إقامة الصلاة أو الافطار فى رمضان أو الإهمال فى آداء فريضة الحج. إلا أن رفض إخراج الزكاة يوجب العقاب لأن الزكاة بجانب أنها عمل من أعمال البر والإحسان وصورة من صور التقرب إلى الله فهى أيضاً "ضريبة" مالية وهى "حق" الفقير فى مال الغنى وفى الأثر أن النبى عليه الصلاة والسلام كان يعين رجالاً لجباية "الدولة الاسلامية" توضح لنا قرار من حيث أنها "حق" الفقير فى مال الغنى توضح لنا قرار الخليفة أبوبكر الصديق ببعث الجيوش لقتال القبائل التى إرتدت ورفضت إخراج الزكاة بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم. إتخذ أبوبكر الصديق قراره بقتالهم لأن الرفض بإخراج الزكاة على مستوى قبيلة بأسرها يبلغ بلا شك مبلغ الثورة الشاملة. فضلا عن أن تتضافر عدة قبائل على هذا الرفض.

٣. القانون العام فى العقوبات

إن الجرائم التى يعاقب عليها الاسلام هى الجرائم التى تؤثر على المجتمع والجرائم فى هذا القبيل التى نص القرآن الكريم على معاقبة مرتكبيها هى: القتل – النهب – والفساد– السرقة – الزنا – القذف بالزنا.

وقبل البدء فى البحث عن العقوبات الخاصة بكل جريمة من هذه الجرائم يمكن تقرير أن القرآن الكريم قد وضع قانوناً عاماً للعقوبات على الجرائم فى هذه الآية الكريمة فى سورة الشورى. "وجزاء سيئة سيئة مثلها. فمن عفى وأصلح فأجره على الله أنه لا يحب الظالمين" ٤٢/٤٠.

وهذا القانون واسع النطاق فى مجال التطبيق إذ أنه يتسع لحالة الجريمة التى يقترفها فرد ضد فرد آخر كما أنه يتسع لحالة الجريمة التى تقترف ضد المجتمع.

وهذا القانون العام يتكون من عناصر ثلاثة هى:

أولا: السيئة تعاقب بسيئة مثلها.

ثانيا: العقاب على السيئة وصف بأنه سيئة اى شر.

ثالثا: إن العفو مع الإصلاح هو الهدف الأعلى إذا تيسر الوصول إليه.

ويمكن القول بأن "الاصلاح" هو الهدف الأعلى الذي يهدف إليه القانون العام للعقوبات فى الإسلام. وينبغى أن يكون هو الهدف الذى يقصد إليه.

فالعقاب يجب أن يكون على قدر الجرم المرتكب وإذا تيسر العفو الذي يؤدى إلى اصلاح مرتكب الجرم فهو أفضل من توقيع العقاب.. إلا أن العفو المطلق الذى لا يؤدى إلى إصلاح من استحق العقاب فليس وارداً فى هذا القانون العام.

ويتضح فى سياق الآية الكريمة الآنفة الذكر أن القانون العام للعقوبات فى الإسلام لا ينطوى على التطرف الذى يأخذ بقاعدة "السن بالسن" ولا بقاعدة "من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر".

فالغرض من العقوبة هو "الاصلاح" حيثما تيسر الإصلاح سواء ارتبط بتوقيع العقوبة أو بالعفو عنها وإصلاح من إستحق العقوبة.

وعلى هذا النحو من التوجيه وردت آيات عديدة فى القرآن الكريم مثلا: قال تعالى: "وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين" ١٦/١٢٦. وقال تعالى: "الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فأعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله وأعلموا ان الله مع المتقين" ٢/١٩٤.

❖ **الزنا: والقذف بالزنا**

نأخذ الزنا كنموذج لاجتهاداته فى العقوبات حيث يقول:-

أولا: ذكر القرآن الكريم عقوبة الزانى والزانية فى سورة النور وهى مائة جلدة.. قال تعالى: "الزانية والزانى فأجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة فى دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين" ٢٤ -٢.

وجاء فى سورة النساء الآية الخامسة والعشرين وصف عقوبة الزنا على الزوجة غير الحرة ما نصه: **"فإذا أحصن فإن أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشى العنت منكم وإن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم"** ٤.

والآيتان الآنفتا الذكر هما كل ما فى القرآن من آيات تتناول **عقوبة** الزنا ولا توجد أى آية أخرى تختص بعقوبة الزنا.

فعقوبة الزانية المحصنة "أى المتزوجة" هى مائة جلدة عقوبة الزانية المحصنة غير الحرة هى نصف هذه العقوبة أى خمسين جلدة.

لو كانت عقوبة الزانية المحصنة هى الرجم لاستحال تطبيق العقوبة الواردة فى سورة النساء فى الآية الآنفة الذكر. والقرآن لا تناقض فيه ولا استحالة فى تطبيق أحكامه بل " لا تنسخ آياته بعضها بعضاً.

فإذا كان ذلك كذلك فكيف تقسم عقوبة الرجم وهى القتل إلى نصفين.

ثانياً: إن الرجم عقوبة منصوص عليها فى شريعة اليهود.

ثالثاً: إن الوقائع التى أوردها البخارى فى صحيحه تشير بعضها إلى تطبيق الرسول عليه الصلاة والسلام عقوبة الرجم على اليهودى الزانى واليهودية الزانية وذلك بمقتضى شريعتهما اليهودية.

وذكرت إحدى الروايات أن اليهود كانوا يهربون من أحكام شريعتهم ملتمسين يسر أحكام الشريعة الاسلامية فى حد الزنا.

وهذه الرواية تشير إلى تباين حد الزنا فى الاسلام وحده عن اليهودية.

أما بالنسبة إلى الوقائع الاخرى التى طبق فيها الرسول عليه الصلاة والسلام عقوبة الرجم على الزناة من المسلمين فالغالب إن هذه الوقائع حدثت قبل نزول سورة النور والآية الخامسة والعشرين من سورة النساء. إذ أن من المحقق أن سورة النور قد نزلت فى السنة الخامسة بعد هجرة النبى عليه الصلاة والسلام.

والمعروف أن النبى كان يطبق شرع من قبلنا حتى يأتى الله بحكم الشريعة الغراء السمحة.

رابعا: الروايات التى وردت عن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه واضحة الاضطراب والتناقض.

خامسا: إن عقوبة الجلد تهدف إلى إذلال المجرم الزانى أكثر مما تهدف إلى تعذيبه.

من هذا العرض المقتضب يتضح أن عقوبة الرجم عقوبة نصت عليها شريعة اليهود - لا يعرفها القرآن الكريم(٨)..

سادسا: سورة البلد وقضايا العصر

العالم يتصارع اليوم من أجل التقدم سواء كان هذا التقدم اقتصاديا أو اجتماعيا أو تكنولوجيا. ومن خلال ذلك الخضم الهائل من الصراعات يواجه العالم الاسلامى تحديا كبيرا من الدول المتقدمة صناعياً وحضارياً. فلا بد من نهضة لمواجهة هذا الضغط الحضارى من قبل الدول الكبرى ولا بد من معرفة مقدمات التقدم فى داخلنا. كيف يمكن أن نحقق التقدم للشعوب الاسلامية؟.

فى البدء لابد من الرجوع إلى الدين لمعرفته معرفة سليمة وصادقة. فالإسلام بلا شك هو دين التقدم ولكن كيف نبين هذه الحقيقة لجماهير الأمة الإسلامية؟.

وفى القرآن الكريم القضايا الأساسية التى تهم عالم اليوم ويمكن تلخيصها فى ثلاثة مواضع.

أولا: الحرية، فالشعوب تناضل من أجل استرداد حريتها. وفى البلاد المستقلة الشعوب تناضل من أجل تحقيق حريتها الفردية وكرامتها الفردية. إذاً الظاهرة الأولى هى النضال من أجل الحرية وهذه الظاهرة تشمل العالم بأجمعه فى نضاله من أجل الحرية بمعناها الواسع.

ثانيا: التحرر من الفقر، الشعوب تناضل من أجل التحرر من الفقر والبؤس وتحقيق الرخاء. نرى مظاهرات العمال والكادحين تطالب بإنهاء حالة البؤس وتوفير الضرورات وهذا نضال اجتماعى لتحقيق الرخاء والطمأنينة.

ثالثاً: التمزق الروحى، فالعالم يعانى من تمزق روحى وخلقى ويتضح هذا فى إقبال الملايين على المسكرات والإنتحار والإنغماس فى اللهو.

وهذا التمزق الروحى مرجعه إلى فقدان العقيدة أو بطلان العقائد التى كانت تؤمن بها الشعوب فى الماضى. "لذلك فهى تبحث عن معنى لوجودها " المعاناة من التشكك على نحو كبير وصارخ.

هذه القضايا الثلاث تصدى لها القرآن الكريم منذ البدء ففيما يتعلق بالحرية والتخلص من الفقر نرجع إلى سورة البلد "لا أقسم بهذا البلد" فى هذه السورة تصوير عميق للمعنى الأساسى للدين فى تصديه للحرية والتحرر من الفقر، وتوضح السورة الارتباط العضوى بين الايمان بالله والنضال من أجل تحرير الانسان وتحريره من الفقر. ونجد أن هناك دوائر تحاول فصل الدين عن قضايا الدنيا. فالسورة تؤكد هذا الارتباط.

ونتبين هذه العلاقة فى سورة البلد وهى سورة مكية ونقف فى الآية "وهديناه النجدين. فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام فى يوم ذى مسغبة. يتيماً ذا مقربة أو مسكيناً ذا متربة"

وهديناه النجدين "الطريقين" وفى معنى لغة العرب الطريق العالى الشاق "الجبل" فلا اقتحم العقبة. ما هى العقبة؟

هى عقبة وصول الانسان إلى الايمان التام. وما أدراك ما العقبة فك رقبة. بمعنى تحرير الانسان. إذاً العقبة الأولى المعترضه طريق الانسان إلى الوصول إلى الإيمان هى النضال من أجل تحرير الانسان من العبودية. وتحرير الانسان من العبودية هو نضال لطريق الإيمان والتراجع من هذا التحرر وقوف فى طريق الإنسان للوصول للإيمان. ونجد أن هذا تعبير قرآنى شديد فى العبودية كما خانق الانسان من رقبته وفكه من هذه العقبة هو قمة الإيمان.

ثانيا: أو إطعام فى يوم ذى مسغبة. توفير الحاجة فى يوم شديد الجوع أو البؤس لأن الإنسان فى هذا اليوم هو نفسه فى حاجة للطعام. وهنا الإطعام لتحرير المجتمع من الفقر وتوفير الطعام.

وهذه السورة كشفت الإرتباط العضوى بين الإيمان والنضال من أجل تحرير الإنسان وتوفير الرخاء. وهذا جزء من الدين نفسه.

وفى سورة الماعون قال تعالى: "أرأيت الذى يكذب بالدين فذلك الذى يدع اليتيم. ولا يحض على طعام المسكين" فالذى ينكر الدين هو الذى يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين فهو مكذب للدين. الذى تنكر عن أداء هذا الواجب فقد أنكر الدين فهذه الاشياء أصل من أصول الدين والذى ينكر ذلك ينكر الدين نفسه. فالصراع القائم اليوم هو صراع من أجل الحرية والتحرر من البؤس والشقاء.

لذا لابد من توضيح الدين والتبشير به من أصوله الأولى حتى يفهم العالم أن الدين الاسلامى قائم على الانتصار للإنسان.

الناحية الثالثة: وهى توفير الأمن الداخلى وتوفير الطمأنينة الروحية الداخلية، وهذا لا يتأتى إلا بالرؤية الواضحة للعالم كله عالم الغيب وعالم الشهادة. ولابد من دين يكشف عالم الغيب والشهادة. وعالم الغيب أكبر من عالم الشهادة وكل نظرية لا تكشف عن عالم الغيب فهى عملية ناقصة.

والكشف عن عالم الغيب لا يكون إلا فى الدين الإسلامى وحده الذى أكمل الكشف عن عالم الغيب كله. اليوم أكملت لكم دينكم. فى الأديان الأخرى لا يوجد ذلك النور والوضوح فى مشاكل الآخرة. ونجد فى الكتب الأخرى إشارات وغموض شديد فيما يتعلق بالآخرة والموت. الإسلام أوضح ذلك، فالإسلام يملأ الفراغ الروحى. نجد أن المسلمين لم يلتفتوا لهذا الجانب الكبير ولم يربطوا الدنيا بالآخرة على النحو الذى يجعل حياة الإنسان متواصلة .

لذا لابد من كشف ذلك من القرآن الكريم لتوضيح الصورة فى الحياة الدنيا.

ونرجع لسورة البلد مرة أخرى. قال تعالى: "لقد خلقنا الانسان فى كبد" وهديناه النجدين، "الطريقين" إن سار فى طريق الخير فهو فى كبد وإن سار فى طريق الشر فهو فى كبد. والإنسان إيمانه ينقص ويزيد بالعمل.

فالعلاقة عضوية بين العقيدة والعمل كما اشرنا لذلك فالإيمان ثلاثة وسبعون أو ثلاثة وستون شعبة. أعلاها كلمة لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. لا إله إلا الله عملية عقيدة وإماطة الأذى عملية عضوية فالإيمان إذاً قول وعمل. نأتى بعمل فنقول هذا من عمل الإيمان ونأتى بعمل آخر ونقول هذا من عمل الكفر. وليس هناك فاصل بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات " فالفاصل إصطلاحى جاء به الفقهاء لتسهيل الدراسة لما أقبل المشايخ لتدريس القرآن الكريم صنفوا العلم فى أبواب باب كذا وكذا لتسهيل تدريسه فوجدنا مصطلحات الاسلام عقيدة وشريعة.

والأمة الإسلامية اليوم سارت مفارقة للشريعة منذ فترة طويلة. وأخذ التطور يفارق الشريعة خطوة خطوة مما أوصلنا إلى مجتمع اليوم. وصار المجتمع الإسلامى يعانى من إضطرابات سببها البعد عن الشريعة. فالإضطرابات والمظاهرات لا تقوم ضد النظام العادل بل الجائر وذلك للتعبير عما وقع عليهم من ظلم. ولايتم القضاء على ذلك إلا بالرجوع إلى الإيمان بالله والاقتداء بسنة الرسول عليه الصلاة والسلام. فالرسول قد كان خلقه القرآن "وإنك لعلى خلق عظيم" والخلق هو مجمل سلوك الإنسان القائم على المعرفة بالله، والقرآن علمه غير محدود. وهذا العلم عند النبى عليه الصلاة والسلام. قال تعالى: "إنا أعطيناك الكوثر" الكوثر العلم بالقرآن. ونجد أن أخلاق البشر ناقصة لأن معرفتها مستمدة من معرفتها الخاصة. وبما أن الرسول عليه الصلاة والسلام منبع الأخلاق ومصدرها فعلينا أن نأخذ علمنا وأخلاقنا منه عليه الصلاة والسلام وهناك ناحية أخرى وهى أن يطرح القرآن الكريم ككل "أتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض" فليس هناك فارق بين الفكر والعمل. لذا نرفض الثنائية والانقسام الذى يقول بأن هذه عقيدة وهذه شريعة. فالوحدة الفكرية مهمة. ذلك إن التوحيد نضال بين أضداد بين لا إله إلا الله. لا إله نفى إلا الله إثبات أى بين نفى وإثبات. فنجد ثنائية ضدية لاتثبت إن الله موجود إلا بنفى ما دونه. وهذا يتم بنضال يعبر عنه التوحيد لا إله إلا الله.

والدين بطبيعة اعتناقه يوحد بين الإنسان ونفسه ثم يوحده مع الآخرين. فالشريعة هى الدين والدين هو الشريعة والإسلام هو الدين ، فإى لفظة تستخدم تعنى الدين الموحد. فالفكر الموحد يوحد الإنسان والمشتت يشتت الإنسان فلا يمكن القول بأن هذا لديه عقيدة ولكن ليست لديه شريعة. فمثل هذا القول يكون مدعاة لأن تكون هناك ازدواجية فى الشخصية. ومن هنا فلا يمكن أن تكون الشريعة قائمة على قفل البارات ومنع الخمور وبقية الحدود فقط، بينما الأصل هو حرية الإنسان وكرامته القائمة على الفهم الصحيح للدين الاسلامى(٩)..

وهناك العديد من القضايا التى تناولها ويمكن الرجوع إليها. نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:-

١. نشأة البشرية وبداية الهدى الالهى فى القرآن الكريم.
٢. الاستخلاف فى القرآن الكريم.
٣. الشيطان أو الجن فى القرآن الكريم
٤. الجزية فى الإسلام.
٥. مركز الإنسان وقدره فى القرآن الكريم.
٦. الناسخ والمنسوخ فى القرآن الكريم
٧. الكتب المنزلة.
٨. الجهاد فى الإسلام.
٩. الزكاة
١٠. النار فى القرآن الكريم
١١. الجنة فى القرآن الكريم
١٢. محمد الرسول النبى فى القرآن الكريم
١٣. وحدانية البشرية وكرامة الانسان فى القرآن الكريم.
١٤. الله جل جلاله.

١٥. السلام فى الإسلام.
١٦. الوحى فى القرآن الكريم.
١٧. الأنبياء فى القرآن الكريم
١٨. الكون يسمع ويجيب.
١٩. الحور فى القرآن الكريم.

مراجع الفصل السادس

١. الجزولى دفع الله. (مقابلة شخصية). ــ مصدر سابق.
٢. ميرغنى النصرى. (مقابلة شخصية) . ــ مصدر سابق.
٣. خلف الله الرشيد. ــ مصدر سابق.
٤. بابكر كرار. وجود الله سبحانه وتعالى. (مخطوطة). ــ الخرطوم : د.ن، ٢٩٦٨/٣/٢٧م.
٥. ـــــــ . تكامل نظرية التطور فى القرآن الكريم. (مخطوطة). ــ الخرطوم : د.ن، د.ت،. ــ ص١-١١.
٦. ـــــــ . الملائكة فى القرآن الكريم : (مخطوطة). ــ الخرطوم : د.ن، ١٩٦٨م. ــ ص ١-١٢.
٧. ـــــــ . الاسلام والنظام الرأسمالى. (مخطوطة). ــ الخرطوم : د.ن، د.ت.ــ ص ١-٦.
٨. ـــــــ . العقوبات فى الاسلام. (مخطوطة). ــ الخرطوم : د.ن، د.ت. ــ ص ١-٨.
٩. ـــــــ . سورة البلد وقضايا العصر : مادة مسجلة فى أشرطة كاسيت. ــ طرابلس، د.ت.

مقترحــــات

شخصية الأستاذ بابكر كرار أكبر من أن يحتويها هذا البحث، لهذا أقترح بأن تكون هناك دراسات أخرى لاستيقاء الجوانب التى لم يتطرق لها البحث، ومن تلك الجوانب:-

- اسهاماته السياسية فى فترة الستينات من القرن الماضى، والتى يمكن اعتبارها مرحلة نضوجه السياسى.
- لقد ترك رصيداً زاخراً من التراث بالجماهيرية العربية الليبية، يحتاج إلى البحث والتنقيب.
- نضاله مع الفلسطينيين فى سبيل الانتصار للقضية الفلسطينية باعتبارها القضية المركزية الأولى مما أدى إلى اتهامه من قبل المخابرات الأمريكية وبشكل رسمى بأنه المستشار الأول للثورة الفلسطينية.
- مساهماته فى منظمة تضامن شعوب أفريقيا وآسيا الآفرواسيوية، وما قامت به الجماعة الاسلامية فى المؤتمر التأسيسى للمنظمة ١٩٥٧ - ١٩٥٨م.
- مساهماته فى اللجنة القومية للدستور الإسلامى.
- لقد خلف مئات الآثار الأدبية والفنية والسياسية فى مقالات وكتيبات إضافة إلى مخطوطات تحتاج إلى البحث والدراسة.
- له تسجيلات صوتية مع رموز من رواد الحركة الوطنية السودانية منذ الاربعينات، يمكن تفريغها والاستفادة منها فى كتابة تاريخ الحركة الوطنية السودانية.

- بالرغم من أن الكثير من الكتب والمؤلفات التى كتبها، قد لعب بها الزمن، فإن ميثاقنا والنهوض الثورى ببلادنا يظل المعبر الحقيقى عن الكثير من أفكاره ومبادئه.

لذلك نوصى بنشره لتعم الفائدة.

المراجــــــــــع

❖ أولاً: الكتب:

١. ابراهيم محمد حاج موسى. التجربة الديمقراطية ونظم الحكم فى السودان. ــ القاهرة : دار الاهرام، ١٩٧٠م.

٢. أحمد جبارة. ودمدنى ومشروع الجزيرة.ــ مطبعة الشعب، ١٩٧٨. ــ ج١.

٣. أحمد حمروش. مجتمع عبد الناصر. ــ القاهرة، دار الموقف العربى، د.ت.

٤. أحمد خير. كفاح جيل. ــ ط٢.ــ الخرطوم ودار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٧٠م.

٥. أحمد عوض موسى. تاريخ الحركة الطلابية السودانية بالخرطوم والحزب الاشتراكى الإسلامى، ١٩٨٧م.

٦. أمين التوم. ذكريات ومواقف فى طريق الحركة الوطنية السودانية، ١٩١٤-١٩٦٩م. الخرطوم : دار جامعة الخرطوم للنشر، ١٩٨٧م.

٧. بابكر كرار. الاختلافات الاساسية بين الاشتراكية الديمقراطية وبين الشيوعية. ــ الخرطوم : مطبعة مصر، ١٩٦٩م.

٨. ــــــــ . ميثاقنا والنهوض الثورى ببلادنا. ــ ط٢. ــ ١٩٨٦م.

٩. ــــــــ . نظرات فى التنظيم العمالى الجديد. ــ الخرطوم : المطبعة الحكومية، د.ت.

١٠. ــــــــ . حسم عروبة السودان. ــ ط٢. ــ ١٩٧٥م.

١١. ــــــــ . ورقة عمل حول التحرك العربى فى السودان على ضوء المتغيرات الاساسية فى الواقع السياسى السودانى.ــ القاهرة، ١٩٧٣م.

١٢. بشير محمد سعيد. الزعيم الازهرى وعصره. ـ القاهرة : الحديثة للطباعة، ١٩٩٠.
١٣. بشير محمد بشير. مؤتمر الخريجين. ـ الخرطوم : مطبعة جامعة الخرطوم، ١٩٨٨م.
١٤. تشايلدرز، ايرسكين. الحقيقة عن العالم العربى. ـ تعريب خيرى حماد. ـ بيروت : المكتب التجارى للطباعة، ١٩٦٠.
١٥. جعفر محمد على بخيت. الادارة البريطانية والحركة الوطنية فى السودان، ١٩١٩-١٩٣٩م. ـ ترجمة هنرى رياض. ـ بيروت : دار الثقافة، ١٩٧٢م.
١٦. الجماعة الاسلامية (السودان). الدعوة الاسلامية دعوة ومنهاج.
١٧. الحزب الاشتراكى الاسلامى(السودان).برنامج الحزب.ـ ٢١/١٠/١٩٦٤م.
١٨. ________ . ماذا بعد الحل؟. ـ ١٦/١١/١٩٦٥م.
١٩. ________ . ميثاق الحزب. ـ الخرطوم : مطبعة مصر، ١٩٦٩م
٢٠. ________ . اضواء حول الميزانية الجديدة. ـ ٢٧/٩/ ١٩٦٩م
٢١. ________ . الازمة الراهنة أزمة قيادة سياسية. ـ ٢١/١٢/١٩٦٩م.
٢٢. حسن مكى. حركة الاخوان المسلمين فى السودان، ١٩٤٤-١٩٦٩. ـ الخرطوم : مطبعة الخرطوم، د. ت.
٢٣. خضر حمد. الحركة الوطنية السودانية : الاستقلال وما بعده. ـ الشارقة ومطبعة صوت الخليج، ١٩٨٠م.
٢٤. الشاطر بصيلى عبد الجليل. تاريخ وحضارات السودان الشرقى والاوسط، ق٧-ق١٩. ـ القاهرة : الهيئية المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢.
٢٥. سمية سيد. المصالحة الوطنية. ـ الخرطوم : دار السودان الحديث، د.ت.
٢٦. الشيخ مبارك شاطوط. ودمدنى والروح. ـ ١٩٩٥م.

٢٧. صديق محمد احمد البادى. معالم واعلام . ـ القاهرة : دار الثقافة للطباعة والنشر، د.ت.

٢٨. عبد الخالق محجوب. لمحات من تاريخ السودان. ـ ط٣. ـ الخرطوم : دار الوسيط للبطاعة والنشر، ١٩٨٧.

٢٩. ــــــــ . لمحات من تاريخ الحزب الشيوعى . ـ ط٣.ـ الخرطوم : دار الوسيلة للطباعة والنشر، ١٩٨٧م.

٣٠. عبد الرحيم سالم. ودمدنى بعين طفل وذاكرة رجل، ١٩٤٥-١٩٥٥. ـ ١٩٩٦م.

٣١. عبد الهادى الجوهرى. معجم علم الاجتماع. ـ القاهرة : مكتبة نهضة الشرق، ١٩٨٠م.

٣٢. على حسن عبد الله. الحكم والادارة فى السودان. ـ القاهرة : دار المستقبل العربى، ١٩٨٩م.

٣٣. عمر عبد الله حميدة. أحمد خير المحامى : دراسة ونقد وتحليل لمشاركته السياسية وفكره السياسى. ـ الخرطوم : جامعة الخرطوم، ١٩٩٦م.

٣٤. فؤاد مطر. بصراحة مع عبد الناصر. ـ ط٤. ـ دار القضايا.

٣٥. قسطنطين زريق. نحن والتاريخ. ـ ط٢ . ـ بيروت : دار العلم للملايين، ١٩٦٣م.

٣٦. مجدى سليم. ازمة العمل العربى. ـ اصدارات الحزب الاشتراكى الاسلامى، ١٩٧٧م

٣٧. محسن محمد. مصر والسودان : الانفصال بالوثائق السرية البريطانية والامريكية.

٣٨. محمد ابراهيم ابو سليم. الحركة الفكرية فى المهدية . ـ الخرطوم : قسم التاليف والنشر بجامعة الخرطوم، ١٩٧٠م.

٣٩. محمد ابو القاسم حاج حمد. المأزق التاريخى وآفاق المستقبل. ـ ط٢. ـ بيروت : دار ابن حزم للطباعة والنشر، ١٩٩٦. ـ مج١.
٤٠. محمد الخير عبد القادر. نشأة الحركة الاسلامية الحديثة فى السودان. ١٩٤٦-١٩٥٩م. ـ الخرطوم : الدار السودانية للكتب، ١٩٩٩.
٤١. محمد المكى ابراهيم. الفكر السودانى : أصوله وتطوره. ـ الخرطوم : إدارة النشر الثقافى، ١٩٧٦م.
٤٢. محمود ابو العزائم. سحارة الكاشف. ـ بيروت : دار ومكتبة الهلال،د.ت.
٤٣. مكى شبيكة. السودان عبر القرون. ـ ط٢. ـ بيروت : دار الثقافة، ١٩٦٥م.
٤٤. ميرغنى النصرى. مبادئ القانون الدستورى والتجربة الديمقراطية فى السودان . ـ الخرطوم : دار الطباعة، ١٩٩٨م.
٤٥. ناصر السيد. تاريخ السياسة والتعليم فى السودان. ـ ط٢. ـ الخرطوم : مطبعة خرطوم، ١٩٩٠م.
٤٦. نعوم شقير. جغرافية وتاريخ السودان. ـ بيروت : دار الثقافة، ١٩٦٧م.
٤٧. تيم، نيبلوك. صراع السلطة والثروة فى السودان. ترجمة الفاتح التجانى، محمد على جادين. ـ ط٢. ـ الخرطوم : دار الخرطوم للطباعة والتوزيع، ١٩٩٤م.

❖ **ثانيا: المقالات والدوريات:**

٤٨. بابكر كرار. "دعوة السلام لا دعوة الدم" . ـ النيل. ـ ١٩٥٥/٣/٣٠م.
٤٩. ــــــــ . "هدم الثقافة الاستعمارية المتوالية من روائع تراثنا . ـ النيل. ـ ١٩٥٥/٦/١٩م.

٥٠. ـــــــــ . البرلمان طريق مقفول . ـ الصحافة. ـ ١٩٦٨/٥/٢٩م

٥١. ـــــــــ . مختلفون بلاخلاف. ـ مجلة الشورى. ـ ع٥ (١٩٧٥).

٥٢. ـــــــــ . عبد الناصر والمناهج الثورية العربية. ـ الاخبار.ـ ١٩٦١/١١/٦م.

٥٣. ـــــــــ . ما هو الهدف من العمل الفدائى. ـ الصحافة. ـ ١٩٦٨/٨/١٢م.

٥٤. ـــــــــ . حركة النضال العربى من الاستعمار. ـ الصحافة. ـ ١٩٦٨/٨/٦م.

٥٥. ـــــــــ . الطريق مفتوح للجنة والنار على السواء. ـ ١٩٦٧/٢/١٨م.

٥٦. ـــــــــ . لا تعلقوا الاتحاد على مشجب الاستقلال.ـ النيل. ـ ١٩٥٤/٣/٩م.

٥٧. ـــــــــ . الجهاد. ـ النيل. ـ ١٩٥٤/١٠/١٢م.

٥٨. ـــــــــ . الاتحاد بلغة الواقع. ـ النيل. ـ ١٩٥٤/١٠/١٣م.

٥٩. ـــــــــ . الحريات. ـ النيل . ـ ١٩٥٤/١٠/١٧م.

٦٠. ـــــــــ . السياسة فريضة على الطلاب. ـ النيل. ـ ١٩٥٤/١٠/٣١.

٦١. ـــــــــ . حول الاتحاد النسائى او البداية من القاع. ـ النيل. ـ ١٩٥٤/١١/٢٩م.

٦٢. ـــــــــ . مع العمال الى الإمام : المؤتمر العمالى الثالث فى الميزان. ـ النيل. ـ ١٩٥٤/١٢/١٩م.

٦٣. ـــــــــ . الاستقلال الكامل لا الائتلاف المزعوم. ـ النيل. ـ ١٩٥٥/٢/٨م.

٦٤. ـــــــــ . الفكرة الاتحادية خطأ منذ البداية. ـ النيل. ت ١٩٥٥/٣/٦م.

٦٥. ــــــــ . الجيش المصرى يتحدى القانون واتحاد الصحافة. ــ النيل. ــ ١٩٥٥/٣/١٤.
٦٦. ــــــــ . هذا أول جهل بالدين. ــ النيل. ــ ١٩٥٥/٦/٥م.
٦٧. ــــــــ . آراء طليقة الاستقلال لا الحياد. ــ النيل. ــ ١٩٥٥/٦/٢٨م.
٦٨. ــــــــ . لا ضرورة للاستفتاء ولا الجمعية التأسيسية. ــ النيل. ــ ١٩٥٥/٩/١٠م.
٦٩. عبد الرحمن خانجى. الجذور الفكرية لثورة ١٩٢٤. ــ مجلة الدراسات السودانية. ــ الخرطوم : معهد الدراسات الافريقية والآسيوية، ١٩٩٢م.
٧٠. مختار عجوبة. اصول الدعوة للادب القومى فى السودان. ــ مجلة الثقافة السودانية. ت ع١٣ (فبراير ١٩٨٠)
٧١. مصطفى ابو العزائم. مقال بجريدة الوطنى. ــ ٢٠٠٢/٤/٢٤م. ــ الخرطوم : وزراعة الثقافة والاعلام.
٧٢. يوسف فضل حسن. المصادر السودانية الاولية قبل الثورة المهدية. ــ مجلة الدراسات السودانية. ــ ع١. ــ الخرطوم : شعبة أبحاث السودان بآداب الخرطوم، ١٩٧١.

❖ **ثالثا: الرسائل الجامعية:**

٧٣. جاد الله الطاهر النذير. التجانى يوسف بشير : عصره وحياته وشعره. ــ الخرطوم : قسم اللغة العربية، ١٩٧٣.ــ رسالة ماجستير.

❖ **رابعا: التسجيلات:**

٧٤. أحمد خير. تسجيل مع بابكر كرار بمنزله بالخرطوم. ــ ١٩٨٠.
٧٥. بابكر كرار. مادة مسجلة فى شريط كاسيت. ــ ليبيا، ١٩٧٥.
٧٦. التسويات : (مادة مسجلة). ــ طرابلس، ١٩٧٧م.

٧٧. ــــــــ . الحوار الفكرى التقدمى مع القوى التقدمية : مادة مسجلة بأشرطة كاسيت. ـ طرابلس، ١٩٧٧/٨/٣م.
٧٨. ــــــــ .التيارات السياسية داخل مصر : مادة فى اشرطة كاسيت. ـ طرابلس، ١٩٧٧م.
٧٩. ــــــــ . خصائص المجتمع المصرى : مادة مسجلة فى اشرطة كاسيت . ـ طرابلس، ١٩٧٧م.
٨٠. ــــــــ . برنامج مع الطلاب . مادة مسجلة فى أشرطة كاسيت. ـ طرابلس، ١٩٧٧.
٨١. ــــــــ . سورة البلد وقضايا أخرى. مادة مسجلة فى شريط كاسيت. ـ طرابلس، د. ت.
٨٢. الدرديرى ابراهيم. تسجيل مع بابكر كرار.
٨٣. الهادى ابوبكر. مادة مسجلة فى اشرطة كاسيت مع بابكر كرار. ـ الخرطوم، ١٩٨٠م.

❖ **خامسا: المقابلات الشخصية**

٨٤. آدم فضل الله. مقابلة شخصية بالعيادة. ـ ٢٠٠٤/٨/٦.
٨٥. ابراهيم كرار. مقابلة شخصية بمنزله بمدنى. ـ ٢٠٠١/٨/١، ٢٠٠١/٨/٢
٨٦. ــــــــ . مقابلة شخصية معه ومصطفى كرار بمنزلهما بمدنى. ـ ٢٠٠١/٨/٢.
٨٧. أحمد عبد الحميد. ـ مقابلة شخصية بمنزله بمدنى ٢٠٠٢/٣/٢.
٨٨. ــــــــ . مقابلة شخصية بمنزله بمدنى ٢٠٠٢/٨/٩.
٨٩. بشير ابراهيم اسحق. مقابلة شخصية بمنزله بالخرطوم.ـ ٢٠٠٢/٣/٢.
٩٠. الجزولى دفع الله. مقابلة شخصية معه بمكتبه. ٢٠٠٤/١/١٠.
٩١. ــــــــ . مقابلة شخصية معه بمكتبه ٢٠٠٤/٢/٦.

٩٢. جعفر محمد نميرى. مقابلة شخصية معه بمكتبه بشركة نميرى للتنمية والاستثمار المحدودة ببحرى. ٢٠٠٢/٣/١٣.
٩٣. حسين سليمان ابو صالح. مقابلة شخصية معه بمنزله. ٢٠٠٣/٨/١٠.
٩٤. عبد الباقى عمر عطيه. مقابلة شخصية معه بمكتبة. ٢٠٠١/٣/٢.
٩٥. عبد المنعم الدمياطى. مقابلة شخصية معه بمنزله بمدنى. ٢٠٠٤/٣/٢٨.
٩٦. عبد المنعم محمد الامين. مقابلة شخصية بمنزله بإمتداد ناصر. ٢٠٠٤/٥/٢م.
٩٧. عمر خليفة الحامدى. مقابلة شخصية بمكتبه بالسفارة الليبية. الخرطوم. ٢٠٠٤/١١/١٣.
٩٨. عمر نور الدائم. مقابلة شخصية بمكتبه بدار حزب الامة – ام درمان. ٢٠٠٢/٥/١٣.
٩٩. غزالى بابكر كرار. مقابلة شخصية معه بمنزله بالرياض. ٢٠٠٢/٣/٣١.
١٠٠. الفاتح بشارة. مقابلة شخصية بمنزله بالعمارات. ٢٠٠٤/٧/١٦.
١٠١. فتح الرحمن البشير. مقابلة شخصية معه بمكتبه بشركة شرف العالمية. ٢٠٠٢/٤/٦.
١٠٢. مجدى سليم عبد الله. مقابلة شخصية بمنزله. ٢٠٠٤/٣/٢٨.
١٠٣. محمد يوسف محمد. مقابلة شخصية بمكتبه. ٢٠٠٤/٩/١٤.
١٠٤. مصطفى كرار. مقابلة شخصية بمنزله. ٢٠٠١/٨/١.
١٠٥. ميرغنى النصرى. مقابلة شخصية بمنزله. ٢٠٠٣/٣/٨.
١٠٦. ________ . مقابلة شخصية بمنزله. ٢٠٠٣/٣/٢٤.
١٠٧. ________ . مقابلة شخصية بمنزله. ٢٠٠٤/٥/٤.
١٠٨. ________ . مقابلة شخصية بمنزله ٢٠٠٤/٧/٦.
١٠٩. ناصر السيد. مقابلة شخصية بمنزله باركويت. ٢٠٠٤/٤/٨.

١١٠. ـــــــ . مقابلة شخصية بمنزله باركويت. ٢٠٠٣/٣/٢.
١١١. يوسف حسن سعيد. مقابلة شخصية معه بمكتبه بجامعة افريقيا. ٢٠٠٤/٤/٨.
١١٢. ـــــــ . مقابلة شخصية معه بمكتبه بجامعة افريقيا. ٢٠٠٤/٤/٣٠.

❖ **سادسا: المخطوطات**

١١٣. بابكر كرار. مخطوطة لم تنشر من قبل، دون عنوان أو تاريخ.
١١٤. . وجود الله سبحانه وتعالى. (مخطوطة) . الخرطوم د.ن.، ١٩٦٨/٣/٢٧.
١١٥. . تكامل نظرية التطور فى القرآن الكريم : (مخطوطة). الخرطوم. د.ن، د.ت.
١١٦. ـــ . الملائكة فى القرآن الكريم (مخطوط). ــ الخرطوم : د.ن، ١٩٦٨.
١١٧. ـــ. الاسلام والنظام الرأسمالى : (مخطوطة). ــ الخرطوم : د.ن، د.ت.
١١٨. ـــــــ.العقوبات فى الاسلام : (مخطوطة). ــ الخرطوم: د.ن، د.ت.

❖ **سابعا: أقوال واحاديث فى مناسبات**

١١٩. بابكر كرار. (كلمة فى ملتقى المؤتمر العربى بالخرطوم فى الفترة من ١٥-٢٢مارس١٩٧٠م
١٢٠. جعفر شيخ ادريس. (كلمة فى تأبين بابكر كرار بالخرطوم. ١٩٨١/٨/٢٩).
١٢١. خلف الله الرشيد. (كلمة فى تأبين بابكر كرار بالخرطوم. ١٩٨١/٨/٢٩).
١٢٢. الصادق المهدى. (كلمة فى تأبين بابكر كرار بمدنى. ١٩٨١/٨/١٠).
١٢٣. عبد الله زكريا. (كلمة فى تأبين بابكر كرار بطرابلس ١٩٨١/٧/١٣)

١٢٤. عبد الله محمد احمد. (كلمة فى تأبين بابكر كرار بالخرطوم. ١٩٨١/٨/٢٩).
١٢٥. عمر ابو بكر. (كملة فى تأبين بابكر كرار بالخرطوم . ١٩٨١/٨/٢٩)
١٢٦. ________ . (كلمة نقابة المحامين فى التأبين بالخرطوم. ١٩٨١/٨/٢٩)
١٢٧. فتح الرحمن البشير. (كلمة فى تأبين بابكر كرار بالخرطوم. ١٩٨١/٨/٢٩)
١٢٨. فوزى الكيالى. (كلمة فى ملتقى الفكر العربى بالخرطوم فى الفترة من ١٥-٢٢مارس ١٩٧٠)
١٢٩. كريم مروة. (كلمة فى ملتقى الفكر العربى بالخرطوم فى الفترة من ١٥-٢٢مارس ١٩٧٠)
١٣٠. ميرغى النصرى. (كلمة فى تأبين بابكر كرار بالخرطوم. ١٩٨١/٨/٢٩).

الملاحــــق

ملحق رقم (١)

صراع بين الافلام الايطالية والامريكية

بطولة آنا سلفانو مانجاز

في الشهور الأخيرة أخذت الأفلام الايطالية تغزو دور السينما في البلاد العربية وظهر إكتساحها واضحاً في دورالقاهرة حتى تعالت صرخات تجار السينما من منتجين ومخرجين وممثلين مطالبين الحكومة بالتدخل لايقاف هذا الزحف المنتظم الذى أودى بصناعة السينما المحلية وإقصائها من المنافسة والزحام. إلا أن هذا الزحف لا يحتاج إلى صد قانوني أو مقاومة حكومية لانه لا يعتمد على الدولار والأسلحة الذرية ولا على التبذل والإسفاف وانما يعتمد على العناصر الفنية الاصيلة التي تمنح العمل السينمائي قيمته الانسانية ويجعل منه مرشدا اجتماعيا يدفع بالمجتمع إلى الإمام وتقضي له بدوام البقاء والخلود.

هذه هي القوة الكامنة من وراء الأفلام الإيطالية اليوم والتي تفتقر اليها الأفلام الأمريكية وتنعدم منها الأفلام المصرية على الإطلاق.

الأمريكيون شعوب متعددة داخل قارة واحدة لا يوحدهم جنس واحد ولا دين واحد ولا يجمعهم تاريخ مشترك ولا آداب ولا تقاليد.

وكانت هجرتهم الأولى متعددة الدوافع متباينة الأسباب ضمت فى شمولها القديسين الأطهار الذين هاجروا بدينهم والمجرمين الأشقياء الذين لفظتهم بلادهم. وأن كان ثمة جامع بين هذا التشتت فهو المغامرة على المجهول من وراء البحار.

ثم تدرجوا نحو الامة الواحدة ومازالوا فى أول الطريق وتدرجت معهم الرأسمالية قفزات طوال وتعالت وبلغت ذروتها فحكمت وهيمنت وسادت مثلها فى الحياة وقيمها فى الفن ومعاييرها فى الأخلاق وأوضاعها فى المجتمع ولم تجد مقاومة اصيلة من المجتمع لان المجتمع نفسه غير اصيل.

هذه هى الحقائق الأولى الكامنة وراء كل عمل فنى يقدمه الأمريكيون ومن ثم جاء إنتاجهم السينمائى مصداقا لواقعهم النفسى والعقلى وإنعكاساً دقيقا لأوضاعهم الإجتماعية.

المثل الأمريكية فى الحياة هى "المال" والقيم الفنية فى الانتاج هى قيمته بحساب الدولار. بل قيمة الممثلة وقدرها وكفاءتها تقاس بجمال الصور أو امتلاء الشفتين أو جمال الساقين وتلفظ صحافتهم بذلك وتعقد المسابقات والمراهنات فترتفع فتاة غريرة فى لمح البصر من محل أزياء إلى القمة فى عالم السينما وتمتلئ بها الصفحات كصاحبة أقوى جاذبية واجمل ساقين .

هذه هى رسالة السينما هناك ومعاييرهم الفنية وهذه هى كل كفاءات فتاة الغلاف فى هذه الايام مارلين، اما المعايير الأخلاقية فلا يكاد يفهمها الأمريكيون لانهم كما قلنا أمة لا تاريخ لها ولا تقاليد ولا آداب وانما تقيم مقدراتها بمعايير رأس المال.

والنتيجة الحتمية من المقدمات الآنفة هو خواء الأفلام الأمريكية من القيم الإنسانية والمجاهدات الإنسانية الامامية ذلك الخواء الذى مكن للوحشية الآدمية من طغيانها على الإنتاج السينمائى الأمريكى ودفع به إلى التردى إلى نطاق التسلية الرخيصة والقصص السطحية التى تقرر بالدهماء وسلب اموالهم وأوقاتهم.

هذا هو التفسير العميق لهذه الوحشية الطاغية التى تنحصر فى صراخ طرزان فى رعاة البقر والبوليسيات والاعتقالات الرهيبة والصراعات المثيرة وفواجع الحروب والحرائق والدمار بل تمتد إلى الغراميات العاطفية فالكلمات العنيفة هى شارة الاخلاص والهالة التقليدية التى تطوق بها المواقف الغرامية. وتشرف الوحشية على ذروتها فى القبلات الحيوانية التى تتقلص فيها الايدى وتتمزق فيها الشفاة، وهذه هى البلاغة العليا للتعبير عن حبهم الدقيق وغرامهم العميق. ولا مغالاة بعد هذه المقدمات ان نقرر ان الانتاج السينمائى الامريكى خاو من القيم الإنسانية ضال عن رسالته الحقيقية فى الحياة.

ان رسالة السينما الامريكية هى رسالة كل نشاط انسانى فى المجتمع الرأسمالى. اجتذاب المال عن اقرب طريق من الجماهير لتنفخ به جيوب المنتجين.

أما إيطاليا الحديثة فلها مواقف أخرى تستدر العبر. كانت إيطاليا تحلم برجعة الإمبراطورية الرومانية القديمة لينقسم العالم مرة أخرى إلى سادة وعبيد وفى سبيل ذلك الحلم سارت مغمضة البصيرة جشعة المطامع عارية من المثل الانسانية التى تواخى بين الإنسان وأخيه الإنسان فى معترك الحياة.

فكانت الخطوة الأولى إن سامتها الفاشية أقسى أصناف التكميم والتنكيل والإضطهاد ثم تدرجت بها فى سرعة جنونية نحو الخاتمة الآسفة التى ساقت فيها الموت للالوف من الرجال والنساء والولدان ودمرت فيها المعمورة تدميراً كاملاً.

واستيقظت ايطاليا من أحلامها السود لتجد نفسها ممزقة العائلات منهارة القيم متناثرة البناء مليئة بالأوحال . وكان مع هذا الاستيقاظ توبه وعزيمة وهمة صادقة عمقتها الدموع وصقلتها الأحداث والمآسى التى مازالت حية فى وجدان الشعب وخلده، فأخذت بعد الحرب ترفع من الأنقاض وتبنى كيانها من جديد على قيم انسانية جديدة ونظم إجتماعية جديدة وأوضاع اقتصادية جديدة. وتلك كانت خطوة إيطاليا الأولى إلى الأمام بعد الحرب الأخيرة.

ان الانتاج السينمائى الايطالى بعد الحرب هو الانعكاس الدقيق لهذا الاتجاه الانسانى الجديد الذى اخذه الشعب الايطالى فى سلوكه ومن ثم جاء إنتاجهم صادقا فى واقعيته حافلا بالقيم الإنسانية زاخراً بالخلجات النفسية والقضايا الذهنية ومن هنا كان اندحار الأفلام الأمريكية والمصرية على السواء.

تحت هذه المعايير سننقد الفيلم الإيطالى "آنا" الذى عرض هذا الاسبوع.

بابكر كرار

النيل ١٩٥٤/١٢/٥

ملحق رقم (٢)

مع العمال إلى الامام

المؤتمر العمالى الثالث فى الميزان

ذكرنا فى الكلمة السابقة ان الاجتماع الافتتاحى كان تحفة رائعة وكسبا كبيرا للحركة العمالية. واليوم ننتقل إلى استعراض ايام المؤتمر وما دار فى أروقته من صراع عنيف بين الاتجاهات المتعددة داخل المؤتمر. كان اليوم الأول للمؤتمر يوما صارخا صاخبا فما كاد الرئيس سلام ينتهى من كلمته للمؤتمر حتى انهال عليه الهجوم من كل الاركان وكانت نقابة السكة حديد هى قائدة المعارضة والدنمو المحرك لبقية النقابات المعارضة.

كان النقد يتركز فى استبعاد لجنة الاتحاد لبعض النقابات الكبيرة كنقابة البوستة والديزل والصناعات الحديدية وغيرها دون مبرر شرعى خصوصا وان هذه

النقابات المتخلفة عن المؤتمر الثالث قد اعلنت رغبتها الاكيدة فى الانضمام إلى الاتحاد وتستطرد المعارضة فتؤكد ان وحدة العمال وتضامنهم لا تعنى شيئا غير وحدة جميع النقابات داخل الاتحاد وان ابعاد اى نقابة لا يعنى الا زعزعة الاتحاد وتفككه وتشتيته .

وتواصل المعارضة فى تدعيم حجمها بأن نقابة السكة الحديد لا تهدف إلى تمجيد نقابة البوستة ولا تبرير تصرفاتها ازاء لجنة الاتحاد العام ولكنها تطالب بضم النقابات المختلفة إلى الاتحاد والسماح لهم بحضور المؤتمر حتى يستطيع المؤتمر ان يستمع إلى وجهة نظرهم كاملة ومن افواههم ثم يستمع المؤتمر بعد ذلك إلى وجهة نظر لجنة الاتحاد وعندئد فقط يستطيع المؤتمر ان يصدر حكما حاسما فى هذا النزاع اما بتأييد لجنة الاتحاد واستبعاد النقابات المختلفة من المؤتمر واما بتأييد النقابات المختلفة وادخالها إلى المؤتمر وذلك لأن المؤتمر هو السلطة الوحيدة التى تستطيع ان تنظر فى مثل هذا النزاع الذى ينشب بين لجنة الاتحاد وبعض النقابات حتى لو وجدت لجنة الاتحاد سندا من الهيئة العامة للاتحاد، اما ان يستمع المؤتمر إلى لجنة الاتحاد وحدها فى مثل هذا النزاع فهذا امر لا يكاد يستقيم واتجاه لا تقبله النظم الديمقراطية الصحيحة ولا مبادئ العدالة والإنصاف.

ومن الطرف الآخر ترتكز اللجنة التنفيذية للاتحاد من ابعادها لهذه النقابات المختلفة فى أن هذه النقابات لم تحترم دستور الاتحاد العام ولم تشترك عمليا فى نشاط الاتحاد بل اعلنت انفصالها من الاتحاد مراراً وفى مكاتبات رسمية واصرت على موقفها هذا طوال الدورة الماضية ومن ثم فإن ابعادها عن حضور هذا المؤتمر هو فى الحقيقة تدعيم لوحدة الطبقة العاملة لا تشتيت لها لان الوحدة والتضامن والاتحاد لا يعنى شيئا إذا لم تحترم كل نقابة دستور الاتحاد وترضخ لرأى الاغلبية ما دام قائما فى حدود الدستور بل وأن ادخال هذه النقابات المختلفة بالرغم من مواقفهم المعلنة ضد دستور الاتحاد واصرارهم عليه لهو ضربة قاصمة

على وحدة العمال وتضامنهم لان الاتحاد بذلك يعلن افلاسه على الملأ ويمكن النقابات المخربة التى لا تحترم دستور الاتحاد ولا ترعى للنظم الديمقراطية ولا لرأى اغلبية جماهير العمال إلى العبث بالنظم النقابية الديمقراطية. إلى تخريب النضال النقابى وبالتالى إلى فركشة العمال وتحطيم مصالحهم .

وتستطرد اللجنة التنفيذية لتؤكد أن ابعاد هذه النقابات المختلفة عن المؤتمر العمالى الثالث هو فى الحقيقة درس بليغ لهذه النقابات وغيرها. بأن الاتحاد ما زال حريصا على الحفاظ على كرامة الطبقة العاملة وانه فى سبيل ذلك لن ينحنى إلى اى قوة أو تهديد وان ترسيخ هذا الدرس وتبليغه من اهم الدروس التى يجب أن تستوعبها الطبقة العاملة فى هذه الظروف المتكالبة عليها وان النظرة الثانية تثبت لكل مخلص ان هذا الاجراء هو الضمان الوحيد لوحدة الطبقة العاملة وتضامنها.

هذه تقريبا خلاصة وجهات النظر التى دار حولها الصراع عنيفا متطرفاً ساعات طويلة لم ينته الا فى اليوم الثالث للمؤتمر، وكانت نقابة الممرضين هى قائدة الدفاع عن تصرفات اللجنة التنفيذية للاتحاد فى ابعاد هذه النقابات المختلفة.

وملاحظتنا على هذا الصراع نلخصه فى ملاحظتين الملاحظة الأولى ان هذا الصراع لم يأخذ طريقه السوى فقد كانت كل فكرة تصور محملة باتهامات صارخة وهتافات تمزق الاذان حتى انقلب المؤتمر فى نهاية المعركة إلى صراع هتافات اكثر منه صراع افكار تتجه كلها فى نهاية الأمر إلى مصلحة العمال.

وحتى الهتافات نفسها لم تنحصر فى الدعوة إلى إتجاهات معينة بل خرجت بعض هذه الهتافات إلى قذف بعض الشخصيات قذفا صريحاً غير كريم.

الا اننا نلاحظ هذه الظاهرة فنستنكرها لانها غريبة عن مجتمعنا، بل هى فى الحقيقة سيئة من سيئات التوجه الشيوعى الذى كان العمال فريسة له فترة من الزمن ونحن على ثقة كاملة بأن هذه الظاهرة ستأخذ فى الإختفاء ما دام العمال قد أخذوا فعلا فى الخروج من عزلتهم السابقة تحت افتراس الشيوعية ليستقبلوا الإتجهات

الشعبية الاصلية التى تستمد مناهجها وسلوكها فى العمل والنضال من آدابهم وتقاليدهم وتراثهم الثورى الأصيل.

اما الملاحظة الثانية فإنه بالرغم من قوة حجج الاتحاد فى إبعاد النقابات المختلفة الا ان هناك حقيقة لا يمكن طمسها ففى وجوب إمتثال ممثلين من النقابات المختلفة عندما اخذ المؤتمر فى مناقشة مشكلتهم فحضورهم هنا لا يعنى تمثيلهم فى المؤتمر واشتراكهم فيه وانما سيكون كطرف فى النزاع بينهم وبين الاتحاد عندما اخذ المؤتمر فى مناقشة مشكلتهم ليصدر فيها حكما. ففى الوقت الذى ينظر فيه المؤتمر فى هذا النزاع ينقلب المؤتمر من سلطة تشريعية إلى سلطة قضائية وبعبارة أخرى يصبح المؤتمر محكمة فلا معنى لاعتراض لجنة الاتحاد عن امتثالهم لان امتثالهم لا يتعارض ابدا مع الحجج القوية التى ارتكز عليها الاتحاد ولايفوتنى هنا ان اذكر سكرتير الاتحاد الاستاذ الشفيع فقد ذكر فى كلمته الحماسية التى ارتجلها على المؤتمرين عندما كانت هذه المشكلة مطروحة للنقاش ان المؤتمر ليس محكمة ولن يكون محكمة ليصدر حكما فى مثل هذا النزاع.

وهذا خطأ شنيع ما كنا نريد للاستاذ السكرتير أن يقع فيه فالمؤتمر فعلا هو سلطة تشريعية وقضائية ويباشر كل سلطة من سلطاته على حده وعندما يتطلب الموقف منه ان يجلس كسلطة تشريعية أو سلطة قضائية.

هذا الخطأ فى النقد كان من الاخطاء الكبيرة التى وقع فيها المؤتمرون ولجنة الاتحاد ولو تجنبه المؤتمرون لنظروا إلىهذا النزاع نظرة عادلة مستقيمة وحسموا هذا النزاع حسما نهائياً يدعم وحدتهم وتضامنهم تدعيما أقوى وأرسخ.

إلا أنه بالرغم من هذه الملاحظات من عنف المعارضة وقوتها فقد تقبلت فى نهاية الصراع النتيجة بروح رياضية عالية فلم تتنكر لحكم الأغلبية بل سارعت إلى قبوله والاستجابة له.

وهذا موقف لا يحتاج إلى تعليق فى كثير أو قليل.

بابكر كرار

النيل ١٩٥٤/١٢/٢٠

ملحق رقم (٣)

العمال إلى الامام

المؤتمر العمالى الثالث فى الميزان

إستطاعت المعارضة أن تسقط جميع الاعمال التى تحتوى على أعمال سياسية أو تحمل إتجاهات سياسية واضحة زاعمة أن أى عمل سياسى مهما كان نوعة يخرج من نطاق العمل النقابى ويؤدى فى نهاية الامر إلى تشتيت الحركة النقابية وتفكيك وحدة العمال.

هذا الاتجاه فيه بعض الحق وكثير من الخلل وسنحاول هنا أن تبرز الاخطاء الاساسية فى هذا الاتجاه.

اننا يجب أن نفرق بين السياسة العامة والقومية والسياسة الحزبية الفرعية.

أن الاحزاب جميعها يجب ان نعتمد على اسس عامة مشتركة والا اصبح العمل الحزبى نفسه عملا مستحيلا لقد ارتضت الاحزاب جميعها مثلا الديمقراطية السياسية وهى حق جميع المواطنين فى انتخاب ممثليهم ليباشروا الحكم نيابة عنهم ولولا هذا الارتضاء الاجماعى لاصبح النظام الحزبى نفسه فكرة خيالية. الا ان النقص الفاضح فى فهمنا السياسى اننا لم نرتضى الاسس العامة الاقتصادية التى يجب أن تغلق نظامنا الاقتصادى ولذلك انقسمنا إلى معسكرين فى حقيقة الامر معسكر اصحاب رؤوس الاموال والإقطاعيين ومعسكر المعدمين وهم المزارعون والعمال الزراعيون والعمال الاجراء.

ان أحزابنا السياسية لا تمثل إلا المعسكر الأول ولذلك فهى لا تحفل كثيرا بمصالح المعسكر الاخر ولذلك خلت برامجهم من مطالب هذا المعسكر وانحسر كفاحهم السياسى بعيدا من الكفاح لتحقيق مطالب هذا العسكر الاخير الذين يمثلون فى الحقيقة الشعب والامة.

إن هذا الوضع الغريب الشاذ الذى تمثله أحزابنا هو السبب الحقيقى الذى يجعل جماهير العمال والمزارعين والاجراء يفقدون الثقة فى احزابنا ويتطلعون إلى الاجهزة السياسية التى تحتضن مشاكلهم ومطالبهم وتكافح من اجل تحقيق مصالحهم.

ان النقابات العمالية هى الجهاز الوحيد الذى يستطيع أن يغطى النقص الواضح فى أحزابنا السياسية.ويعمل عملاً واعياً متصلا لتحقيق مصالحهم فى هذه الفترة التى نجتازها اليوم.

ان النضال السياسى الذى يتجه إليه العمال اليوم هو تأمين الحركة النقابية النامية والعمل على تحقيق مطالب العمال الأساسية فى مجتمعنا حتى ينهض مجتمعنا كله على أسس ثابتة وصحيحة وبعدها نستطيع ان نعين دور النقابات والاحزاب والهيئات وخلافها.

اما التفريق بين العمل الاقتصادى والعمل السياسى في هذه الفترة التى نجتازها اليوم والتى تدور حولها المؤامرات الاستعمارية وفى الوقت الذى استطاع ان يقيم فيه الاستعماريون بجوارنا أكبر دكتاتورية عسكرية وفى الوقت الذى انهارت فيه احزابنا السياسية من الوقوف موقفا عنيفا مستميتا ضد الدكتاتورية العسكرية. وتأمين استقلالنا الوطنى وسيادته القومية.

فتفريق لا يخدم الطبقة العاملة بل ينزل بها أقسى اضطهادات الحكومات الحزبية التى لم تؤسس اساسا للدفاع عن مصالحهم والاعتماد على سندهم وتأيدهم.

ان النظم الحزبية والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية فى بلادنا وما يحيطنا من ارهاب سياسى رهيب يحتم على النقابات العمالية ان تؤمن نفسها سياسيا وان تناضل فى سبيل ذلك التأمين نضالاً سياسياً سافراً واضحاً.

ان الأجندة التى أسقطتها المعارضة لم تكن تتضمن شيئا يضر بالوحدة ولم تكن خارجة من نطاق العمل النقابى فىهذه الفترة العصيبة بل كانت فى الحقيقة ضمانا كاملا وتأمينا اكيدا لمصالح العمال ووحدتهم وحرياتهم النقابية.

لقد توجست المعارضة من الإنحراف بهذه الإتجاهات السياسية الواضحة إلى اتجاهات لا تخدم الا الحركة الشيوعية .الا ان هذا التوجس لا معنى له اطلاقا فلا الشيوعية ولا غيرها بقادرة ان تستغل الحركةالعمالية فى غير مصلحتها.

فى تاريخ الحركة العمالية القريب الدليل الشافى على ذلك فعندما عارضت قيادة الاتحاد اتفاقية السودان التي كانت فى جملتها مكاسب شعبية ضخمة وسلاحاً شعبياً جباراً ضد الإستعمار، قد قوتها النقابات.

وسارت جموع العمال الواعية لتدعيم الوحدة القومية وتأمين الاتفاقية من العبث وسوء الاستغلال.

إن ضيق النظر وسطحية التفكير والأمية السياسية لن تكون قوة خطيرة ضد الاتجاهات النقابية السليمة ولن تنحرف بالعمال امام القوى الواعية المخلصة الجماعية التي تمثل القوى النقابية الحقيقية.

وأن العالم اليوم قد تغير وان قوى الأفكار والإتجاهات قد أصبحت اقوى من اى شخص أوهيئات أو منظمات تفتقر إلى الفكرة الثاقبة والاتجاهات السليمة المسددة إلى غايتها.

ان المعارضة قد اسقطت جانبا خطيرا مهما من نضال العمال السياسى ولا يمكن ان أتصور الحركة النقابية وقد فصلت هذا الفعل الافلاطونى بين النضال

السياسى والنضال الاقتصادى فى هذه الفترة العصيبة تحت هذه النظم الحزبية الناقصة الكسيحة.

اننا نرجو أن تراجع المعارضة افكارها وموقفها وان يعمل الاتحاد علىعلاج المواقف علاجا كاملا والا فستبقى هذه النقابات واتحادها كسيحة فى هذه الفترة التى يجب ان يقف فيها العمال على خط النار ومصالحهم وبلادهم مهددة بأظلم انواع الاستغلال والإسترقاق.

بابكر كرار

النيل ١٩٥٤/١٢/٢٢

ملحق رقم (٤)

حول اضراب النقل الميكانيكى

الصراع فى سبيل الكرامة الانسانية

استعرضت بالامس تطورات قضية عمال النقل الميكانيكى منذ عهد الاستعمار المباشر إلى آخر مواقف الحكومة الاتحادية منها. والان نقدم للقراء المطالب التى تقدم بها عمال النقل فرفضتها الحكومة الاتحادية جملة وتفصيلا.

١. اعادة تطبيق مقررات ويكفيلد بواسطة لجنة من المالية.
٢. الغاء وضع العمال فى كشف الانتظار بعد اجتيازهم للامتحان .
٣. الغاء الامتحانات فى كل المراحل.
٤. ترقية جميع العمال الذين ربطوا فى نهاية الدرجة.
٥. تثبيت كل العمال الذين قضوا فى الخدمة ١٨٣ يوما مع صرف بدل الترحيل للمستحقين.
٦. ترحيل عمال الجراج الحربى من المحطة الوسطى وبالعكس .
٧. اعطاء التصاريح المجانى ومسافة الطريق للطلبة والمراسلات والخفراء.
٨. تطبيق نظام ٤٢ ساعة عمل بالنسبة للخفراء
٩. مساواة العمال الجنوبيين فى الاجور وشروط الخدمة
١٠. صرف ملابس عمل لجميع العمال
١١. فتح المجال أمام الطُلبة والمراسلات ليكونوا صناعاً
١٢. الإجازات الاسبوعية.
١٣. عدم نقل ضابط النقابة.
١٤. السماح لمندوب النقابة بجمع الاشتراكات فى أقسامهم
١٥. السماح للعمال باحضار صديق فى حالة المحاكمة الايجازية للدفاع عنه.
١٦. وضع لوحة إعلانات للنقابة فى الرئاسة وفى جميع الفروع لاستخدامها عند اللزوم.
١٧. عدم تشغيل العمال الفنيين فى أعمال الطلب.

هذه هيجملة المطالب المتواضعة التى تقدم بها عمال النقل الميكانيكى وقبل أن نعلق عليها نقف قليلاً أمام العبارة التى خاطب بها العمال المدير وهى سعادة المدير .

ونحن لا نعرف لهذه العبارة التى ابتكرها الأتراك والباشوات المصريون لأنفسهم عندما كانت القيم والتقاليد واللغة الاقطاعية هى التى تسود الشرق. وتهين اى معنى انسانى كريم من جانب العمال أو المدير.. بل لاشك انها تحمل فى طياتها "تحقيرا" للطبقة العاملة وامتهانا لكرامتها.

اننا نلفت نظر أخواننا العمال إلى مثل هذه العبارات التى تتحدر بكرامتهم الإنسانية.

فلنخاطب الميدر باعتباره مديراً وكفى ولنترك هذه السيادة يتمتع بها اى مخلوق كائنا ما كان وضعه دون ان نفرضها عليه مفرضا.

وبعد فنظرة عاجلة إلى تلك المطالب تجعل فى حل من تقسيمها إلى ثلاثة أقسام تقريبا:

١. مطالب تتصل بأجورهم وأرزاقهم وطبيعة العمل الذى يقومون به.
٢. مطالب تتصل بواجباتهم الإجتماعية.
٣. مطالب تتصل بكرامتهم الانسانية.

فالمطالب السبعة الأولى إضافة إلى المطلب العاشر تتصل إتصالاً مباشراً بأجورهم وتحديد أرزاقهم من العمل الذى ينهضون به فالعامل الذى لا يتقاضى من مجهوده المضنى أكثر من ١٢ جنيها لا يستيطع إطلاقا أن ينفق منها فى ترحيل نفسه من احياء العمال المحرومة فى اطراف المدن الثلاثة إلى قلب العاصمة مرتين ولا يستطيع إطلاقا أن يشترى ملابس للعمل ويضطر إلى تجديدها فى كل عام عدة مرات.

والأنكى من ذلك ان العامل تتسع واجباته العائلية والتزاماته الاجتماعية يوما بعد يوم.

وبالرغم منه فإن الوزارة لا تحفل باتساع هذه الواجبات والالتزامات الفطرية الحتمية، فتبقى العامل البائس مرابطا فى درجة واحدة لا يريم عنها. وهذا بالطبع ظلم واجحاف وامعان فى تعذيب هذه الطبقة وقتل معنوياتها ودفعها دفعا إلى ابواب الجريمة والجنون العصبى والثورة ضد هذا النظام الاجتماعى كله، ثورة قد تكون طائشة متخبطة فتصبح نقمة عليه وعلى اسرته وعلى المجتمع كله.

ولا أستطيع أن أتصور كيف تستبيح مصلحة النقل الميكانيكى ان تسلب الطُلبة والمراسلات والخفراء من أجورهم التى لا تحفظ لمخلوق انسانيته وكرامته تحت هذا الغلاء الفاحش بأن تفرض عليها بأن يرحلوا انفسهم وان تترك بعضهم مهددين بالطرد فى‌اى لحظة، فيضطرون لادخار بعض أجورهم القليلة للأيام الحالكة السواد عندما تقذف بهم إلى قارعة الطريق.

أما القسم الثانى فإنه يتصل إتصالا وثيقا بواجبات العمال الاجتماعية مادام العامل يعيش فى مجتمع، لا منفردا فى صحراء فإنه يجد نفسه امام واجبات عائلية واجتماعية لا مفر منها ولا يمكن ان ينهض العامل بهذه الواجبات الاجتماعية الا اذا حددت ساعات العمل. ووجد العامل حقه الطبيعى فى الراحة الاسبوعية التى يستطيع ان ينهض فيها ببعض تلك الواجبات، وهذه قد تناولها المطلبان الثامن والثانى عشر.

أما القسم الأخير فإنه يتصل اتصالاً وثيقاً بكرامة العمال الانسانية، وقد خلق الله الانسان كريما، فليس من حق مخلوق كائنا من كان أن يعبث بهذه الكرامة الانسانية بالنسبة لاى انسان مهما كان فقره وجهله ومرضه ووضعه الاجتماعى

بل وان أكبر جريمة هى اهدار هذه الكرامة الانسانية و احالة الانسان إلى حيوان أو دمية حمار.

فالكرامة الانسانية تقتضى المساواة التامة بين العمال أسمرهم وأسودهم. وهذا ما اشار اليه المطلب التاسع بوضوح.

والكرامة الانسانية تقتضى فتح المجال للمجاهدات الانسانية فى سبيل الارتقاء والتقدم. فمن الاجرام أن تهدد مجاهدات العامل فى هذا السبيل وان يوضع فى المؤخرة بعد أن كان فى المقدمة ليبدأ من جديد وفى ظروف لا تتفق مع تطوره وتقدمه ومقدرته وهذا ما اشار اليه المطلب السابع عشر الذى يمنع تشغيل العمال الفنيين فى أعمال الطلب.

وهذا بالطبع ليس تحقيرا لأعمال الطلب وانما هو دفاع عن العمال الذين اجتازوا هذه المرحلة لمرحلة اكثر تقدما. من النكوص بهم إلى مرحلة قد بذلوا فيها من قبل أوقاتهم وعرقهم وجهودهم حتى إجتازوها.

هذه هى المطالب المتواضعة التى لن تضع العمال فى وضعهم الطبيعى ولن تسترد لهم حقوقهم المنهوبة كاملة وانما هى المطالب الدنيا التى تحفظ لهم القدر الأدنى من الأجور والقدرة على القيام بأقل واجباتهم الاجتماعية وتحفظ لهم ذلك القدر من كرامتهم الانسانية التى تدخلهم فى زمرة الانسانية.

اننا نستصرخ المدير والحكومة الاتحادية أن تنظر إلى هؤلاء البؤساء نظرة انسانية عادلة وأن ترد اليهم حقهم الابجدى الفطرى فى الحياة الكريمة بأن تستجب إلى هذه المطالب المتواضعة فلا تزيدهم ارهاقا على ارهاقهم الذى قاسوه واكتووا به خمسين عاما من الإسترقاق والاذلال.

وبعد فإن الحكومة قد دفعت عمال النقل دفعا عنيفا إلى هذا الاضراب الحتمى وهى المسئولة عنه مسئولية كاملة.

اننا نشارك عمال النقابة فى نضالهم الشريف فى سبيل استرداد حقوقهم المسلوبة ونشيد باضرابهم المسدد إلى غايته باذن الله

بابكر كرار

النيل ١٩٥٥/٣/٢٣

ملحق رقم (٥)

باركوا هذه القيادة العمالية الراشدة

كتبنا البارحة عن الانتصارات الواسعة التى حققها اضراب عمال السكة الحديد الأخير والتى كانت فى جملتها مكاسب اقتصادية محدودة ومكاسب سياسية واسعة تدفع بالحركة العمالية خطوات إلى الأمام وتمهيد إلى تغيير "كيفى، كامل فىواقع العمال الاسيف المجحف.

كانت سياسة الحكومة الاتحادية التى تضمنها خطابها التاريخى الأول خيبة أمل عميقة لجماهير العمال والمزارعين واجراء اليومية ونصف اليومية والعاطلين والجياع. فقد خاطبتهم الحكومة بلغة الشعر وصناعة الكلام ولم تخاطبهم بلغة الواقع ولغة الارقام وابتكرت لخداعهم شعار هذه الحكومة تحرير لا تعمير.

هذه السياسة الاتحادية الرعناء قد فتحت عيون الطبقات الكادحة منذ استهلال هذا الحكم الاتحادى – ان الحكومة الاتحادية هى فى الحقيقة حكومة ارتجال لا تسير على فكرة مدروسة ولا على برامج مرسومة وانما تسير اعتباطا على غير هدى ولا كتاب مبين ومن ثم فإنها وقفت بساستها عن غير وعى موقفا معادياً للطبقات الكادحة التى تؤلف سواد هذا الشعب البائس المكدود.

فكان من الطبيعى أن يتحرك العمال ويرفعوا رآية الجهاد ضد الأوضاع والظروف التى كان العمال يجاهدون فى سبيل تغييرها وتبديدها والتى انتخبوا هذه الحكومة الوطنية لتزيلها من أساسها.

كانت الأوضاع والظروف التى تهيمن على العمال والمزارعين فى الماضى يحاربها الشعب ويصفها بالأوضاع الاستعمارية فجاءت الحكومة الاتحادية فحذفت كلمة الإستعمارية وإستبدلتها "بالوطنية" دون أن تغير فى الأوضاع نفسها شئيا قليلا أو كثيرا. بل والانكى من ذلك ان الحكومة الاتحادية نفسها قد اخذت فى غير وعى وادراك مواقع عن تلك الأوضاع الإستعمارية وتعمل على بقائها وتحارب من يعمل على إقتلاعها وإجتثاثها من جذورها.

فليس غريبا أن تتحرك نقابة السكة حديد وهى أكبر النقابات السودانية عددا واشدها اثراً وأضخمها قوة للوقوف ضد السياسة الاتحادية التى تعمل على ابقاء هذه الآلاف من عمال السكة الحديد تحت الظروف الاستعمارية التى كبلهم بها الاستعمار البريطانى طوال خمسين عاما وجاءت الحكومة الاتحادية لتبقيها وتدافع عنها.

ان المطالب التى تقدمت بها نقابة السكة الحديد لم تكن الا المطالب الدنيا لاى مواطن يريد أن يبقى حيا متحركا ولا نقول حراكا كريما لان حرية العامل السودانى وكرامته قد ابتلعتها هذه الأوضاع الاستعمارية المهيمنة عليه اليوم

والتى لا يمكن ان تزال بهذه المطالب البسيطة المتواضعة وانما تزال بسحق هذه الأوضاع من اساسها ووضع العمال على اسس اقتصادية واجتماعية جديدة.

لقد تنكرت الحكومة الاتحادية لمطالب عمال السكة الحديد المتواضعة فى الوقت الذى ملأت مكاتبها بالمرتزقة والهتافة. وفى الوقت الذى خلقت فيه الوكالات وتوابع الوكالات فى سيارات فارهة ومنازل وسواقين وامتيازات وفى الوقت الذى اغدقت فيه علي انصار الحكومة وانصار الحزب ودفقت اموال الشعب على طبقة الموظفين الكبار.

اننا نؤيد مطالب عمال السكة الحديد تأييدا مطلقا حارا ونشيد بهم وبقيادتهم المخلصة الواعية التى وقفت ضد الدجل السياسى والتجارة بالعواطف الوطنية.

ان معارك العمال معارك مقدسة فى سبيل الحياة الحرة الكريمة وان استقلال الشعب وحريته كرامته لن يكون لها معنى واحد شريفا اذا لم نقدس مطالب العمال واذا لم نحترم ونكرم وتجاب مطالب العمال قبل مطالب كبار الموظفين والهتافة والمأجورين.

اننا مازلنا نساند ونشارك اخواننا عمال نقابة السكة الحديد فى معاركهم المقدسة ضد الأوضاع الاستعمارية وفى سبيل تأمين حياتهم وتأمين انتاجهم وفى سبيل حريتهم وكرامتهم الانسانية.

بابكر كرار
النيل ١٩٥٥/٦/١٩

ملحق رقم (٦)

نحن مع موكب الجياع

في هذا الاسبوع خرج موكب الجياع من دار اتحاد نقابات العمال إلى وزارة الداخلية رافعا رأيته المتواضعة نريد الغذاء... نريد الكساء. نريد العمل من اجل الحياة.

خرج هذا الموكب التاريخي بعد ان تضافرت كل القوى الحكومية على حجزه ومنعه.

قانون الطوارى وانذارات وزارة الداخلية واخيرا رجال البوليس وإقتحامهم للجياع في عقر دارهم لتذكيرهم وتحذيرهم من بأس البوليس وجبروته.

الا أن الجياع بعد ان وعوا هذا النذر وعياً عميقاً جمعوا أمرهم وعقدوا عزمهم وتوكلوا على الله وخرجوا فى موكبهم مخترقين شوارع العاصمة متجهين نحو وزارة الداخلية فى خطوات ثابتة وصفوف مترابطة تحت اعين البوليس وخوزاتهم.

لقد كان الجياع العراة اقوى من القانون والسلطة التنفيذية ومن رجال البوليس مجتمعين ومنفردين.

انهم لا يعرفون فن الكلام ولا لعلعة اللسان ولا يملكون صحفا تشيد بنضالهم وتفصح عن مطالبهم وتدافع عن حقوقهم ولكنهم يملكون سلاحا واحدا لا يقل وحجة واحدة تدفع واسلوبا واحدا لا يجارى، انهم يملكون الحق بين يديهم واجسامهم الضامرة وثيابهم الخرقة الرثة وعيونهم الغائرة.

قانون الطوارى وقف فى وجه الجياع فأنهار لان هذا القانون سن للمحافظة على حياة الناس وكل قوته تكمن فى هذا الغرض الانسانى النبيل الا ان هذا القانون تجرد بالامس وبان وحشا مفترسا عندما وقف فى وجه الجياع العراة الحفاة الذين لا يريدون الا العمل من اجل الحياة. حياتهم وحياة أبنائهم وإخوانهم وآبائهم الشيوخ الفانين.

ان قانون الطوارئ الذى صنع للمحافظة على الحياة وقف اليوم فى وجه البؤساء من الأحياء الذين يدافعون عن أنفسهم ضد الفناء.

لو كان مصدر التشريع فى بلادنا هو الكتاب والسنة لما كان هذا القانون الأصم الذى لا يجعل للظروف الاستثنائية اعتباراً ولا يعطى الضرورات اعتبارها الحق فى واقع الحياة ولذكرت الآية الكريمة (فمن اضطر غير باغ ولاعاد فلا إثم عليه).

ولا أعرف فى الدنيا أعمق وأخطر والعن من العطالة والجوع.

الا ان جمود هذا القانون وتحجره كان عاملاً أساسيا فى ضعفه وانهياره أمام موكب الجياع والبؤساء.

اننا لا نريد ان نقف كثيرا امام هذا القانون لان هذه القوانين كانت فى اعماق هذا النظام الذى نرزح جميعا تحته عن وعى وعن غير وعى ولكنا نريد ان نقف طويلا امام هذه الانذارات الحمقاء التى ارسلها وزير الداخلية من ابواق الاذاعة إلى الجياع والبؤساء .

إن انذارات السيد وزير الداخلية المرعدة كانت دليلا ساطعا على جهالة حكومتنا الاتحادية وافلاسها.

هذا الموكب فىذاته ادانة صريحة لسياسة الحكومة الاتحادية العامة ودليل عملى على بطلان وإعوجاج الميزانية التى شدت على خلق الجماهير الفقيرة فزادتها فقرا وبؤسا بينما ارخت العنان للطبقات الموسرة وكبار الموظفين الذين جنوا من السودنة واحالوها من المجال الوطنى الشعبى إلى تجارة مكتظة بالمنافسة والزحام.

ان الواجب الاساسى للحكومة الوطنية فى هذه الفترة الانتقالية هو تقوية جماهير الشعب وتأمين حياتهم وتعبئتهم تعبئة شعبية مناضلة لضمان جلاء القوات الاستعمارية ومقاومة أى إتجاهات خلفية لتحطيم الحكم الوطنى وتقويضه.

ان هذا التفكير الشعبى المناضل يفرض على الحكومة ويحتم عليها ان تكيف سياستها المالية العامة على انقاذ السواد الاعظم من الطبقات البائسة المنهوكة التى أتبعها الاستعمار ونهبها نهباً بشعاً وحشياً. تجعل حياتها مهددة دواما بالفاقة والعطالة والجوع والفناء.

ان سياسة الحكومة لم تستمد عناصرها من مآسى وشقاء وواقع السواد الاعظم من الشعب.. من العمال والمزارعين وصغار الموظفين والاجراء

والمشردين والعاطلين. هذا السواد الذى يقع دائما فريسة للاستعمار فلا يعرف فى حياته معنى للاستقرار ولا يفهم لوجوده معنى غير الانحناء والعمل والفناء فى سبيل لا يشعر نحوها الا بالعداوة والبغضاء.

لقد فهمت حكومتنا الاتحادية الاتفاقية فهما منحرفا سطحيا. وحسبت هذه الفترة الانتقالية فترة ترقيات وخلق مناصب ووظائف ووكالات ووزارات بلاحق ولا حساب واغفال الملايين من السودانيين الذين يتطلعون إلى "نقلة" فى هذه الفترة الانتقالية من جياة الشقاء والفاقة والعطالة والبؤس والفناء إلى حياة منتهى املهم فيها "العمل من اجل الحياة"

ان المنطق الشعبى المناضل وحدة يفرض على الحكومة ان تناصر هذا الجيش الضخم من الجياع فى قضيتهم "المقدسة" من أجل الحياة وأن تجاهد فى سبيل مطاردة الجوع وتقوية الشعب حتى يقف كله جبهة منيعة ضد الاستعمار فى هذه الفترة العصيبة من نضالنا الوطنى.

لقد عجزت سياسة الحكومة الاتحادية عجزا فاضحا عن القيام بأوجب واجبات الحكومات والحكام وهو ايجاد العمل الذى يحفظ على الناس حياتهم الآدمية وكرامتهم الانسانية ويحول بينهم وبين الفناء المحقق والفقر المدقع واهدار كرامتهم وامتهانها بيانا عياناً.

ان هؤلاء الجياع لا يطلبون الا أحق حقوقهم على هذا المجتمع الذى يفرض عليهم كل التزاماته وقوانينه وأتجاهاته واخطائه وعثراته دون ان يمنحهم احق حقوقهم عليه بل احق حقوقهم فى الحياة.

حرمان هؤلاء الجياع من العمل لا يعنى الا الحكم عليهم بالاعدام جوعا دون أن تختلج نفوسهم بشبهة من آثار ودون ان تغترف ايديهم جرما من الاجرام.

ورحم الله الفاروق حيا وميتا فقد ساوى نفسه وساوى المسلمين جميعا عندما اجتاحهم عام الرمادة حتى استشعر المجتمع كله حينذاك ويلات الطبيعة واكتوى جميعا بها بلا تميز بين غنى وفقير فلم يخصب حتى أخصب المسلمون جميعا عامتهم وخاصتهم.

اننا لا نريد ان تشرف حكومتنا الاتحادية على هذه الافاق الانسانية العليا فى الحكم وانما نطالبها بالافاق الدنيا التى تحفظ على الناس حياتهم وتبقى عليهم كرامتهم .

أين القانون والسلطة التنفيذية وانذاراتها؟ لقد اختفوا جميعا وتلاشوا بدداً امام دقات خطوات الجياع العراة القراة لانهم يملكون بين ايديهم "حقاً" اقوى من هؤلاء جميعاً. حقاً مستمداً من هبة الله فى الحياة الواسعة .

اننا مع الجياع لاننا نؤمن بالحياة .. نؤمن بحق الناس جميعا فى الحياة ولن نكفر بهبة الله.

بابكر كرار

النيل ١٨/١١/١٩٥٥

ملحق رقم (٧)

الاخ العزيز:.............................

بما انكم قد ساهمتم فى تأسيس الحركة الاسلامية الحديثة فى بلادنا منذ نشأتها الأولى وظللتم عاملين مهتمين بتعزيزها على نحو من الانحاء فقد رأت الامانة العامة للحزب الاشتراكى الاسلامى ان تستطلع وجهة نظركم فى هذه المرحلة الحاسمة الخطيرة التى تواجه فيها بلادنا احداثا واخطارا رهيبة قد تأكد لنا بصورة قاطعة انها تتجه بشعبنا إلى وجهة جديدة لا يضعها اليوم شعبنا فى حسبانه وهو محجوب من رؤية الحقائق التى تحيط به والقوى الفعالة التى ستحدد مصيره دون ارادته وتضع الامانة العامة للحزب الاشتراكى الاسلامى هذه الحقائق بوضوح وامانة امامكم وهى تتطلع إلى نصحكم.

أولا: أن الاحزاب التقليدية بتنظيماتها الطائفية والقبلية والاقليمية قد فشلت فشلا محققا فى تحقيق وحدة القوى الجماهيرية الشعبية فى كيان قومى واحد مناضل من اجل تحقيق الامانى القومية.

ثانيا: ان القيادات التقليدية والوراثية لهذه الاحزاب قد اتسمت تصرفاتها كلها بالخوف من المثقفين الوطنيين الذين يناضلون اليوم بشرف وبصلابة ضد كل اشكال السيطرة الاجنبية المباشرة وغير المباشرة من اجل اطلاق كل طاقات شعبنا الانتاجية والابداعية من عقالها.

ثالثا: ان الحركة السياسية فى بلادنا قد اصبحت واقعة كلها تحت نفوذ الدوائر الاجنبية ومن ثم قد اصبحت بلادنا اليوم مسرحا للصراع بين القوى الاجنبية التى تتجه ببلادنا نحو (كنغو) اخرى لا يعرف الا الله مصيرها.

رابعا: ان حالة البؤس المادى والروحى والضياع والانحلال والالحاد وانتشار المحسوبية والرشوة والفساد وانحطاط روح المسئولية قد اشتدت وطأتها اليوم بصورة جادة قد تجعل من بلادنا فى غيبة الحركة الاسلامية ساحة للنفوذ الشيوعى وتعاظمه. ان الامانة العامة للحزب الاشتراكى الاسلامى تدعوك لمناقشة هذا الامر الجلل بغرض توحيد الحركة الاسلامية فىدائرة مؤسسيها

أولا واستجلاء غايتها وجمع عزيمتها وقوتها فى تنظيم واحد لا يقهر وذلك فى مؤتمر مقفول بدار الحزب الاشتراكى الاسلامى بشارع الأربعين الساعة السابعة من مساء الجمعه القادم

والله ولى التوفيق

بابكر كرار

ع/الامانة العامة للحزب الاشتراكى الاسلامى

٢١/مارس/١٩٦٦

ملحق رقم (٨)

المؤتمر الثانى

الجمعه........... التاريخ...........

استمراراً لجلسة المؤتمر الأول الذى عقد فى يوم مساء الجمعه الموافق ٢٥/مارس ١٩٦٦ لرهط من مؤسسى الحركة الاسلامية الحديثة فى بلادنا واستجابة لرهط جلسة المؤتمر الأول فى ندائهم بأن يظل المؤتمر فى حالة انعقاد حتى يؤتى ثماره الحتمية بإذن الله واستمرار جلسات مقفولة حتى تحتفظ بجديتها وصراحتها فإن دائرة تسيير المؤتمر توجه الدعوة لك لمواصلة البحث فى القضايا الرئيسية التى تواجه شعبنا وتواجه الحركة الاسلامية بوجه خاص.

من خلال البحث فى الجلسة الأولى تبين لدائرة تسيير المؤتمر اهمية اضافة هذه الحقائق لمدلول صياغة الدعوة الأولى للجلسة الأولى وذلك توضيحا لاهداف هذا المؤتمر العقائدى.

أولا: ان الهدف العاجل للمؤتمر هو توحيد الاسس العقائدية والمنهجية للحركة الاسلامية كشرط جوهرى لمواجهة التحديات التى تتربص وتتناول الحركة الاسلامية.

ثانيا: تطهير الحركة الاسلامية من المفاهيم اللا اسلامية وتنقية الفكر الاسلامى من كل الاتجاهات الرامية إلى خنق الانطلاق الفكرى للحركة الاسلامية.

ثالثا: تسليط الاضواء حول حقيقة الاحزاب التقليدية وكشف الحقائق الجوهرية عن طبيعة تكوين هذه الاحزاب.

رابعا: رؤية الواقع السياسى والاقتصادى فى بلادنا رؤية علمية موضوعية صافية لا يحجبها غبار المصالح الشخصية والأمية السياسية.

وبما ان الجلسة الأولى قد اتسمت بالجدية والصدق والحرص على تجميع اخوة النضال من اجل اشرف رسالة يعرفها الانسان وهى حمل رسالة الاسلام فإن دائرة تسيير المؤتمر تتجه اليك بما لك من سابقة وإبتلاء فى حمل هذه الرسالة أن تكون قوة روحية وفكرية فى إلوصول بهذا المؤتمر العقائدى المسدد إلى غايته.

والله ولى التوفيق والتسديد

بابكر كرار

ملحق رقم (٩)

أضواء حول الميزانية الجديدة

الهجوم على القطاع العام.. والسير بوضوح وراء البنك الدولى

الاسس التى تقوم عليها الميزانية الجديدة واضحة ومحددة الاهداف الاقتصادية والسياسية التى ترمى إلى تحقيقها الميزانية الجديدة واضحة ومحددة إيضا ومن ثم فإن عملية اختيار قبول أو رفض هذه الميزانية سهل يسير الا انه فى ذات الوقت اختيار تترتب عليه مواقف اجتماعية وسياسية شديدة الاثر وبالغة الاهمية فى حاضر ومستقبل بلادنا القريب.

إن الأسس التى تقوم عليها الميزانية تتبلور فى هذا التصور:-

أولا: ان الاقتصاد السودانى عانى من تدهور متصل لاسباب داخلية بحتة

ثانيا: ان الخروج من ازمة هذا التدهور المتصل يتوقف على مزيد من الاعباء على الجماهير والاستمرار فترة طويلة بهذه الاعباء والاعتماد على البنك الدولى وصندوق النقد.

والاهداف التى تسعى اليها الميزانية الجديدة هى على وجه الاجمال والتحديد:-

أولاً: تامين المصالح الاحتكارية الاجنبية

ثانيا: تصفية القطاع العام الوطنى (الاشتراكى)

ثالثا: توسيع قاعدة القطاع الخاص (الرأسمالى) بهدف أن يكون القطاع الرئيسى والقيادى لعمليات الإنتاج والتطور الاجتماعى وهذا يعنى فى اختصار ان الميزانية الجديدة تقوم على تصور رأسمالى بحت وهو تصور خاطئ ومعيب ولايرى الصفات الأساسية لإقتصادنا الوطنى الحالى وهو اقتصاد تبعى فى الاساس ويقع تحت سيطرة نهب الاحتكارات الاجنبية.. وتستهدف الميزانية آفاقا

رأسمالية تدفع اليها بلادنا دفعا وذلك بازالة كل العقبات التى تعترض طريق التطور الرأسمالى فى بلادنا.

ان الميزانية لا تحدثنا عن الصفة الاساسية لاقتصادنا الوطنى وهى صفة التبعية والتخلف ولا تحدثنا عن الأشكال المتعددة لهذه التبعية.. ولا تخطط الميزانية الطرق والوسائل الحاسمة والعاجلة لتحرير إقتصادنا الوطنى من التبعية ووقف نهب الاحتكارات الاجنبية فوراً باعتبار ان انهاء الاحتكارات الاجنبية يعتبر اكبر مورد للايرادات العامة وأوسع الطرق للتنمية الاقتصادية والتخلص من التخلف وتعزيز سيادة الشعب على الاقتصاد الوطنى بسيطرة الدولة على الهياكل الرئيسية للاقتصاد الوطنى.

ولا تحدثنا الميزانية عن سياسة جديدة ثابتة للتصدير وفتح أسواق جديدة لصادراتنا ورسم سياسة بعيدة المدى للإستفادة من ميزات بلادنا البكرة.. ولا تحدثنا الميزانية عن وسائل جديذة لتنسيط الأسواق المحلية وتوسيع نطاقها ورفع القوى الشرائية لجماهير الشعب مع تخفيض الأسعار فى نطاق وعى اجتماعى جديد يخلق وينشئ دوافع الانتاج فى الأفراد والمؤسسات العامة والخاصة.

ان الميزانية تصور الاقتصاد الوطنى على انه اقتصاد متخلف وكفى وتستهدف من وراء ذلك ان تخرج بالحلول الرأسمالية التى تتطلب بالضرورة ازالة كل العقبات التى تعترض طريق التطور الرأسمالى فى بلادنا التى نشأ وتطور فيها قطاع عام كبير اصبح اليوم وشيكا من ان يكون القطاع الرئيسى والقيادى لعمليات الإنتاج والتنمية الإقتصادية والإجتماعية.

وفى سبيل إزالة العقبات فى الطريق الرأسمالى وسيطرة الرأسمالية على عمليات الانتاج والتطور الاجتماعى والسياسى سجلت الأيام الأخيرة هذه الوقائع والحقائق عن الميزانية:-

١. اعلان الميزانية بغته بعد مضى أربعة ايام فقط من انتهاء دورة الجمعية التأسيسية فاذا وضعنا فى الاعتبار ان انتهاء الميزانية كان يطلب من الوزارة فإن إعلان الميزانية فى غيبة الجمعية يعتبر عملية غدر ومباغتة بجانب تعارضها مع روح وتقاليد الانظمة البرلمانية فى الديمقراطيات الحديثة فيما يتعلق باجازة الميزانيات.

٢. ان الميزانية تتجه نحو المغالاة الصارخة فى وضع كل الأعباء على الجماهير الكادحة بغرض اضعاف الجماهير العاملة وفتح المجال للرأسمالية الوطنية لتنمو بسرعة عاصفة على حساب كدح وجوع الجماهير.. فرطل السكر – مثلا – تشتريه الحكومة بمبلغ ١٩ مليما وتبيعه بمبلغ ٧٠ مليما وهذا المثل وحده يكفى لبشاعة السياسة التى تنتهجها الوزارة القائمة فى اضعاف الجماهير فى سبيل ايجاد كل الظروف لانشاء رأسمالية قوية فى بلادنا.

٣. الهجوم العنيف الفجائى على القطاع العام الوطنى (الاشتراكى) بغرض تصفيته لمصلحة الاسراع بتأسيس ونمو القطاع الخاص (الرأسمالى) وقد حدد بالحرف فى خطاب الميزانية مانصه:

(غير ان تقييمنا وتقديرنا لموقف القطاع العام الذى اتضح لنا من خلال الدراسات التى فصلتها فى بيانى السابق والفترة القصيرة الماضية لتقييم الموقف الذى ظللنا ومازلنا نراجعه كل يوم بالنسبة للموقف النقدى الداخلى والنقد الاجنبى للسنة المالية كلها. قد بين لنا اتجاهات محددة تحتم علينا إتخاذ إجراءات عاجلة لا تحتمل التأخير ولابد من اتخاذها سواءكان ذلك فى الداخل أو الخارج).

وهذا النص يعنى بوضوح ان الاتجاه الواضح للوزارة القائمة هو تصفية القطاع العام وتعبيد الطريق للتطور الرأسمالى.

٤. سفر وزير المالية مباشرة لاستلام قروض صندوق النقد والبنك والدولى وكأنما هو على موعد بعد اعلان الميزانية.. واستلام القروض على هذا النحو العاجل الفورى قبل ان يجد الشعب فرصة للتعبير عن رأيه فىهذه الميزانية يدل دلالة واضحة وصارخة على وحدة مهند سى هذه الميزانية الجديدة.

٥. لقد نشرت الايام (٢٥ سبتمبر) تصريحا للسيد الصادق المهدى رئيس الوزراء يؤكد فيه ان سياسة الوزارة الحالية هى تحويل البنوك الاجنبية إلى شركات سودانية.. وهذا يكشف بوضوح ان هذه الوزارة تسير على الطريق الرأسمالى الضيق بلا تردد ولا مماراة.

فقبل شهرين زار بلادنا لورد لاتيمر المحافظ العام للبنك العثمانى (الإنجليزى فى حقيقة الامر) وبعد زيارته مباشرة أرسل البنك العثمانى مذكرة للبنك المركزى يطلب فيها ان يتحول إلى شركة سودانية مسجلة وان يطرح بعض اسهم للبنك للبيع.

ومعنى هذا ان تصريح السيد رئيس الوزراء الآنف الذكر هو نفس ما ظل يطالب به البنك العثمانى الفرع بالخرطوم منذ شهرين وهو ما نصح به لورد لاتمير المحافظ العام للبنك العثمانى.

ولا يخفى على أحد ان الاتجاه نحو تسجيل البنوك الأجنبية كشركات سودانية ما هى الا خدعة لحماية الرأسمالي الاجنبى وما الغرض من طرح بعض أسهم البنك للبيع للسودانيين أو (للدولة ..) الا احتيال مكشوف لضمان الأرباح وضمان زيادتها بتسخير الأجهزة الحكومية بعد شرائها بعض أسهم البنك.

ان اتجاه البنك العثمانى الذى احتضنه السيد رئيس الوزراء يتفق مع الروح العامة والخطوط الرئيسية للسياسة الاقتصادية التى تنتهجها هذه الوزارة والتى جاءت الميزانية تعبيراً صادقاً وواضحاً ومحدداً لها.

والنتائج العملية للاتجاهات العامة للميزانية الجديدة هى تأسيس رأسمالية وطنية قوية تتبع الاحتكارات الاجنبية العالمية وفى مقدمتها الاحتكارات الامريكية ولو وضعنا فى الاعتبار ان الرأسمالية الوطنية فى بلادنا ضعيفة وحديثة فهذا الاتجاه العام تترتب عليه هذه الاثار بالضرورة.

- خلق رأسمالية معتمدة ابتداء على النفوذ السياسى فىدائرة الأحزاب التقليدية.
- استمرار حالة البؤس وتصاعد الاعباء المالية على اكتاف الجماهير.
- تحول الثقل السياسى فى بلادنا من قاعدة الجماهير العريضة إلى التركيز حول الرأسمالية النامية التابعة للاحتكارات الاجنبية.
- وبما ان العجز فى الميزانية قد عولج على النحو الذى يرضى صندوق النقد والبنك الدولى فإن هاتين المؤسستين ستكونان بلا شك هما المهندس لتعبيد الاقتصاد السودانى الحديث لتزايد سيطرة الاسحتكارات الاجنبية.

وخلاصة هذه الإتجاهات ان الإقتصاد السودانى سيظل يدور فى أزمات متلاحقة وفى تدهور مستمر بالقياس إلى متطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية التى تعتمد على الثروات الوطنية وعلى الطاقات الانسانية القومية وتستهدف تلبية حاجيات الجماهير العريضة المتجددة وتوفير الرخاء والوفرة لهذه الجماهير العريضة فى ذات الوقت الذى تعزز فيه القوات المسحلة لتكون قوة دفاعية ضارية لا تؤمن السيادة القومية والاستقلال الوطنى فحسب وانما تتصاعد لتكون قوة دفاعية وطليعية فى سبيل تدعيم حرية وسلام الوطن العربى وقارتنا الأفريقية الناهضة.

ان النظرة الموضوعية الفاحصة للميزانية الجديدة تكشف بوضوح الأخطاء الكبرى التى تنطوى عليها هذه الميزانية واثارها الخطيرة على واقعنا ومستقبلنا الاقتصادى والسياسى.

وما من شك ان الواجب الوطنى يحتم الشروع فورا فى تنظيم مقاومة شعبية مسلحة بالوعى العميق للصفات الاساسية لاقتصادنا الوطنى والمتطلبات الاساسية لتحريره من التبعية فورا والسير فى طريق التنمية الاقتصادية والاجتماعية والاعتماد اساسا على ثرواتنا الطبيعية وعلى قدراتنا الانسانية وعلى مواصلة العمل والبذل والتضحيات من اجل القاعدة الجماهيرية العريضة التى ظلت طويلا تحت وطأة الاستعمار.

ان طريق وقف التدهور الاقتصادى لا يكون بتغطية الميزانية ولا تكون تغطية الميزانية بتسليم مفاتيح الاقتصاد السودانى كله للاحتكارات الاجنبية وصندوق النقد والبنك الدولى.. وبالتالى تسليم رقاب الشعب كله للمؤسسات العالمية التى تخطط لرعاية مصالح الاحتكارات العالمية وقهر الشعوب على الأستمرار تحت وطأة البؤس والتخلف والتبعية.

إن الطريق الأوحد لمواجهة التدهور الاقتصادى فى بلادنا وانهاء حالة البؤس هو طريق تحرير اقتصادنا من الاحتكارات الاجنبية وجعل ثمرات التحرر لمصلحة الجماهير.. لمصلحة الشعب كله وذلك بتأميم القطاعات الرئيسية فى التجارة الخارجية وتأميم البنوك الاجنبية فوراً لا سودنتها بتحويل ملكيتها للدوائر الحاكمة فى الاحزاب السياسية وتأميم شركات التأمين فوراً.

ان سودنة البنوك الاجنبية لا تعنى تحويلها إلى شركات مساهمة للدوائر الحاكمة فى الأحزاب التقليدية.

إن سودنة البنوك الاجنبية تعنى أن يقوم البنك المركزى بشراء اسهم البنوك الاجنبية.

إن الجزء الاكبر من الدخل القومي القابل لتغطية العجز ولاعادة الاستثمار يتركز فى ايدى الشركات والبنوك الاجنبية وشركات التأمين ومن المستحيل ان تضطلع الحكومة بدور توجيهى وتنفيذى فى مجالات التنمية الاقتصادية والاجتماعية لمصلحة الجماهير الا اذا تحقق تحويل هذا الجزء الاكبر من الدخل القومى من الاحتكارات الاجنبية إلى يد الشعب بغرض توفير الاستثمار اللازم لزيادة الانتاج.

ان رفض هذه الميزانية الجديدة يتطلب بالضرورة الاستمرار فى تعبئة كل القوى الجماهيرية الديمقراطية التى ترفع لواء التحرر والاشتراكية فى بلادنا.

إن كل العقبات التى كانت تصد تلاحم القوى الجماهيرية التحررية والاشتراكية يجب ان تسحق وان العمل الايجابى الشعبى والتقدمى يجب ان يشق طريقه بلا تردد من أجل وقف اخطار هذه الميزانية وحماية بلادنا ضد كل محاولات وضع بلادنا فى دائرة نفوذ البنك الدولى والاحتكارات العالمية الاستعمارية.

والله ولى التوفيق والتسديد

بابكر كرار

ع/ الامانة العامة للحزب الاشتراكى الاسلامى

٢٧/سبتمبر ١٩٦٦

محلق رقم (١٠)

العودة من المنفى

للشاعر محمد الفيتورى

مهداة إلى روح المناضل بابكر كرار

رصعتنى يا أبنوس الحزن

يا أبنوس الحزن

كيف اخترتنى وما الذى يبصرك الليلة

فى شعرى سماء فى عيون الميتين
فى مطر النسيان والذكرى وأعشاب نبى استوائى
ونار عاشق سجئ
اراحل اَم قادم أنت
اراحل ام قادم انت
لماذا تتبع اثنين على روحى؟
نهر من دم الثأر
ونهر من دم الحنين
اعرف معنى حزنك الجليل يا كرار
اعرف معنى حزنك الجليل يا كرار
حزن الفارس المطعون
بين الصدر والعينين والجبين
الفارس الصارخ فى مقبرة تركية
يصدأ نقش المجد فوق سيفها الدفين
لذلك الموغل فى غربته أصلى
للحظة إنكساره أصلى
لموته أصلى
وفى خشوعى اتلقاك شهيداً وأصلى
فنحن ياكرار
من يطلع فى اجفاننا الحزن
فنحن يا كرار
من يطلع فى اجفاننا الشوق
ولا ينبت فى أرواحنا يأس السنين

الوطن ... الوطن

الوردة.. تساقطوا كل لحظة فى القلب

أنت الوطن الجرح الذى يمتد ملء العين

يا سودان

نشتاق فتأتينا على عرشك فى الرؤية

ونأتيك معفرين بالثورة

أو مكفنين فى نعوشنا

وتزلق الايام فوق ذهب الماضى وتمضى

ايها السقف.. ايها السقف

على أعمدة الغابة مرفوعا

إلى حيث اكتمال الكون

ياقوس.. يا قوس السموات على بوابة النيلين

يا قصر الدراويش الفدائيين

جئناك من القهر الذى يفترس القهر

فانزل راية المحتل يا غردون

أنزل راية المحتل يا غردون

وانزل سلم الهابط مثل سلم الصاعد

المقتول فى ذاكرة القاتل

والقاتل فى ذاكرة المقتول

والدين وإن طال قضاء

واستحالت يد درويش على حربته رخا خزافيا

ودارت حربة أخرى على الشمس

وسال الشفق الازرق فوق الشفق الاحمر فوق الشفق

الاسود سال الشعب يا كرار هل تذكر غردون وجيش الثائر المهدى؟
الا الله لا اله الا الله لا اله الا الله
كنا فى المخاض الصعب
يا اكتوبر المطوية فى سجادة مصبوعة بالرعب
والخرطوم كانت تنسج الباقات والرايات للشهداء والثوار
ياسيفا حزينا فى سيوف النيل يا كرار
ثم ضحكت فى منفاك للمنفى
وهذا انت تضحك فى غيابك من الغياب الان
قاسية هى الضحكات
قاسية هى الضحكات
يا عصر النميرى والرجال والجالسين على مقاعدهم
وميراث الرجال يباع والقدس الشريف يباع
والزينات ساطعة هنالك تحت قوس النصر
والسادات يمسح وجه العربى عن مصر
ويطبع وجه اسرائيل فى ام المدائن مصر
قاسية هى الضحكات يا كرار
والمحجوب مصلوب على مشنقة الفاشى فى السودان
ننسى الغربة الكبرى ولا ننسى دم المحجوب يالسودان
قاسية مضاجعنا واحزان الرجال كبيرة
لكنها الاقدار يا كرار
تعرف أنت أن خيانة الفاشى
تسكن فى دمه وتنخر فيه ليل نهار
وان صخبة الفاشى تدمغة بخامتها

وترصد خطوة وتدور حول خطاه
وأن العصر عصر الشعب
لاتاج لغير الشعب
لا حكم بغير الشعب
لا سلطة الا الشعب الا الله

ملحق رقم (١١)

مرثية للشهيد المناضل بابكر كرار
شعر الشاعر العراقى مظفر الثواب

تروقك رائحة القنب
رائحة النيل ورائحة الذكرى

يضرب قلبك فى الشبك الزمنى جناحيه
وتفلت من ضغط الكمامة رائحة الأدوية العربية
مثل ممر المستشفى الرطبة معذبة
الريح معذبة والاخبار معذبة
لم يجد التشريح سوى طلقات الانظمة العربية
فى رأسك..
لم يلوك هذا الموت بقيت مديدا ليس تناسب
قامتك الاكفان..
وجهك كالصبيغة فى ارض الجرداء
ولم تنطبق العينان تماماً
مقبرتان لاحلام تحدق بالدمع الحجرى
وصبر لم يقوى عليه زمان
أى طريق وعر فى جبل الحزن شققت
وامعن سهم الثورة فى جنبك اكثر من سهم الردة فتكا
لم يبقى لثورى حتى فى الثورة حصن وامان
تتكتم تنتظر الخيل الفجر
فترجع ساعات الليل إلى الخلف أشد سواداً وهموماً
وهوان..
تتعشق بدو الصحراء وتكره بـــدو المدن الكبرى
وضربت بفأسك حتى التبست بالأوثان
لا ارثيك فما يرثى السيف اذا استهلك حربا
وأزل قناة السلطان
تعتزل الناس لفرط العفة

ثم تعود اليهم وهم الماء مشوق هيمان
اشهد لم تقتل برصاص الاعداء مواجهة
طعنتك من الخلف الأوطان
الرأس تفصد والقلب يواصل نبض الاضراب العمالى
ووجه مخدتك تندى بالعرق الاسود
والغرفة تحمل فى زاوية صمتك فى المستشفى
رن الهاتف فى الجو الموتى المعتم
رن الهاتف كان على الطرف الاخر حزن السودان
يسال عنك تملل صمتك عدل جلسته
مد يديه الحانيتين إلى الهاتف
قال بأنك ما غادرت الخرطوم وان كان غدا سيعود
اليها الجثمان
ليس بشباكك الا الله الواسع فى الزرقة
مثل جناحى طائرة تحمل جثمان غريب مسرعة
ووريقات قرب دوائك لم تكتبها بخلاف العادة
كيف صبرت ولم تكتب
آخر جرعات دوائك لم تشربها غلب الرفض عليك كما العادة
ميلت برأسك صوب مدينة حبك
اسلمت الروح وسوف تمر السنوات
وانت كذلك نشوان
غيابك يترك فى قلب الأيام فراغا
يترك مجدافين قديمين على النيل وقد رحل النوتى
وما زالت سفن لم تضئ الفانوس ولم تسحب بعد مراسيها.

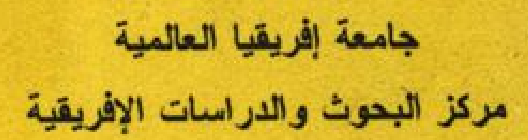
ما زالت طبقات الإضراب العمالى تراقب
إنك تأتى بالخام الوطنى الأسمر والعمة والعصيان
للمرة بعد الالف يزلزل زلزال الوطن العربى
ويحصل نفس الخطأ القاتل نفس الخطأ المجرم
نفس القدر الرسمى يصير عليه رهان
للمرة بعد الالف بنصف الموقف ينتصر الامريكان
كرار بقبرك أهدأ لا ترفع رأسك محتجا
إن الوطن العربى غدا كرة بين الاحذية الكبرى
والمدرج يغض بأهل التصفيق واهل الرفض
واحيانا يتبادل هذين الطرفان
برغم فلاسفة خلافة الجدب فلم تجدب وصل الطوفان إلى الدار البيضاء
ولكن البعض لماذا قرأ كل تقارير الجدب ولا يقرأ هذا الطوفان

دار جامعة افريقيا العالمية للطباعة

إصدارة رقم (52) – 2006 – 1427هـ
دار جامعة إفريقيا العالمية للطباعة


زورنا في
الفيس بوك
المرتضى
لكتب السودانية
www.facebook.com/sh143a





جامعة إفريقيا العالمية

مركز البحوث والدراسات الإفريقية

بابكر كرار

سيرته وفكره

إعداد : نادية يس عبدالرحيم